

النفوس

بوابة النجاة الكبرى





اسم الكتاب: التفاضل بوابة النجاح الكبرى
إعداد الدكتور: علي بن محمد المطري المحققي

رقم الإيداع: ٢٠٢٥/١٩٨٩٨٧

نوع الطباعة: ٢ لون

عدد الصفحات: ٣١٦ صفحة

القياس: ٢٤ X ١٧

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ. هاني صالح

محفوظ
جميع الحقوق

٢٠٢٥

الإدارة

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القسمة
للبيع والتوزيع

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

النفوس

بوابة النجاة الكبرى



إعداد الدكتور
علي بن محمد المطري آل المقحفي
حفظه الله وغفر له ولوالديه والمسلمين

دار الإيمان
الإسكندرية

دار القسمة
الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٣) سورة الأحزاب ، الآيات ، (٧٠-٧١).

مشروع من القضايا المهمة في التطوير، والتغيير، والرقى بالأمّة. والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما فيهما من توجيهات كريمة لا تخلو البتة من الإشارة بشكل مباشر، أو غير مباشر إلى كل ما يعين الإنسان، أو المجتمع، أو الأمّة على التقدم والرقى.

ولذلك فإنّ بعض المفسرين، والكتّاب، والمفكرين يركزون على قصة العبد الصالح (ذي القرنين) التي حكاها القرآن الكريم، وكيف أنه قام بالبحث الدقيق في معرفة الأسباب الحقيقية لتحقيق أهدافه، فقد استطاع - بتوفيق الله تبارك وتعالى - أن يفتح مشارق الأرض، ومغاربها، وأن يحقق انتصارات عسكرية عظيمة، ولذلك فهي درس عظيم للبحث الدقيق في معرفة الأسباب، وفي الأخذ بالأسباب للوصول إلى الأهداف المنشودة، وتحقيق النتائج الايجابية المشرفة.

وقصة ذي القرنين كما هو معروف جاءت في سورة الكهف التي وردت توجيهات نبوية شريفة كثيرة بقراءتها في يوم الجمعة، أو ليلتها، ولعل من أسرار تكرار قراءتها بشكل أسبوعي التأكيد على أهمية البحث الدقيق في أسباب المشكلات والقضايا التي دائماً ما تعترض طريق الإنسان، وتعيق التقدم والرقى، والمنافسة مع الأمم المتقدمة، والوصول إلى الحلول المناسبة لذلك.

وهذه القصة العظيمة ذات العبر، والمضامين الجليلة تشير إلى قضية جوهرية، ومهمة للغاية، وهي أن التمكين في الأرض، والاستخلاف فيها لا يتأتى بالعبادة بمفهومها الضيق الذي ربما يتبادر إلى ذهن بعضنا في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُوا بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ (١).

إن التمكين في الأرض يأتي بالبحث الجاد عن الأسباب، والأخذ بها حسب التوجيه القرآني لذي القرنين، في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (٨٤) فَانْبَعَتْ سَبَبًا (٨٥) (٢).

وهذا يوضح شمول العمل الصالح، بل ومن لوازمه، وأساسه الأخذ بكل الأسباب الكفيلة بالإصلاح، والتطور، والرقى بالامة شريطة أن تكون وفق أوامر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، واجتناب نواهيه.

على ذكر قصة ذي القرنين، بأن التمكين في الأرض كان الصفة البارزة في قصة الرجل الذي أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يسوق لنا خبره، وأن يحكى لنا تاريخه، وهنا نرى أن التمكين في الأرض يبدأ نعمة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على من أراد من خلقه، فهو يمهد له ويعينه، ولكن على من يحظى بهذه النعمة أن يبذل قواه، وأن يأخذ بالأسباب، فإنه إن انكشفت يده وانقبضت، ولم يؤت السبب المطلوب منه ضاعت النعمة، ولم تبق له.

ثم قال - رَحِمَهُ اللَّهُ - إن ذا القرنين جاء إلى قوم يشبهون حال الأمة الإسلامية اليوم من التواكل، فلما جاءهم قالوا له شاكين باكين: ﴿قَالُوا يَذَّا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي: جائزة ومكافأة ﴿عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩٤)، لم لا يحسنون بناء سد لهم؟ لأنهم

(١) سورة النور، الآية ٥٥ .

(٢) سورة الكهف، الآية ٨٤ .

عجزة!! فكان الرجل ذكياً تقياً قال: أنا مستغن عن جوائزكم، ومكافأتكم، وخرجكم: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (٩٥) **ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ** ^(١)، أي: قام وعمل واجتهد وأخذ بالأسباب، وحقق أعمال، ومشاريع ضخمة للغاية.

وبالنظر والتأمل في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يلحظ قيامه صلى الله عليه وآله وسلم في جميع تصرفاته، وحركاته، وفتوحاته بالاعتماد بعد الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** على جميع الأسباب المتاحة، حيث لم يتواكل ويهمل أي سبب متاح يساعده في الوصول إلى أهدافه، ففي هجرته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خرج واعتمد على كل وسائل الإخفاء عن قريش، حتى تحقق له بتوفيق الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** الوصول إلى هدفه.

وكذلك أخذ الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في غزوة بدر بالأسباب المعينة لتحقيق أهدافه، وفي غزوة أحد لبس درعين، وفي غزوة الأحزاب حفر الخندق، وقد كانت سيرته العطرة تجسيدا لهذا التوازن الرائع بين الإيمان بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، والتوكل عليه، وبين الأخذ بالأسباب المشروعة المتاحة.

منطلقات وأسس مهمة:

إن العناية والاهتمام ببحث الأسباب الجوهرية التي تكمن وراء المشكلات والقضايا القائمة أمر في غاية الأهمية، لأنه يساعد كثيراً بإذن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في وضع الأمور في نصابها، وضبطها مما يساعد على تحقيق التقدم والرقى المنشود بإذن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ومن أهم المنطلقات لذلك:

أولاً: الاهتمام والعناية بإعداد القادة الإداريين، وفق النظم الإدارية

(١) سورة الكهف، الآية ٩٥.

الحديثة، وإنشاء معاهد متخصصة لهم لتطوير قدراتهم، وتدريبهم على حسن القيادة والتوجيه.

ثانياً: الاهتمام والعناية بدراسة المشكلات القائمة دراسة علمية من قبل متخصصين في حل المشكلات، ومن ثم العمل على وضع الحلول الملائمة.

ثالثاً: تقوية جانب المتابعة والإشراف من الجهات الرقابية المختصة بالإشراف على القطاعات العامة، للتأكد من سلامة قيام كافة العاملين بمسؤولياتهم، ومحاسبة كل من ثبت تقصيره بالعقوبة المناسبة.

رابعاً: الاستفادة من خبرات وتجارب المجتمعات المتقدمة في حل المشكلات المماثلة، مع مراعاة فوارق العوامل المختلفة بين المجتمعات، وفي مقدمتها: الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

يجب ضرورة تعاون المؤسسات التربوية المختلفة في توجيه الناشئة، والشباب، وكافة أفراد المجتمع، بأن لا يكتفوا بالاعتماد على غيرهم فيما يحتاجونه من شؤون حياتهم، بل عليهم العناية بالجدية، والمثابرة، وتحمل المسؤولية في كل أعمالهم، صغيرها، وكبيرها، حتى يصبحوا مجتمعاً، وأمة لها كيانها، ولها مكانتها.

لكي ينجح الإنسان بحياته، يجب أن يكون متفائلاً بها. ينظر المتفائل دائماً لحياته بطريقة إيجابية ويتوقع الخير والسرور كما أنه ينجح في تحقيق آمانيته بالتوافق النفسي والاجتماعي، ويكون أكثر إشراقاً بالمستقبل وبما حوله. وبالتالي هذه الحياة الإيجابية تؤثر بشكل مباشر على صحته النفسية والجسدية، بينما المتشائم يتوقع الشر واليأس والفشل وينظر إلى الحياة

بمنظار سلبي التي تجعل حياته جحيمًا .

إنَّ الأمل والتفاؤل من خير الصفات والسمات التي يجب أن يتمتع بها كلُّ فردٍ في المجتمع، وذلك بغض النظر عن فئته العمرية؛ ويعود السبب في ذلك إلى أثر التفاؤل والأمل على الفرد والمجتمع، هذا الأثر يُحقق العديد من النتائج الإيجابية ومنها:

- إنَّ التفاؤل والأمل من أفضل الأمور التي تقوي النَّفس وتجعلها صامدة أمام عقبات المجتمع، كما يعودان على المجتمع والفرد بكل الخير. من أثر التفاؤل والأمل على الفرد والمجتمع هو النهوض بالنفس الإنسانية نحو التقدم والنجاح، وعلى عكس التشاؤم الذي يجلب الفشل، ويجعل من الإنسان عائقًا سلبيًا لنفسه وللمجتمع بأسره.

- التفاؤل هو السلاح المدمر لليأس، فالأمل يُقرب جميع الأمنيات حتَّى لو كانت صعبةً المنال، فمن الواجب التيقن أنَّ الأمل موجود مهما حدث.

- إنَّ الأمل والتفاؤل من أفضل الطُّرق لمواجهة مشاكل الحياة، فالعزم والصبر مبعث لكل خير. بالتفاؤل والأمل يتم الحصول على كل الأمور المرجو تحقيقها، فالطاقة الإيجابية التي يمنحها تعود على الفرد والمجتمع بكل خير.

- إن القرآن الكريم هو النبراس الذي يضيء الذنوب المظلمة، والمشعل الذي يجلي غياهب السبل الموحشة، ومهما جلت المصائب وعظمت الكوارث، فإنَّ في كتاب الله ما يحيلها إلى برد وسلام؛ لأنَّه نزل

من لدن حكيم خبير، يقول المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَفِيرُ﴾ (١٤)، فهو تَبَارَكَ وَتَعَالَى العالم بحال خلقه وما يصلح شؤونهم، فلذلك أنزل الله القرآن الكريم، ليكون دستوراً، ويكون مشعلاً يستضيء به الناس في هذه الحياة، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١)، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (٣)، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤).

فالقرآن هو شعلة ونور وهداية قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٥)، فالقرآن الكريم، يهدي إلى أقوم الطرق وأعددها في مجال العقيدة والتوحيد وصلة العبد بربه.

وما يتعلق بأمر العبادة وهكذا يهدي للتي هي أقوم في مجال الاقتصاد، وفي مجال الريادة وفي مجال السياسة، وفي ما يصلح الأسرة، وينظم شؤون الأسرة فهو تنظيم عام وشامل للفرد والمجتمع.

إن التخطب الذي نلحظه اليوم في حياة البشرية ما هو إلا نتيجة حتمية لتنحية القرآن عن دور الريادة والقيادة جانباً، فالغرب مثلاً بما يمتلكه من إمكانيات ضخمة وحضارة هائلة، هو الذي اليوم يعاني من أزمات

(١) سورة الملك، الآية ١٤.

(٢) سورة الصف، الآية ٩.

(٣) سورة الحديد، الآية ٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٩.

أخلاقية وأمراض نفسية لا تخفى على أدنى متابع، فلذلك كثر عندهم الشذوذ، وكثر عندهم الانتحار.

وكذلك كثر عندهم الأمراض النفسية، والأمراض الصحية أيضاً لماذا؟ .

لأنهم يعيشون في فوضى، وكما قال الشاعر:

لا يصلحُ النَّاسُ فوضى لا سراةَ لهم ولا سراةَ إذا جُهاهُم سادوا

لذلك كان لزاماً علينا أن نسرع الفئدة والرجوع الى كتاب الله، ونهتدي بهديه؛ لأنه السبيل الوحيد لتقويم المعوج، وإصلاح الحال والمآل، ولما كانت الدنيا مجبولة على الأكدار مفطورة على التنغيص والمرء فيها يعتريه ما يعتريه من الهموم والأحزان بسبب المكدرات لما كان ذلك كذلك، جاء القرآن الكريم، ليأخذ بيد المؤمن إلى سبيل النجاة وشاطئ الأمان بما فيه من الآيات تحيي في نفسه الأمل، وتبعث في قلبه قرب الفرج، وأن الخيرات آتية، ولو بعد حين، وكما قال القائل:

لا بد من فرج قريبٍ آتٍ يُنسي القلوب مرارة النكباتِ
ويُعيد بهجتها سروراً عامراً فترى الوجوه تفيض بالبسماتِ
وعُدُّ من الرحمن بشرنا به فاقراً الم نشرح من الآياتِ

ويقول تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ (١).

ومن هنا جاء هذا البحث محاولة لإيضاح منهج القرآن الكريم في طرح موضوع عن التفاؤل، وسميته: **التفاؤل بوابة النجاح الكبرى**، وتلمساً لآياته التي تبعث في النفوس المكلومة والقلوب المحبطة باعث الأمل، الذي يحيل الأتراح إلى أفراح، ويجلي حكمة الله في كل نافلة بما يطمئن قلب المؤمن ويجعله مُسَلِّماً لأمر الله راضياً تمام الرضا متيقناً أتم اليقين أن الخير فيما قضاه وكتبه، وسوف نعرض بحول الله بعضاً من الآيات في كتاب الله التي تدعو إلى التفاؤل، وترشد إلى المنهج الصحيح الذي يجب أن يكون عليه المؤمن في أوقات الأزمات، سواء كان ذلك على المستوى الشخصي، أم على مستوى الأمة، والهيكل العام لهذه الدراسة سيكون ابتداء بالحديث عن معنى التفاؤل، ومشروعيته، وأهميته، ثم يكون التركيز بعد ذلك على صلب موضوع الدراسة، وهو الحديث عن أسلوب القرآن الكريم في تربية النفوس على التفاؤل، ويندرج تحت هذا المبحث المطلبان الآتيان:

المطلب الأول: إيراد نماذج عن تفاؤل الصالحين.

والمطلب الثاني: إشاعة التفاؤل في وقت الأزمات والمعضلات، وذلك من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول: التفاؤل بالنصر على أعداء الأمة.

الفرع الثاني: التفاؤل في حال الفقر وضيق العيش.

الفرع الثالث: منزلة التفاؤل من الإسلام.

الفرع الرابع: التفاؤل عند عدم الوفاق الزوج مثلاً.

الفرع الخامس: التفاؤل بمغفرة الله، وعدم اليأس من رحمته.

الفرع السادس: فضل التفاؤل.

الفرع السابع: فوائد التفاؤل.

الفرع الثامن: ثمار التفاؤل.

الفرع التاسع: الثقة بالله.

أخيراً:

«أَسْأَلُ اللَّهَ وَحْدَهُ أَنْ يَأْخُذَ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَمْلَأَ قُلُوبَنَا أُنْسًا بِكِتَابِهِ، وَتَسْلِيمًا لِأَمْرِهِ، وَيَقْوِيَنَا لَوَعْدِهِ، كَمَا أَسْأَلُهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتِهِ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ حَلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَأَنْ يَجْعَلَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا وَغَمُومِنَا اللَّهُمَّ أَخْرِجْنَا بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَاهْدِنَا بِهِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»

وصلي اللهم وسلم على نبينا محمد ..

كتبه

علي بن محمد المطري حامداً مصلياً

في: (٢٦ ذوالحجّة ١٤٤٥هـ).



المبحث الأول



معنى التفاؤل وأهميته، ومشروعيته:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التفاؤل.

المطلب الثاني: أهمية التفاؤل.

المطلب الثالث: مشروعية التفاؤل

المطلب الأول: معنى التفاؤل وفيه فرعان

الفرع الأول: معنى التفاؤل في اللغة.

الفرع الثاني: معنى التفاؤل في الاصطلاح.



المطلب الأول

التفأول في اللغة العربية



التفأول: ضد الطيرة والجمع فئول، وتفاءلت به: ^(١)

والفأل: أن يكون الرجل مريضاً، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد فيقول: تفاءلت بكذا، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته. والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء ^(٢).

إذا الفأل: ضد الطيرة (التشاؤم)، والجمع فؤول، وأفؤل. وهو ما يُظنُّ عنده الخير.

والتفأول: مصدرٌ للفعل تفاءل، يقال: تفاءلت به، وتفاءلت به. والتفأول: ضد التشاؤم، وقد يُستعمل الفأل فيما يُكره، فيقال: لا فأل عليك، بمعنى: لا ضيرَ عليك، ولا طيرَ عليك، ولا شرَّ عليك ^(٣).

الفرع الثاني: معنى التفأول في الاصطلاح:

التفأول: هو انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلام الصالح أو الحسن أو الطيب ^(٤).

(١) تهذيب اللغة، (٢٧١ / ١٥) وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (١٧٨٨ / ٥) المحكم والمحيط الأعظم (٤٠٥ / ١٠).

(٢) القاموس المحيط، (ص ١٠٤٠)، لسان العرب، (١١ / ٥١٣).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، (٢٧١ / ١٥).

(٤) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (٣ / ١٠٤٦).

وقيل: هو صفة تجعل توقعات الفرد وتوجهاته إيجابية نحو الحياة بصفة عامة؛ يستبشر الخير فيها، ويستمتع بالحاضر، ويحدوه الأمل في مستقبل أكثر إشراقاً وأحسن حالاً .

وقيل: هو استقراء المستقبل في ملامح الحاضر، والشعور بالتنبؤ بما يأتي، وترقب ما سيحصل للإنسان عند سماعه شيئاً حسناً أو رؤيته له .

الفأل هو الكلمة الصالحة أو الكلمة الطيبة أو الكلمة الحسنة، روى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « لَا طَيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ » قَالَ: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ» (١) .

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - الفرق بين الفأل والطيرة أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء فلذلك كرهت (٢) .

قال الطيبي: «معنى الترخّص في الفأل والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئاً فظنه حسناً محرّضاً على طلب حاجته فليفعل ذلك. وإن رآه بضد ذلك فلا يقبله بل يمضي لسييله. فلو قبل وانتهى عن المضى فهو الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم» (٣) .

التفاؤل من الإيمان بالله: التفاؤل من الإيمان .. وهو من صفات المؤمنين لأن المؤمن يعلم يقيناً أن الأمر كله بيد الله، وأن كل ما يقضيه الله في حق عباده خير، حتى وإن لم نعرف الحكمة فيه .. يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٧٥٤)، ورقم: (٥٧٥٥)، ومسلم، ورقم: (٢٢٢٣) .

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر، (١٠ / ٢١٥) .

(٣) المرجع السابق .

﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (١).

التفاؤل سنة نبوية:

التفاؤل سنة نبوية، وصفة إيجابية للنفس السوية، يترك أثره على تصرفات الإنسان ومواقفه، ويمنحه سلامة نفس وهمة عالية، ويزرع فيه الأمل، ويحفزه على المهمة والعمل، والتفاؤل ما هو إلا تعبير صادق عن الرؤية الطيبة والإيجابية للحياة .

قليلاً من التفاؤل قد يصنع ألف طريقاً للسعادة :

إِنِّي صَنَعْتُ مِنَ التَّفَاوُلِ مَرْكَبًا وَشَدَدْتُ مِنْ عَزَمِ الْيَقِينِ شِرَاعَهُ
أُبْحَرْتُ فِيهِ عَلَى الْإِلَهِ تَوَكُّلِي مَا خَابَ مَنْ لَلَّهِ مَدَّ ذِرَاعَهُ

وأجمع تعريف للتفاؤل هو: التفاؤل صفة تجعل توقعات الفرد وتوجهاته ايجابية نحو الحياة بصفة عامة ويستبشر بالخير فيها ويستمتع بالحاضر ويحدوه الأمل في مستقبل أكثر اشراقا واحسن حالا .

استراحة: كن حسن الظن بربك مع الأخذ بالأسباب للوصول إلى الأهداف .

التفاؤل هو الثقة والأمل في تحقيق النجاح والتحسين في المستقبل، يعتقد الأشخاص المتفائلين أن الأمور ستتحسن وأن النتائج الإيجابية ستحدث .

أما التشاؤم فهو الاعتقاد السلبي والشك في تحقيق النجاح والتحسين في المستقبل، يعتقد الأشخاص المتشائمون أن الأمور ستسوء وأن النتائج السلبية ستحدث .

(١) سورة هود، الآية ١٢٣ .

المطلب الثاني

أهمية التفاؤل



التفاؤل صفة تجعل توقعات الفرد وتوجهاته إيجابية، نحو: الحياة بصفة عامة ويستبشر بالخير فيها، ويستمتع بالحاضر، ويحدوه الأمل في مستقبل أكثر إشراقاً وأحسن حالاً.

التفاؤل يجدد شباب القلب:

إنَّ التفاؤل يجدد شباب القلب، ويزيد من قوة الإنسان على الحب والانطلاق والإقبال على الحياة، كذلك فإنه عامل مهم لنجاح أي مشروع يقدم عليه الإنسان.

فأحوج ما يكون الناس إليه في ظل هذه الظروف خاصة من يبعث في نفوسهم التفاؤل والأمل، وحسن الظن بالله، والتوكل عليه، والرضا بقضاء الله وقدره، واجتناب التشاؤم واليأس والقنوط، وبث الأخبار التي فيها تشييط العزائم، ونشر الخوف والهلع بين الناس.

قال المولى تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) ^(١)، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ ^(٢)، وقال جل وعلا: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ^(٣).

(١) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٣) سورة الانفال، الآية ٧٠.

وفي الحديث القدسي قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»^(١) ولا ينافي التفأول الأخذ بالأسباب الحسية والاحتياطات والعمل بالتعليمات التي يرشد إليها أهل الاختصاص، ولنثق فيما تتخذه الدولة من إجراءات، ولنلزم التحصينات الشرعية، كالأوراد الشرعية عند النوم، وفي الصباح والمساء، ونزول المنزل، ولنكثر من الدعاء، فبذلك كله يحصل الشفاء، ويرتفع البلاء بإذن الله، وتكمن أهمية التفأول في حياة المسلم.

التفأول من الصفات الحميدة التي كان يُحِبُّها رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -، وهو من آثار حُسن الظن بالله - **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** -، والرجاء فيه، بتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الطيب، ويُعتبر التفأول من الصفات الرئيسة لأي إنسان ينشد السعادة والنجاح.

وللتفأول قيمة اجتماعية مميزة؛ إذ يرغب الناس في صحبة المتفائل، في الوقت الذي يَفِرُّون فيه من المتشائم، كما أنهم يميلون إلى سماع الأخبار والأحاديث في التفأول أكثر من أحاديث التشاؤم، بل كثيراً ما يُوصي الناس بعضهم البعض بالتحلي بصفة التفأول، والابتعاد عن التفكير التشاؤمي، وتعظم الحاجة إلى التفأول في أوقات الأزمات والشدائد، فأوقِدْ جذوة التفأول، وعِشْ في أملٍ وعملٍ، ودعاء وصبر، ترتجي بعض الخير، وتحذر من الشر.

وإن سأل سائل: ما هو التفأول؟

فيقال له التفأول: هو توقُّع حصول الخير في المستقبل، وبضد ذلك

(١) رواه أحمد، برقم: (١٦٠١٦)، والدارمي، برقم: (٢٧٧٣)، وابن حبان، برقم: (٦٣٣)، والحاكم، برقم: (٧٦٠٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٤٣١٦).

المتشائم التي يتوقع حصول الشر.

النصوص الدالة على مشروعية التفاؤل:

قوله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : « لَا طَيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ ». قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟
قَالَ: « الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ ^(١) ».

وفي رواية: « لَا عَدَوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ ^(٢) ».

وفي رواية: « وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ ». قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: « كَلِمَةُ طَيِّبَةٍ ^(٣) ».

التحذير من التشاؤم:

كان النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يُحِبُّ أَنْ يُسْتَبَشَرَ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ يَنْهِي قَوْمَهُ عَنْ
كلمة «لو»؛ لأنها تفتح عمل الشيطان، فهي من أوسع أبواب التشاؤم،
يَتَّضِحُ ذَلِكَ فِي تَوْجِيهِهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : « اسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ
أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ
وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ^(٤) ».

وكان منهجه في التفاؤل يتجلى في تطبيقه لقول الله - **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** - : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٥).

(١) تقدم تخريجه صفحة ١٣ .

(٢) رواه البخاري، رقم: (٥٧٥٦) .

(٣) رواه البخاري، رقم: (٥٧٧٦) .

(٤) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤) .

(٥) سورة البقرة، الآية ٢١٦ .

بل جعل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اليأس من الكبائر؛ فلما سأله رجل عن الكبائر؟ أجابه بقوله: «الشُّرْكُ بالله، واليأس من رَوْحِ الله، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله»^(١) رواه الطبراني في الكبير وصححه ابن كثير.

أعلى درجات التفاؤل:

إنَّ أعلى درجات التفاؤل هو التفاؤل في أوقات الأزمات، ولحظات الانكسارات، وساعات الشدائد، فتتَوَقَّع الخيرَ وأنت لا ترى إلا الشر، والسعادةَ وأنت لا ترى إلا الحزن، وتتَوَقَّع الشفاءَ عند المرض، والنجاحَ عن الفشل، والنصرَ عند الهزيمة، وتتَوَقَّع تفريجَ الكروب ودفعَ المصائب عند وقوعها، فالتفاؤل في هذه المواقف يُولد مشاعر الرضا والثقة والأمل.

صفات المتفائل:

ومن صفات المتفائل: أنه منبسط الأسارير، مشرق الوجه، واسع الصدر، مبتسم الثغر.

قاموسه: الأمل، والنجاح، والسعادة، والانتصار، والارتقاء، والتعاون، والحب، والتوكل على الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وحسن الظن به.

أعظم مصدر للتفاؤل:

أعظم مصدر للتفاؤل هو القرآن الكريم، الذي يمنحنا التفاؤل والفرح والسرور، ويعطينا الأمل: فمن أسرف على نفسه بالمعاصي ووقع في فخ الشيطان؛ فعليه أن يتدبَّر قوله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا

(١) رواه الطبراني في الكبير، رقم: (٨٧٨٣)، والبيهقي، رقم: (١٠١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الفوائد: إسناده حسن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٧/ ١١٦).

عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾^(١)، وسيشعر بالفرحة والسرور، والبشر والحبور.

والذي خسر ماله؛ إذا قرأ الآية الكريمة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾^(٢)، كيف سيكون أثرها عليه؟.

وهذا الذي يدعو الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، ولم يتحقق دعاؤه، إذا قرأ قوله
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً
وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾^(٣)؛ فالخير قد يكون في الشر، والسعادة قد تكون في الشدة،
والفرح قد يكون في الحزن.

بل كل المصائب والشدائد إذا ما قورنت برحمة الله وفضله؛ هانت
وتلاشت، قال الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾^(٤) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ
﴿١٥٧﴾^(٤).

فتلك البشرى للمتفائلين الواثقين برحمة الله.

التفاؤل في حياة الأنبياء:

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - هم سادات المتفائلين، واقروا - إن شئتم -
قصص القرآن؛ لتروا التفاؤل بادياً في تعاملهم مع الأزمات والمحن.
وقد ضرب يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أروع الأمثلة في التفاؤل: فقد ادعى

(١) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٢) سورة يونس، الآية ٥٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٤) سورة البقرة، الآيات ١٥٦-١٥٧.

إخوة يوسف بأنّ الذئب أكله، وابنه الآخر اتُّهم بالسرقة وسُجن، كما أخبروه، وعلى الرغم من مرور السنوات الطويلة، إلّا أنه لم يفقد الأمل من رحمة الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، تأمّلوا ماذا كان ردُّ فعله؟ وبماذا أمر أبناءه؟، قال لهم: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) (١).

والتأمّل في سيرة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ يجدها مليئة بالتّوكل على الله، وحُسن الظن به - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وهما أساسا التفاؤل، فلا عجب فهو إمام المتفائلين وسيدهم، ومن أوضح الأمثلة على ذلك:

لما خرج - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لغزوة خيبر سمع كلمة - من أحد أصحابه - فأعجبته؛ فقال: «أَخَذْنَا فَأَلَكْ مِنْ فِيكَ» (٢) أي: تفاءلنا من كلامك الحَسَنَ تيمناً به.

والتفاؤل سلوك ملازم للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومتأصل فيه، حيث كان يتفاءل بالأسماء الحسنة، لما لها من دلالة إيجابية على النفوس.

ولما أتى المدينة كانوا يسمونها: «يثرب»، وهي كلمة ليست محمودّة؛ فغيّر اسمها، وسمّاها: «طابة»، أو سمّاها: «المدينة»؛ وهذا هو عين التفاؤل. وعن ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «أَنَّ ابْنَةَ لُعْمَرَ كَانَتْ يُقَالُ لَهَا: عَاصِيَةُ. فَسَمَّاها رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : جَمِيلَةَ» (٣) فهذا الاسم هو المناسب لأنوثة هذه الفتاة.

(١) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٢) رواه أبو داود، رقم: (٣٩١٧)، وأحمد، رقم: (٩٠٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٢٢٥).

(٣) رواه مسلم، رقم: (٢١٣٩).

وعن عباد بن تميم عن عمه قال: «خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْمُصَلَّى يَسْتَسْقِي، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَقَلَبَ رِدَاءَهُ^(١)» فَفَعَلَ ذَلِكَ تَفَاؤُلًا بِتَحَوُّلِ حَالِ الْجَذْبِ إِلَى الْخُضْبِ.

وفي الحديبية لما جاء سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو يُفَاوِضُ النَّبِيَّ عَنْ قَرِيشٍ، فَتَفَاعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِاسْمِهِ، وَقَالَ: «لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»^(٢). فهذا تفاؤل مُستوحى من المقام.

وتأمل حاله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو في قَرْنِ الثَّعَالِبِ يَمْشِي مَهْمُومًا بَعْدَ أَنْ طَرَدَهُ بَنُو عَبْدِ يَالِيلٍ وَأَذَوْهُ وَرَجَمُوهُ حَتَّى أَدْمَوْهُ، وَالْمَلَأَ مِنْ قَرِيشٍ مَصْمُومُونَ عَلَى مَنَعِ عَوْدَتِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ جَاءَهُ مَلَكُ الْجِبَالِ فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»، فَأَجَابَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَلَهُ تَفَاؤُلًا وَأَمَلَ، وَصَبَرَ، وَرَحِمَهُ، وَبُعِدَ نَظَرُهُ، وَاسْتَشْرَفَ لِلْمُسْتَقْبَلِ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٣).

ولكي يَصِلَ بِنَا التَّفَاؤُلِ إِلَى شَاطِئِ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ: لَا بَدَّ أَنْ يَقْتَرِنَ بِالْجَدِيدَةِ وَبِالْعَمَلِ الدَّوُوبِ، وَبِمَزِيدٍ مِنَ السَّعْيِ وَالْفَاعِلِيَّةِ، وَإِلَّا كَانَ هَذَا التَّفَاؤُلُ مُجَرَّدَ أُمْنِيَّاتٍ وَأَحْلَامٍ وَضَرْبٍ مِنَ الْأَوْهَامِ، فَالْإِغْرَاقُ فِي التَّفَاؤُلِ بِدُونِ عَمَلٍ، يُعْتَبَرُ هَرُوبًا مِنَ الْوَاقِعِ، وَقِرَاءَةً خَاطِئَةً لَهُ.

نشر الأمل والطمأنينة من التفاؤل وهي من منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
إن من منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نشر الأمل والطمأنينة في نفوس المؤمنين،

(١) رواه البخاري، رقم: (١٠٢٧).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٢٧٣١).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم: (١٧٩٥).

وهذا هو القصد من بعثتهم، وهو الدعوة إلى توحيد الله **عَزَّجَلَّ** وإفراده بالعبادة، التي يتحقق بهما الأمن والطمأنينة لهذا شرط إبراهيم الخليل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في دعوته بأن يجعل البلد الحرام آمناً ويرزق أهله من الثمرات بالإيمان بالله واليوم الآخر، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ^(١).

وهذا شعيب - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - يطمأن موسى - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** -، ويأمنه من خوفه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٢)، وهذا القول من الشيخ الكبير لموسى، صادف مكانه، وطابق مقتضاه، فقد كان موسى - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - أحوج ما يكون في ذلك الوقت إلى نعمة الأمان والاطمئنان، بعد أن خرج من مصر خائفاً.

وهكذا تتكرر قصص الأنبياء مع أقوامهم بالدعوة إلى النجاة من الخوف والقلق وذلك عن طريق التقرير بأن الله واحد لا شريك له، وهو المستحق للعبادة قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ^(٣) وبتحقيق العبودية الخالصة يكون الأمن والطمأنينة.

ومن معاني الطمأنينة في لغة العرب: السكون، والثوقية، والاستئناس، والاستيطان بالأرض ولا يكون إلا مع الأمان، والإخبات، وكلها جاءت في كتب اللغة.

وقوله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ^(٤)، معناه:

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٦.

(٢) سورة القصص، الآية ٢٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

(٤) سورة الرعد، الآية ٢٨.

إذا ذَكَرَ اللهُ بَوَحْدَانِيَّتِهِ آمَنُوا بِهِ غَيْرَ شَاكِّينَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾^(١)، قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ مُسْتَوِطِنِينَ الْأَرْضَ.

قال ابن فارس^(٢): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾^(٣) أي: على وجهٍ، لأن العبد يجب عليه طاعة الله جل ثناؤه عند السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء وعصاه عند الضراء فذاك ممن عبد الله على حرف، ألا ترى أنه قال: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾^(٤)، وإنما تجب على العبد طاعة الله عَزَّوَجَلَّ على كل حال .

فوائد التفأول وثمراته:

أهم فوائد التفأول:

١- أنه يجعلنا متوكِّلين على الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، ونُحَسِّنُ الظنَّ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويبعث في نفوسنا الرجاء، ويقوِّي عزائمنا، ويُجَدِّدُ فينا الأمل، ويدفعنا لتجاوز المَحَنِّ، ويُعوِّدُنَا الاستفادة من المحنة لتتقلَّبَ إلى منحة، وتتحول المصيبة إلى غنيمة، ولا ننسى أنَّ التفأول شعبةٌ من شعب الإيمان، فالمؤمن يفرح بفضل ربه وبرحمته، ولو لم يفعل. ذلك ويُسِّ؛ فَإِنَّ إِيْمَانَهُ سَيَنْقُصُ وَلَا رَيْبَ.

٢- يمنحنا التفأول القدرة على مواجهة المواقف الصعبة، واتخاذ القرار المناسب، ويجعلنا أكثر مرونةً في علاقاتنا الاجتماعية، وأكثر قدرةً على

(١) سورة الإسراء، الآية ٩٥ .

(٢) مجمل اللغة لابن فارس، (ص ٢٢٦) .

(٣) سورة الحج، الآية ١١ .

(٤) سورة الحج، الآية ١١ .

التعايش مع الناس؛ لذا ترى الناس يُحبون المتفائلين ويخالطونهم، وينفرون من المتشائمين.

٣ - أنه يمنحنا السعادة، سواء البيت، أو العمل، أو بين الأصدقاء والأحبة، بل إن الدراسات العلمية المعاصرة تربط بين التفاؤل، وبين الصحة النفسية والعقلية والبدنية، ومن هنا كان التفاؤل من أعظم أسلحة الإنسان التي يتسلح بها من جميع الأمراض، النفسية والبدنية، والعقلية، والقلبية.

والمفائلون سرعان ما يبرؤون من أمراضهم؛ مقارنةً بغيرهم من المتشائمين، ويقال: إنَّ التفاؤل مريح لعمل الدماغ: فالطاقة المبذولة من الدماغ - لحظة التفاؤل - خلال عشر ساعات؛ أقل بكثير من الطاقة المبذولة - لحظة التشاؤم - لمدة خمس دقائق.

لذا يجب أن نربي أنفسنا على التفاؤل في أصعب الظروف، وأقسى الأحوال، فهو منهج لا يستطيعه إلا أفذاذ الرجال.

فالمتفائلون هم الذين يصنعون التاريخ، ويسودون الأمم، ويقودون الأجيال.

أما اليائسون والمتشائمون، فلن يستطيعوا أن يبنوا حياةً سوية، وسعادةً حقيقية في داخل ذواتهم، فكيف يصنعونها لغيرهم، أو يُبشرون بها سواهم؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

أخي وعزيزي القارئ الكريم؛ سوف أخص لك أهمية التفاؤل في نقاط لتحصل على فائدة أرقى وأفضل.

أهمية التفاؤل في الإسلام:

حثت الشريعة الشرعيّة على التفاؤل، ونبذ التشاؤم واليأس والقنوط، وأشار إلى أنّ غياب التفاؤل نابع من غياب الفقه في الدين، ومن القصور في فهم مقاصد التشريع.

وفيما يلي بيان لأهمية التفاؤل:

أولاً: إنها عقيدة لدى المسلم؛ فهو ناشئ من حسن ظنه بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وتوكله عليه، ويقينه بأن ربّ الخير لا يأتي إلا بالخير.

ثانياً: يعمل على تقوية الثقة بالله - **عَزَّوَجَلَّ** - والاعتماد عليه، ويغرس معاني اليقين به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأنّ كل ما يحصل للإنسان هو تقدير العزيز العليم. إنه أمرٌ مُستحسنٌ؛ باعتبارها حافزاً لهم على تحقيق الأهداف وتقوية الأفضل دائماً.

ثالثاً: يغرس الطمأنينة في النفوس؛ ومن خلال صدق توكلها على الله، وتوقعها لأفضل الخيارات في كل الظروف والأحوال، وذلك بعد الأخذ بالأسباب.

آياتٌ حاثّةٌ على التفاؤل والاستبشار، هناك الكثير من الآيات القرآنية التي تدعو المسلم ليكون من المتفائلين المستبشرين، ومنها ما يأتي:

١- قول الحق - **عَزَّوَجَلَّ** - في سورة يوسف: ﴿ **وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ (٨٧) ^(١)، فقد حرم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في القرآن الكريم اليأس، وأنه قرينٌ للكفر، والمسلم فيحمل من اليقين بالله

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

ما يجعله يستبشر دائماً بما هو خيرٌ.

٢- آيات تدعو إلى نبذ التشاؤم، وفي سياق نبذ التشاؤم، والدعوة إلى السكون والثقة بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؛ جاء على لسان الحبيب المصطفى - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قول الله - **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** - : **﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾** ^(١).

وفي هذه التربية للمسلمين دعوة لتقوية الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وربط الأسباب والنتائج بأسبابها، بعد التوكل على الله.

التفاؤل في السنة النبوية:

ورد التفاؤل في السنة النبوية في أحاديث كثيرة، كيف لا!! وقد كان الرسول الأعظم، - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يدعو إلى التفاؤل، ويحث عليه؛ وهذا من حسن ظنه بالله وتوكله عليه، ولقد ذُكِرَت السيرة النبوية بهذه المعاني؛ ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن ما يأتي:

١- عن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قال: (إِذَا بَعَثْتُمْ إِلَى رَسُولٍ فَاجْعَلُوهُ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الْأَسْمِ) ^(٢)؛ وفي هذا الحديث واضح أنه - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كان يُحِبُّ الْفَأَلَ الْحَسَنَ.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: لَا طَيْرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: (الْكَلِمَةُ

(١) سورة التوبة، الآية ٤٠ .

(٢) رواه البزار، رقم: (٨٦٣٠)، والطبراني في الأوسط، رقم: (٧٧٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٣) .

الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ) (١).

٣- عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بَلِيلٌ لَمْ يُغْرِ بِهِمْ حَتَّى يُصْبَحَ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ - يَعْنِي الْجَيْشَ - فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: خَرِبَتْ خَيْبَرُ؛ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) (٢).

وتبين بجلاء كيف استبشر - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأن مدينتهم ستخرب، ويصدق العلو والنصر للمسلمين.

كن متفائلاً بالخير دائماً تجده :

مهما كانت حياتك معقدة، وأهدافك غير واضحة المعالم تيقن أن تفاؤلك بالخير هو الذي يجعلك تستمر، مهما تعثرت ضع في قلبك أن القادم أفضل؛ لأن التفاؤل هو سر استمرار الحياة، فلو لا تفاؤلنا بأن أهدافنا ستتحقق لما أكملناها وسرنا في طريق تحقيقها فكن متفائلاً.

كن متفائلاً وأحسن الظن بالله، وكن واثقاً بالحليم الكريم الرحيم، فلا يعقب الأحزان إلا «سعادة» ولا يعقب الحرمان إلا «عطاء». ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] (٣).

(١) تقدم تخريجه صفحة ١٣ .

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦١٠)، ورقم: (٢٩٤٥)، ومسلم، رقم: (١٣٦٥) .

(٣) سورة الطلاق، الآية (٧) .

المطلب الثالث

مشروعية التفاؤل



التفاؤل صفة إيجابية للنفس السوية، يترك أثره على تصرفات الإنسان ومواقفه، ويمنحه سلامة نفس وهمة عالية، ويزرع فيه الأمل، ويحفزه على الهمة والعمل، والتفاؤل ما هو إلا تعبير صادق عن الرؤية الطيبة والإيجابية للحياة .

التفاؤل من الصفات الحميدة التي كان يُحبُّها رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -، وهو من آثار حُسْنِ الظن بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، والرجاء فيه، بتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الطيب، ويُعتبر التفاؤل من الصفات الرئيسة لأي إنسان ينشد السعادة والنجاح.

وللتفاؤل قيمة اجتماعية مميزة؛ إذ يرغب الناس في صحبة المتفائل، في الوقت الذي يَفِرُّون فيه من المتشائم، كما أنهم يميلون إلى سماع الأخبار والأحاديث المتفائلة أكثر من المتشائمة؛ بل كثيراً ما يُوصي الناس بعضهم البعض بالتحلي بصفة التفاؤل، والابتعاد عن التفكير التشاؤمي، وتعظم الحاجة إلى التفاؤل في أوقات الأزمات والشدائد، فأوقد جذوة التفاؤل، وعش في أمل وعمل، ودعاء وصبر، ترتجي بعض الخير، وتحذر من الشر.

وإن سأل سائل : ما تعريف التفاؤل ؟

فيقال له : التفاؤل : هو توقع حصول الخير في المستقبل، وبضد ذلك المتشائم التي يتوقع حصول الشر.

ومن النصوص الدالة على مشروعية التفاؤل:

١- قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا طَيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ». قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»^(١).

وفي رواية: «لَا عَدَوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ، الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ» سبق تخريجه وفي رواية: «وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ». قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»^(٢).

قال ابن عباس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - : (الفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل من طريق حُسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء فلذلك كُرِهَتْ)^(٣).

٢- ثبت أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يُحِبُّ أن يُسْتَبَشَرَ بالخير، وكان ينهى قومه عن كلمة (لو)؛ لأنها تفتح عمل الشيطان، فهي من أوسع أبواب التشاؤم، يتضح ذلك في توجيهه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اسْتَعْنُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٤).

٣- كان منهج النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - التفاؤل، ويتجلى ذلك في تطبيقه لقول الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥)؛ بل جعل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - اليأس من الكبائر؛ فلما سأله رجل عن الكبائر؟ أجابه

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٧٥٤)، ورقم: (٥٧٥٥)، ومسلم، رقم: (٢٢٢٣).
(٢) رواه البخاري، رقم: (٥٧٧٦).
(٣) فتح الباري، لابن حجر، (١٠ / ٢١٥).
(٤) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤).
(٥) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

بقوله: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْإِيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ^(١)».

أخي العزيز المتفائل إِنَّ أعلى درجات التفاؤل هو التفاؤل في أوقات الأزمات، ولحظات الانكسارات، وساعات الشدائد، فتنوَّعَ الخيرَ وأنت لا ترى إِلَّا الشرَّ، والسعادةَ وأنت لا ترى إِلَّا الحزنَ، وتنوَّعَ الشفاءَ عند المرض، والنجاحَ عن الفشل، والنصرَ عند الهزيمة، وتنوَّعَ تفريجَ الكرب ودفعَ المصائب عند وقوعها، فالتفاؤل في هذه المواقف يُولد مشاعر الرضا والثقة والأمل.

والتفاؤل له أساسان:

الأول: حُسن الظن بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغير سبب مُحَقَّق. والمسلمُ مأمور بحُسن الظن بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** على كل حال. والثاني: التوكل على الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: وهو من أسباب النجاح.

صفات المتفائل:

من صفاته أنه منبسط الأسارير، مشرق الوجه، واسع الصدر، مبتسم الثغر. قاموسه: الأمل، والنجاح، والسعادة، والانتصار، والارتقاء، والتعاون، والحب، والتوكل على الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وحُسن الظن به.

أعظم مصدرٍ للتفاؤل:

أعظم مصدرٍ للتفاؤل هو القرآن الكريم، الذي يمنحنا التفاؤل والفرح والسرور، ويعطينا الأمل: فمن أسرف على نفسه بالمعاصي ووقع في فخ

(١) رواه الطبراني في الكبير، رقم: (٨٧٨٣)، والبيهقي، رقم: (١٠١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الفوائد: إسناده حسن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٧/ ١١٦).

الشیطان؛ فعليه أن يتدبّر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١)، وسيشعر بالفرحة والسرور، والبشر والحبور.

والذي خسر ماله؛ إذا قرأ الآية الكريمة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨)، كيف سيكون أثرها عليه؟.

وهذا الذي يدعو الله تعالى، ولم يتحقق دعاؤه، إذا قرأ قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ (٣) فالخير قد يكون في الشر، والسعادة قد تكون في الشدة، والفرح قد يكون في الحزن.

بل كل المصائب والشدائد إذا ما قورنت برحمة الله وفضله هانت وتلاشت، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) فتلك البشري للمتفائلين الواثقين برحمة الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -.

وتأمل حاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في (قَرْنِ الثَّعَالِبِ) يمشي مهموماً بعد أن طرده بنو عبدِ يالِيلَ وآذوه ورجموه حتى أدموه، وأملأ من قريش مصمّمون على منع عودته إلى مكة، وقد جاءه ملك الجبال فقال: إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فأجابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكله تفاؤل وأمل، وصبر، ورحمة، وبُعد نظر، واستشراف للمستقبل: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ

(١) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٢) سورة يونس، الآية ٥٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٤) سورة البقرة، الآيات ١٥٦-١٥٧.

مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً^(١) .

أيها القراء الكرام..

ولكي يَصِلَ بنا التفاؤل إلى شاطئ السعادة والنجاح: لابد وأن يقترن بالجدية وبالعَمَلِ الدؤوب، وبمزيد من السعي والفاعلية، وإلا كان هذا التفاؤل مُجَرَّدَ أُمْنِيَّاتٍ وَأَحْلَامٍ وضرب من الأوهام، فالإغراق في التفاؤل بدون عمل؛ يُعْتَبَرُ هَرُوباً من الواقع، وقراءة خاطئة .

للتفاؤل فوائد كثيرة ومتنوعة، لو علمناها لزال عنا كثير من الأحزان والهموم والتشاؤم، ومن أهم فوائد التفاؤل: أنه يجعلنا متوكِّلين على الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ونُحَسِّنُ الظن به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويبعث في نفوسنا الرجاء، ويقوّي عزائمنا، ويُجَدِّدُ فينا الأمل، ويدفعنا لتجاوز المَحَن، ويُعوِّدنا الاستفادة من المحنة لتتقلب إلى منحة، وتتحول المصيبة إلى غنيمة، ولا ننسى أنَّ التفاؤل شعبةٌ من شعب الإيمان، فالمؤمن يفرح بفضل ربه وبرحمته، ولو لم يفعل ذلك ويئس؛ فإنَّ إيمانه سينقص ولا ريب.

ويمنحنا التفاؤل القدرة على مواجهة المواقف الصعبة، واتخاذ القرار المناسب، ويجعلنا أكثر مرونةً في علاقاتنا الاجتماعية، وأكثر قدرةً على التعايش مع الناس؛ لذا ترى الناس يُحبون المتفائلين ويخالطونهم، وينفرون من المتشائمين.

ومن الفوائد العظيمة للتفاؤل :

أنه يمنحنا السعادة، سواء البيت، أو العمل، أو بين الأصدقاء والأحبة؛ بل إن الدراسات العلمية المعاصرة تربط بين التفاؤل، وبين الصحة النفسية

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم: (١٧٩٥) .

والعقلية والبدنية، ومن هنا كان التفاؤل من أعظم أسلحة الإنسان التي يتسلح بها من جميع الأمراض: النفسية والبدنية، والعقلية، والقلبية.

والمتفائلون سرعان ما يبرؤون من أمراضهم؛ مقارنةً بغيرهم من المتشائمين، ويقال: إنَّ التفاؤل مريح لعمل الدماغ: فالطاقة المبذولة من الدماغ - لحظة التفاؤل - خلال عشر ساعات؛ أقل بكثير من الطاقة المبذولة - لحظة التشاؤم - لمدة خمس دقائق.

يجب أن نربي أنفسنا على التفاؤل في أصعب الظروف، وأقسى الأحوال، فهو منهج لا يستطيعه إلا أفذاذ الرجال.

فالمتفائلون هم الذين يصنعون التاريخ، ويسودون الأمم، ويقودون الأجيال.

أمَّا اليائسون والمتشائمون، فلن يستطيعوا أن يبنوا حياةً سوية، وسعادةً حقيقية في داخل ذواتهم، فكيف يصنعونها لغيرهم، أو يُبشِّرون بها سواهم؟ وفاقد الشيء لا يعطيه للغير.

الثاني: التوكل على الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

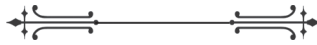
والتوكل: هو اعتماد القلب على الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في استجلاب المصالح ودفع المضار، ومعناه: تفويض الأمر لله - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** -، والاستعانة به في جميع الأمور، وربط الأشياء بمشيئته **جَلَّ وَعَلَا**، وهو: صفة إيمانية، ويقين، وثقة.

والتوكل مقرون بالسعي والحركة، وعند مبادئ الأمور، وفي سائر الأحوال، ولا يتحقق معناه بغير عمل، فمن أراد الرزق أو النجاح، بذل الجهد متوكلاً على الله، وترك العمل تواكل وهو مذموم، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**:

﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣) ﴿١﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (٥٨) ﴿٢﴾ .

عقد فصل من أخبار المشائمين من أخبار المتفائلين.



(١) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٥٨ .

المبحث الثاني

أسلوب القرآن الكريم في تربية النفوس
على التفأول

وفيه مطلبان:

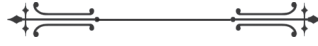
المطلب الأول: إيراد نماذج من تفأول الصالحين المؤمنين
الموقنين، ونماذج من أحوال المتشائمين.

المطلب الثاني: إشاعة التفأول في وقت الأزمات والشدائد
والمعضلات.



المطلب الثاني

إشاعة التفأول في وقت الأزمات والشدائد والمعضلات



يجب علينا النظر والتأمل إلى كتاب الله في كل أمورنا، ونأخذ منه الدروس والعبر ونستفيد من حوادث الزمان وسُنن الله في الأفراد والشعوب والمجتمعات وكيف كان الأمل بالله والثقة به والتفأول سبباً للنجاة والتغيير والتحول إلى حياة أفضل وكيف تحققت الأمنيات واستجيبَت الرغبات من رب الأرض والسموات..

- لما جاءت إبراهيم عليه السلام البشرى بالولد في سن كبير أبدى تعجبه فقال: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا يُبَشِّرُونَ ﴾ (٥٤) ﴿١﴾ فماذا كان جوابهم: ﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَنِيطِينَ ﴾ (٥٥) ﴿٢﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴿٣﴾ .

- ويعقوب عليه السلام وقد فقد ولديه وبصره أربعين عاماً، وما زال أمله بالله أن يردهما إليه وأن يجمعهما به فكان يوصي أبناءه قائلاً لهم: ﴿ يَبْنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٧) ﴿٣﴾ وحقق الله أمل يعقوب ورجاءه، وَرَدَّ عَلَيْهِ بَصْرَهُ وَوَلَدِيهِ.. لم يتطرق اليأس إلى قلبه لحظة واحدة لأن قلبه موصل بالله متوكل عليه واثق من فرجه وقدرته ورحمته.

(١) سورة الحجر، الآية ٥٤ .

(٢) سورة الحجر، الآيات ٥٥-٥٦ .

(٣) سورة يوسف، الآية ٨٧ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٦٢ .

رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كَنْبٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ (١).

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ وضاق لما به الصدرُ الرحيبُ
أَوْطَنْتِ الْمَكَارَهُ وَاطْمَأْنَنْتِ وَأَرَسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ
ولم تر لانكشافِ الضرِّ وجهها ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ يمنُّ به اللطيفُ المستجيبُ
وكل الحادثاتِ وإن تناهت فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

أخي القارئ الكريم - فما أحوج الناس اليوم إلى اتباع سيرة نبينا -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ (٢).

إن واقع أمة الإسلام اليوم، وما هي فيه من محن ورزايا، ليستدعي
إحياء صفة التفاؤل، تلك الصفة التي تعيد الهممة لأصحابها، وتضيء
الطريق لأهلها، والله الموفق.

كن بَلَسْمًا :

كن بَلَسْمًا إِنْ صَارَ دَهْرُكَ أَرْقَمًا وحلاوةً إِنْ صَارَ غَيْرُكَ عَلْقَمًا
إِنَّ الْحَيَاةَ حَبَّتَكَ كُلَّ كُنُوزِهَا لا تَبْخَلَنَّ عَلَى الْحَيَاةِ بَعْضَ مَا

(١) سورة الأنعام، ٥٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

أَحْسَنُ وَإِنْ لَمْ تُجْزَ حَتَّى بَالِثَنَا أَيَّ الْجِزَاءِ الْغَيْثُ يَبْغِي إِنْ هَمَّى؟
مَنْ ذَا يُكَافِي زَهْرَةً فَوَّاحَةً أَوْ مَنْ يُثِيبُ الْبَلْبَلَ الْمُرْتَمَا؟

قصة عنوانها: التفاؤل سرّ النجاح على الرغم من صعوبة المواد الدراسية:

التفاؤل سرّ النجاح على الرغم من صعوبة المواد الدراسية، لم يكن لدى محمد أدنى شك من أنه سينجح ويحقق ما يريد، فقد كان يسمع كلمات التشاؤم من أصدقائه ويشعر بالانزعاج الكبير؛ لأنهم يتدفقون بالطاقة السلبية، ويقولون كلمات كثيرة لا تليق بالنفسية المتفائلة، لهذا لم يستمع محمد لهم، ولم يركن إلى الكسل والخمول واليأس الذي كان يسكن في نفوس الجميع، لأنه يعلم جيداً بينه وبين نفسه أن التفاؤل هو سبيل النجاح، وهو سُنَّةُ الأنبياء الكرام، التفاؤل نهج الأشخاص الناجحين الذين يظنون بالله كل الخير، ولا يتوقعون إلا الخير، ويحتفظون بأمل دائم يسكن نفوسهم، ولا يحاولون أبداً أن يبتثوا التشاؤم في الآخرين أو يكثرُوا من الشكوى التي لا يوجد أي فائدة منها، وهذا كله منح العبرة لمحمد كي لا يخاف من الامتحانات وصعوبتها، وفي أول يوم من الامتحانات دخل إلى قاعة الامتحان بعزيمة وأمل وتفاؤل وثبات، وصمّم على أن يضع كل ما في وسعه كي ينجح وظلّ متفائلاً بأنه سيكون من المتفوقين.

بعد ظهور النتائج، كانت نتيجة محمد هي النتيجة الأفضل على الإطلاق، وذهبت كل سخرية الزملاء من تفاؤله هباءً منثوراً لأنه تفوق عليهم، وفي الوقت الذي حافظ فيه على تفاؤله ورباطة جأشه وتوقعه

لأفضل، حصل على ما توقع وهو التفوق والنجاح، وحصل زملاؤه على ما توقعوا وهو الفشل والسقوط، فالإنسان يستطيع أن يصنع الأمل والتفاؤل لنفسه بأن يحسن ظنه بربه.

التفاؤل يصنع الحياة :

قصة أخرى بعنوان: التفاؤل من الإنسان والشفاء من الرحمَن.

في أحد المدن كان يعيش شاب مع أسرته بسعادة كبيرة، وكان يتبوأ مركزاً مرموقاً ويتطور في عمله دائماً؛ وكان مقبلاً على الحياة ولديه طموحات وآمال كثيرة وكان يملك روح التفاؤل والمرح لهذا يحتفظ دوماً بابتسامة جميلة يُحبّها الجميع. في يوم شعر الشاب ببعض الأعراض المتعبة التي أجبرته على أخذ إجازة من العمل وظن الشاب أن هذه الأعراض ستزول تلقائياً وأن ما يشعر به هو نزلة برد أو إنفلونزا، لكن المرض ظل يشتد عليه حتى اضطر للذهاب إلى الطبيب، ومجرد أن شرح الأعراض للطبيب شك الطبيب بمرض ما لكنه لم يجزم بإصابة الشاب بالمرض إلا بعد أن طلب منه إجراء بعض الفحوصات، عندما ذهب الشاب إلى الطبيب وعرض عليه نتيجة الفحوصات كان الخبر الصاعق بانتظاره، فالشاب مصاب بسرطان الدم وعليه أن يبدأ بالعلاج الكيميائي فوراً، وأخبره الطبيب أنه في مرحلة متقدمة من المرض وربما لن يكون أمامه الكثير من الوقت ليعيش. على الرغم مما قاله الطبيب للشاب؛ وعلى الرغم من نظرات الشفقة التي كان ينظر بها الناس له وهم يتوقعون موته في أية لحظة، ظل محتفظاً بروح التفاؤل وقرّر أن يخضع للعلاج ويُحاول به مهما كان الظرف صعباً؛ لأنّ إرادة الله فوق كل شيء؛ وفعلاً بعد مرور عدة

أشهر من العلاج شُفي الشاب تمامًا وتحقق تفاؤله بالشفاء.

«والعبرة من هذه القصة هي جملة واحدة» تفاعل بما يريد سيتحقق» .

التفاؤل سر السعادة والنجاح والرزق:

التفاؤل سرّ السعادة في إحدى المزارع الجميلة كان يعيش فلاح نشيط يزرع أرضه في بداية كل موسم؛ ويحافظ عليها من كل شيء؛ ويرش الزرع بالمبيدات الحشرية ويحميها من القوارض والللصوص، في أحد المواسم تأخر المطر كثيرًا مما دعا جميع المزارعين الذين يملكون مزرعة مجاورة الفلاح النشيط أن يمتنعوا عن زراعة أرضهم؛ لأنهم كانوا متأكدين من أن الزرع لن ينمو وسيموت كله ولن يأتي المطر، لكنّ الفلاح النشيط حرث أرضه وبذرها وظلّ متفائلًا بأن المطر لا بدّ سيهطل قريبًا وأنّ الزرع سينمو وسيقطف ثماره، ولن يخسر أبدًا وستصبح أرضه خضراء، ظلّ الفلاح يدعو الله أن يهطل المطر أن لا يذهب تعبهُ سدى وكان على يقين بأنّ تفاؤله بقدوم المطر لن يخيب؛ وفي غمرة كل هذا استيقظ الفلاح النشيط على أجمل صوت كان ينتظره بفارغ الصبر وهو صوت المطر؛ فعلاً نزل المطر أخيرًا وسقى الزرع واخضرت الأرض وامتلات بالثمار والزهور واللون الأخضر الجميل؛ وكان التفاؤل صادقًا جدًّا، لقد ندم جميع الفلاحين اللذين لم يزرعوا أرضهم وتعلموا من الفلاح النشيط أن يتفاءلوا دومًا مهما كانت الظروف.

قُلْ لِّلَّذِي مَلَأَ التَّشَاوُمَ قَلْبُهُ وَمَضَى يَضِيقُ حَوْلَنَا الْآفَاقَا

سُرُّ السَّعَادَةِ حُسْنُ ظَنِّكَ بِالَّذِي خَلَقَ الْحَيَاةَ وَقَسَّمَ الْأَرْزَاقَا

جاء هذا البحث محاولة لإيضاح منهج القرآن الكريم في طرح موضوع التفاؤل، وتلمسًا لآياته التي تبعث في النفوس المكلومة، والقلوب المحبطة باعث الأمل، الذي يحيل الأتراح إلى أفراح، ويجلي حكم الله في كل نازلة بما يطمئن قلب المؤمن ويجعله مسلمًا لأمر الله.

التفاؤل في زمن اليأس:

إن التفاؤل روح تسري في الروح؛ فتجعل الفرد قادرًا على مواجهة الحياة وتوظيفها، وتحسين الأداء، ومواجهة الصعاب، والناس يتفاوتون في ملكاتهم وقدراتهم، ولكن الجميع قادرون على صناعة التفاؤل، فالجبرية المطلقة انتحار، واعتقاد المرء أنه ريشة في مهب الريح، أو رهن للطبائع والأمزجة التي رُكب عليها أو ورثها عن والديه، أو تلقاها في بيئته الأولى، وأنه ليس أمامه إلا الامتثال، كل ذلك يعتبر إهداراً لكرامته الإنسانية، فلا بد من قرار بالتفاؤل، فالتفاؤل قرار ينبثق من داخل النفس هذا أولاً.

ثانياً: المظهر والشكل الموحى بالثقة في المشي والحركة، والالتفات والقيام، والقيود والنظر، والكلام والمشاركة مهم؛ فلا تتوهم أن الناس ينظرون إليك بازدراء، واثق الخطوة يمشي ملكاً، وحتى تلك العيوب أو الأخطاء في مظهرك وشكلك وحركتك عليك ألا تقف عندها طويلاً، ولا تعرها اهتماماً زائداً.

ثالثاً: تدرب على الابتسامة، وكن جاهزاً لتضحك باعتدال، فتبسمك في وجه أخيك صدقة، والبسمة تصنع في قلبك وحياتك الكثير خصوصاً إذا كانت ابتسامة حقيقية يتوافق فيها القلب مع حركة الوجه والشفيتين، وليست ابتسامة ميكانيكية.

إن النكت الطريفة في حياة الناس حقيقة قائمة يصنعونها أو يروونها، فالوقورون والمشاهير، والعلماء والساسة، ومن يحافظون على مهابتهم أمام الناس يتبادلون الطرائف والظرف والنكت في مجالسهم الخاصة وأحاديثهم وبيوتهم، وليالي سهرهم وسمهرهم، وأحياناً النكت الثقيلة، وقد كان الشافعي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول: «ليس من المروءة الوقار في البستان».

ولا شك أن لكل شيء قدراً، فليس المقصود أن يتحول الإنسان إلى كائن ضاحك، لا هم له إلا الضحك، ولا بد من وضع الأمر في نصابه، ولكن ينبغي أيضاً أن نتذكر أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي جُبل على الضحك؛ فهي إحدى خصائصه، وعليه ألا يهدره^(١).

ونحن نرى ما نرى من الابتلاءات والشدائد التي تمر به أمة الإسلام من قتل وتشريد، وبعد عن الإسلام وهجر له، وشماتة بالمسلمين، وما رافق ذلك من المعاصي والذنوب، وبالتالي الفتن والمصائب هنا وهناك؛ لا بد أيضاً أن نفتح أعيننا على الجوانب المشرقة التي تحققت للأمة في العقدين الأخيرين على مستوى الشعوب على الأقل؟! فمن ذا الذي ينكر هذا الخير العميم الذي انتشر في بلاد الإسلام؟.

ومن الذي يكابر في هذه الأفواج الكبيرة العائدة إلى الله، أو الداخلة في دين الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -؟! .

(١) موقع الإسلام اليوم من مقال ل د. سلمان بن فهد العودة.

كم هم حفظة القرآن؟!

كم هم المشتغلون بحفظ السنة؟

ألم تر عينك أفواج الشباب التي تعتكف في الحرمين في العشر الأواخر من رمضان؟.

ألم تسمع عن أخبار المجاهدين الذين روى أرض الجهاد بدمائهم في فلسطين، وأفغانستان، والشيشان، وكشمير، والعراق وغيرها من البلاد؟! متى كان الشباب يعلنون أن أغلى أمانيتهم أن يموت أحدهم شهيداً؟! كم هن النساء اللاتي عدن إلى الحجاب وهن في وسط الفتن، رغم قوة الصوارف والمغريات؟!.

إن هذه مكاسب كبرى يجب أن تكون رافعةً لهمتتنا، ومبشرةً لنا بأن عمل من سبقنا من المصلحين - رغم ضعف إمكانياتهم، وقلة اتصالاتهم - أعطى ثماراً يانعة.

إن بشارات النصر تلوح في الأفق، وهي - بمقياس الزمن الطويل - ليست بعيدة - بإذن الله، ولكننا - أحياناً - نستعجل، وربنا لا يعجل لعجلتنا. يقال هذا، وتذكر هذه البشائر؛ ونحن جميعاً نعلم أن في الأمة جوانب كثيرة تحتاج إلى إصلاح، نعم لكن لماذا نستمر في جلد ذواتنا، وتحطيم ما شُيّد من جهود كبيرة، وكأننا لا نملك أي بصيص من الأمل؟! قلب نظرك أخي في صفحات التاريخ فستجد أن الأمة مر بها أنواع من الفتن والابتلاءات أضعفتها، وأنهكتها فترة من الزمن، ولكنها عادت بعد ذلك قويةً، وحسبنا هنا أن نشير إلى إحدى الابتلاءات الكبار التي تعرضت لها

الأمة وهي غزو التتار، ونسوق كلام عالمين أرّخا ورصدا مشاعر الأمة في تلك الفتنة العمياء الصماء، أحدهما أدرك أولها، والآخر أدرك آخرها.

أما الذي أدرك أولها فهو العلامة ابن الأثير في كتابه «الكامل» حيث يقول في أحداث سنة ٦١٧ هـ:

«لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه نعي الإسلام والمسلمين؟»

ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟

فيا ليت أُمّي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاحين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض

العالم، وتفننى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١).

وهذا الوصف من ابن الأثير وهو بعد لم يدرك تلك الفاجعة العظمى والنكبة الكبرى لسقوط بغداد، ونهاية الخلافة الإسلامية الكبرى، يقول ذلك وهو لم يعلم بتجاوز التتار بلاد العراق إلى بلاد الشام، وما تبع ذلك من مأس ومصائب، والتي وصفها إمام آخر وقف على أحداثها يصفها ويشخص فيها أحوال الناس، ويصور مشاعرهم ومواقفهم بدقه وخبرة؛ وحين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - : «فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسُنَّةِ الله وأيامه في عباده ودأب الأمم وعاداتهم، لاسيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها، واستطار في جميع ديار الإسلام شررها، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجثث ويخترم، وحبل الإيمان أن ينقطع وينصرم، ودار المؤمنين أن يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أن ما وعدهم الله، ورسوله إلا غرورا، وأن لن يتقلب حزب الله ورسوله إلى أهلهم أبداً، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتركت اللبيب لكثرة الوسوس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللفهان، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان

(١) الكامل في التاريخ، (١٠ / ٣٣٣).

من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان، ورفع بها أقواماً إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية، وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامه مختصرة من القيامة الكبرى، وفرّ الرجل فيها من أخيه، وأمه وأبيه، إذ كان لكل امرئ منهم شأن يغنيه، وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه لا يلوي على ماله ولا ولده ولا عرسه، وبلت فيها السرائر، وظهرت الخبايا التي كانت تكنها الضمائر، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المال^(١).

ثم لا بد أن نعلم أن من حكم الابتلاء: تمحيص الصفوف، تكفير الذنوب، وهذا أمرٌ بين، فكم هم الدخلاء على الصف الإسلامي الذين لا يعرفهم إلا الندرة من الناس، فإذا جاءت مثل هذه المحن والابتلاءات ميّزت الطيب من الخبيث، وشرح ذلك يطول جداً.

هذا دين الله الذي تكفل بنصره، وأمرنا بأن نسعى لذلك، ولم يكلفنا أن نحصد ثمرة النصر، بل هذه لم تطلب من الأنبياء والرسول - عليهم الصلاة والسلام - .

تأمل أخي.. لقد مات النبي - ﷺ - وهو لم يفتح من بلاد الإسلام القائمة اليوم إلا ما يشكل الربع تقريباً أو أقل، ولكن تابع أصحابه والتابعون لهم بإحسان الفتوحات، فوصلوا إلى حدود الصين شرقاً، وإلى جنوب فرنسا غرباً، وكل ذلك محسوب ومضاف إلى رصيده. فالواجب علينا أن نتبنى مشروعات دعوية تقوم على العمل المؤسسي

- إن أمكن - لأن ذلك أدعى لاستمرارها وبقائها، إذ لن يؤثر عليها موت شخص أو سجنه، بل هي تسير وفق خطة وسياسة واضحة يتلقاها اللاحق عن السابق.

وإني لأعجب من مسلم يقرأ قوله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۖ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۖ﴾ (١)، كيف يدب اليأس إلى قلبه؟.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله عنه ابن عبد الهادي في اختيارات ابن تيمية: وهذا يشكل على بعض الناس، فيقول: الرسل قد قتل بعضهم فكيف يكونون منصورين؟ فيقال: القتل إذا كان على وجه فيه عزة الدين وأهله كان هذا من كمال النصر، فإن الموت لا بد منه، فإذا مات ميتة يكون بها سعيداً في الآخرة فهذا غاية النصر، كما كان حال نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فإنه استشهد طائفة من أصحابه فصاروا إلى أعظم كرامة، ومن بقي كان عزيزاً منصوراً، وكذلك كان الصحابة يقولون للكفار: أخبرنا نبينا أن من قتل منا دخل الجنة، ومن عاش منا ملك رقابكم، فالمقتول إذا قتل على هذا الوجه كان ذلك من تمام نصره، ونَصْر أصحابه، ومن هذا الباب حديث الغلام الذي رواه مسلم لما اتبع دين الراهب، وترك دين الساحر، وأرادوا قتله مرة بعد مرة فلم يستطيعوا، حتى أعلمهم بأنه يقتل إذا قال الملك: بسم الله رب الغلام، ثم يرميه، ولما قتل آمن الناس كلهم، فكان هذا نصراً لدينه» (٢).

(١) سورة الصافات، الآيات ١٧١ - ١٧٣.

(٢) اختيارات ابن تيمية، (ص ٧٠-٧١).

وفي ظل هذه الفتن، وتتابع هذه المصائب؛ يجب ألا تشغلنا هذه الفتن عن عبادتنا الخاصة بيننا وبين ربنا، فالضرورة تتأكد بوجوب العناية بإصلاح القلب، وهذا يتحقق بأمور منها:

أ - التعلق بالله - عَزَّوَجَلَّ - دائماً، واللجوء إليه، وكثرة الإلحاح عليه بالدعاء، فإن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نعى على قوم أصيبوا بالضرراء، فلم يكن ذلك سبباً في تضرعهم قال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ (١).

فما أحوجنا إلى اللجوء والتضرع إلى ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى في كشف ضررنا، وإصلاح أحوالنا، والاستغاثة به في طلب النصر، وكبت العدو وخذلانه.

ب - لا بد لكل واحد منا من عبادة يلزمها، ويكثر منها، مع العناية ببقية العبادات، فإن للعبادة أثراً عظيماً في سكون القلب، واستقرار النفس.

وسبب ذلك - والله أعلم - أنه في زمن الفتن يخف أمر الدين، ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه، ومعاشه، ونفسه وما يتعلق به.

فمن فتح عليه في نوافل الصلوات، أو في الصيام، أو في الصدقة، أو في قراءة القرآن، أو في غيرها من العبادات؛ فليلزمها، وليكثر منها، فإنها من وسائل الثبات بإذن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -.

ج - الإقبال على قراءة القرآن بتدبر، وقراءته قراءة المستشفئ به، الطالب للهدى منه، المحرك لقلبه به، فإن ذلك من أعظم الأدوية وأنفعها

للقلب خصوصاً في هذه الأزمنة التي انفرط عقد الفتن ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

نسأل الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أن يعلي شأن هذه الأمة، وأن ينصر دينه إنه ولي ذلك والقادر عليه

النفس التواقفة دائماً تتوق إلى الأفضل:

أخي الكريم: ثق بالله وتوكل عليه واجعله عند ظنك الحسن، من سيرة خلفاء المسلمين وحكامهم الخليفة الراشد الأموي عمر بن عبد العزيز، مما يروى عنه من مآثور القول أنه قال: إن لي نفساً تواقفة، تآقت إلى فاطمة وتزوجتها، وتآقت إلى الإمارة فوليتها.. وتآقت نفسي إلى الخلافة فأدركتها.. وقد تآقت إلى الجنة فأرجوا إن أدركها إن شاء الله^(٢).

نفس الإنسان العظيم الكبير دائماً تطلب معالي الأمور، والإنسان الذي يطلب معالي الأمور لا يمكن أن يجد أمراً أعلى من أن يحقق ما يريده الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، يقول: تآقت نفسي إلى الإمارة فنلت الإمارة، فوجدتها ليست بالشيء الذي يملأ نفسي، ثم تآقت إلى الخلافة فنلتها، ولكن لم أجد الخلافة تملأ نفسي، فتآقت النفس إلى جنة الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

المال لا يغني النفس، والمتاع لا يغني النفس، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثاً)^(٣)

(١) مستفاد بتصرف من كتاب: «الأمة بين سنتي الابتلاء والعمل» (ج ١ / ص ٦٥).
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية، (٥ / ٣٣١)، وينظر: إحياء علوم الدين، (٣ / ٣٥٥)، والطبقات الكبرى ط العلمية (٥ / ٣١٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، (٢١ / ٤٤٥)، وسير أعلام النبلاء ط الرسالة، (٥ / ١٣٤).
(٣) رواه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨).

عندما يكون الإنسان فقيراً فيحصل على بيت، إذا به يريد بيتاً أحسن منه، وعندما يكون غنياً ويشترى قصراً، إذا به يريد قصراً أحسن منه، عندما يملك الإنسان الشيء من أمور الدنيا بعد ذلك لا يحترمه، لأن نفس الإنسان دائماً تريد الأعلى، ولذلك أدبنا القرآن الكريم بأدبين:

الأدب الأول: فيما يتعلق في أمور الدنيا:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (١).

أخي الكريم: عندما تنظر في أمور الدنيا إلى من هو أقل منك صحة وعافية ومالاً، فعند ذلك تحمد الله على نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة.

أما فيما يتعلق بأمر الآخرة فعليك النظر إلى الغني، الذي ينفق ماله في سبيل الله، وإلى المجاهد، الذي يبذل نفسه في سبيل الله، وإلى العالم، الذي يبذل وقته في سبيل الله، وتطلع دائماً لأن تكون واحداً من هؤلاء؛ ولذلك يقول الرسول ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو يسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يقضي به بين الناس) (٢).

هذان الاثنان يتطلع إليهما الذي يحسن النية، فيتمنى أن يكون له مثل ذلك الغني المنفق في سبيل الله، ومثل ذلك العالم الذي يعلم الخلق وهو صادق في نيته، ولكنه لا يستطيع أن يحقق ذلك، له مثل أجرهم، كما أخبر الرسول ﷺ أن خير الناس من آتاه الله علماً، فهو يسلطه على هلكته في الحق، ومن آتاه مالاً، ثم الذي يتمنى مثل ما لهذين فإنه ينال مثل

(١) سورة طه، الآية ١٣١.

(٢) رواه البخاري، رقم: (١٤٠٩)، ومسلم، ورقم: (٨١٦).

أجرهما، (فهما في الأجر سواء) ^(١) كما يقول الرسول ﷺ.

والذي لا يؤتى مالا ولا يؤتى في هذه الدنيا ما يتصرف فيه، ثم يتمنى أن يكون له مثل مال فلان المجرم السيئ من المال، يفسد كفساده، فهما في الوزر سواء، هذا لم ينل من الدنيا شيئا يحقق به ما يطلبه من أهواء وشهوات، ثم ينال في الآخرة مثل إثم هذا الإنسان الآثم الفاجر.

ففي مجال الدنيا ينبغي للمسلم ألا يشغل نفسه كثيراً، وألا ينظر إلى من هو أعلى منه، وفي مجال الآخرة ينبغي أن تتطلع همته إلى المنازل العالية، «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» ^(٢).

إِنِّي صَنَعْتُ مِنَ التَّفَاوُلِ مَرْكَبًا وَشَدَدْتُ مِنْ عَزَمِ الْيَقِينِ شِرَاعَهُ
أُبْحَرْتُ فِيهِ عَلَى الْإِلَهِ تَوَكُّلِي مَا خَابَ مِنْ اللَّهِ مَدُّ ذِرَاعِهِ

السيدة آسية بنت مزاحم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

**امرأة فرعون... نموذج للتفأول وقدوة في الأمل والصبر
والتضحية والدعوة واليقين:**

جاء في كتاب الله تعالى ﴿ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ ^(٣) ، وكان هذا على لسان آسيا، ففي الوقت الذي التقط فيه آل فرعون تابوت موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - من الساحل وحملوه إلى فرعون،

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٢٨)، وأحمد، رقم: (١٨٠٢٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، رقم: (٤٢٢٨)، وصحيح الترغيب، (١/ ١١٠).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٧٤٢٣).

(٣) سورة القصص، الآية ٩.

وقفت امرأة فرعون تدافع عن الطفل الصغير، وتذب دونه وتحب آل فرعون، وقد حزن الله قلبها عليه وعطفه وحببه إليها، كأشد ما يكون الحب ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾، فرجت نفعه وتوسمت فيه الخير، فتركه فرعون، وكان موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - سبباً في انتفاعه به وإنقاذها من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى النور، ورفع منزلتها ومقامها في الدنيا والآخرة.

وإن هذا الخطاب الرائع في متانته ورقته وإقناعه: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا^(١) له أثر في أعظم طاغية عرفه التاريخ البشري، وقد حمت موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - بتعاطفها وحبها.

وفي قول آسيا امرأة فرعون: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ فضل الفأل الحسن، وقد نالها ما رجت من النفع؛ أما في الدنيا فهداها الله به، وجعل لها أحسن الشاء في الآخرين بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) فاستعملها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِطاعته وصبرها.

ولقد ظهرت آسيا بنت مزاحم في حياة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ صاحبة دور، وأي دور!؛ إنه دور الأم والمربية والحاضنة ثم المؤمنة بالرسالة المتبرئة من فرعون وعمله، الداعية إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يغنيها عن قصرها في الدنيا بيت في الجنة.

إن آسيا بنت مزاحم كانت نموذجاً في الثبات وصلابة الإيمان وقوة

(١) سورة القصص، الآية ٩.

(٢) سورة التحريم، الآية ١١.

المعتقد، ولم يضرها كفر زوجها وطغيانه، إذ كانت مؤمنة بالله لأن من أحكام الله في خلقه ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزْرُهُ وَزَرَ أُخْرَى﴾ (٣٨) (١).

ليس عندنا كثير معلومات عن المرأة الصالحة «آسية بنت مزاحم» - امرأة فرعون - ، وكل ما ورد عنها من تفصيلات فمن الإسرائيليات، والتي لم تثبت بنص صحيح فيما نعلم .

لكن يظهر - والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أعلم - أنها ممن كان يخفي إيمانه عن فرعون ثم عُرف أمرها ، وهذا بعض ما ورد فيها ، مع بعض الشروحات :

١- قال الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١١) (٢).

٢- عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) (٣).

٣- عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال : خط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأرض أربعة خطوط قال تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ (أجمعين) (٤).

(١) سورة النجم ، الآية ٣٨ .

(٢) سورة التحريم ، الآية ١١ .

(٣) رواه البخاري، رقم: (٣٤١١)، ومسلم، رقم: (٢٤٣١) .

(٤) رواه أحمد، رقم: (٢٦٦٨)، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١١٣٥) .

٤- عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (قال حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون)^(١) .

٥- قال الحافظ ابن حجر : ومن فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتل على الملك والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه وكانت فراستها في موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ صادقة حين قالت ﴿ قَرَّتْ عَيْنِي لِي ﴾^(٢) .

النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعلم الصحابة التفأول :

لم يكتفِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتحقيق سمة التفأول في شخصه، بل كان يربي أصحابه عليها ويعلمهم إياها، ففي أشد المواقف وأصعبها كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغرس في نفوس أصحابه الضعفاء والمضطهدين التفأول والأمل، وعدم اليأس، واليقين بموعد الله ونصره لعباده المؤمنين.

- عن عدي بن حاتم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: بينما أنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي! هل رأيت الحيرة؟، قلتُ: لم أرها، وقد أنبتت عنها، فقال: إن طالت بك حياة لترين الظعينة - المرأة - ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، قلتُ في نفسي: فأين دَعَار طيئ - قطاع الطريق - الذين سعروا في البلاد؟!، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلتُ: كسرى بن هرمز؟! قال: كسرى بن هرمز!!، ولئن طالت

(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٨٧٨)، وصححه وأحمد، رقم: (١٢٣٩١)، وصححه الألباني

في صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم: (٣٨٧٨) .

(٢) فتح الباري، رقم: (٤٤٨ / ٦) .

بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله فلا يجد أحدا يقبله منه.

قال عدي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « فرأيتُ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالبت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخرج ملء كفه^(١) ».

- وعن خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: شكونا إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟، قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)^(٢) .

قال الحافظ في الفتح - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « يحتمل أن يريد صنعاء اليمن، وبينها وبين حضرموت من اليمن أيضاً مسافة بعيدة نحو خمسة أيام، ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهما أبعد بكثير^(٣) » ، ومن خلال غزوة الأحزاب وما فيها من ظروف عصيبة شديدة، وحصار جماعي من مختلف قبائل العرب واليهود بجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل، وشدة البرد والجوع

(١) رواه البخاري (٣٥٩٥) .

(٢) رواه البخاري (٣٦١٢) (٦٩٤٣) .

(٣) فتح الباري لابن حجر، (٦ / ٦١٩) .

والخوف، والمعاناة الشديدة في حفر الخندق، مع ذلك كله كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغرس في أصحابه التفائل والأمل، فيعدهم ويبشرهم بفتح الشام وفارس واليمن - .

- فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفر الخندق، قال وعرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوناها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء فأخذ المعول ثم قال: باسم الله، فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا) ^(١).

وفي مقابل اعتنائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعليم أصحابه وتربيتهم على التفائل الذي يبعث على الأمل والعمل، والصبر والثبات على الدين، كان يحذرهم من النظرة التشاؤمية التي تقعدهم عن العمل والدعوة، وتدفعهم للإحباط واليأس الذي لا يرى في الناس أملاً لصلاح أو هداية، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم) ^(٢).

أهلكهم على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر، قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: «الرفع أشهر ومعناه أشدهم

(١) رواه أحمد، رقم: (١٨٦٩٤)، والنسائي في السنن الكبرى، رقم: (٨٨٥٨)، والرويانى في المسند (٤١٠)، والبيهقي في دلائل النبوة، رقم: (٤٢١/٣).

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٦٢٣).

هلاكا، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة^(١).

إن المتأمل في سيرة رسول الله ﷺ يجدها نبعا ثريا لكل الأخلاق الطيبة، والصفات النبيلة، وكيف لا تكون سيرة - نبينا وحيينا - ﷺ كذلك وقد اصطفاه الله على بني آدم، وختم به أنبياءه ورسله .. فما أحوجنا إلى اتباع هديه - ﷺ - في التفأول بل في حياته وأخلاقه كلها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

نماذج وأحوال من التفأول عند النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ يحب التفأول وما يحمل معناه بصوره كافة، ويكره الشاؤم وما يحمل معناه بصوره كافة، وهذا كثير متواتر عنه ﷺ؛ فمن صورته:

أن النبي ﷺ لما جاء سهيل بن عمرو وقد أرسلته قريش للمفاوضة، قال: «لقد سهل لكم من أمركم»^(٣).

١- تفأوله ﷺ وبشره وتبسمه؛ فعن جرير رضي الله عنه قال: «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي، ولقد شكوت إليه أنني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ واجعله هاديا مهديا»^(٤).

(١) الجمع بين الصحيحين (٣ / ٢٨٧).

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٣) رواه البخاري (٢٧٣١).

(٤) رواه البخاري، رقم: (٣٠٣٥)، ورقم: (٦٠٨٩)، ومسلم، رقم: (٢٤٧٥).

٢- تفاؤله صلى الله عليه وسلم وتبسمه واستبشاره بالرؤى يراها في نومه؛ فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ذات ليلة فيما يرى النَّائمُ كأنَّا في دار عُقْبَةَ بنِ رافع، فأَتينا برُطَب من رُطَب ابن طاب، فأولَّت الرِّفْعَةَ لنا في الدُّنيا والعاقبة في الآخرة، وأنَّ ديننا قد طاب»^(١).

٣- تفاؤله صلى الله عليه وسلم يوم العَقْبَةِ بإيمان من أعرَضَ عن دَعْوَتِهِ، ودعاؤه لهم رَغَمَ ما أصابه يومها من الحُزنِ وشِدَّةِ الكُربِ؛ لَعَدَمِ إجابَتِهِم ما طلبه لهم من الخير.

- عن ابن شهاب، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - زوجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يا رسولَ اللَّهِ، هل أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أَحَدٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقْبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسي على ابنِ عَبْدِ يَالِيلَ بنِ عَبْدِ كُلالٍ، فلم يُجِبْني إلى ما أَرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ وَأنا مَهْمومٌ على وَجْهي، فلم أَستَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسي إِذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظْلَمَتْنِي، فَنَظَرْتُ إِذا فيها جَبْرِيلُ، فناداني، فقال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ قد سَمِعَ قولَ قَوْمِكَ لَكَ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بِما شِئْتَ فِيهِمْ، قال: فناداني مَلَكُ الجِبالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قال: يا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قد سَمِعَ قولَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأنا مَلَكُ الجِبالِ وقد بَعَثَني رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَني بِأَمْرِكَ، فما شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فقال له رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: بل أَرجو أن يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٢).

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٢٧٠).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم: (١٧٩٥).

٤ - تفاؤله صلى الله عليه وسلم بالنصر والعون والتمكين وانتشار الدين في أشد لحظات الألم والاستضعاف.

- عن خباب بن الأرت - رضي الله عنه -، قال: «شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(١).

٥ - تفاؤله صلى الله عليه وسلم مع ما يبلغه من معاندة قوم وإصرارهم على كفرهم، ورجاؤه الخير والهداية لهم.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس! قال: اللهم اهد دوساً وأت بهم»^(٢).

٦ - تفاؤله صلى الله عليه وسلم وسلم في الشدة والجذب بتحويل الرداء في صلاة الاستسقاء رجاء تحويل حال العسر لليسر.

- عن عباد بن تميم، عن عمه، قال: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي، فتوجه إلى القبلة يدعو، وحول رداءه، ثم صلى ركعتين جهراً فيهما بالقراءة»^(٣).

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٦١٢)، ورقم: (٦٩٤٣).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٩٣٧)، ومسلم، رقم: (٢٥٢٤).

(٣) رواه البخاري، رقم: (١٠٢٤)، ومسلم، رقم: (٨٩٤).

قال المهلب: «وتحويل الرداء إنما هو على وجه التَّفَاوُلِ بتحويل الحال عما هي عليه». (١)

نماذج من التَّفَاوُلِ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ:

تَفَاوُلُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَغِمَ تَأْمُرُ الْمَلَأُ عَلَيْهِ وخروجه إلى مَدْيَنَ دُونَ طَعَامٍ أَوْ كِسَاءٍ أَوْ صَدِيقٍ أَوْ بَيْتٍ، لَكِنَّهُ أَمَلَ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى السَّبِيلِ الصَّحِيحِ، والطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٦١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝٦٢﴾ (٢).

- وتَفَاوُلُهُ أَيْضًا حِينَ حَاصَرَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَكَادُوا أَنْ يُدْرِكُوهُ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمْ مُدْرِكُونَ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُمْ سِوَى الْبَحْرِ، فَثَبَّتَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِفَأَلِهِ الْحَسَنِ وَحُسْنِ ثِقَتِهِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ۝٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ (٣).

- تَفَاوُلُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَوْدَةِ ابْنِهِ يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِلَيْهِ، وَفِي هَذَا يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۝٤﴾، وَقَالَ: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ۝٨٧﴾ (٥).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال، (٣/ ١٠).

(٢) سورة القصص، الآية ٢١-٢٢.

(٣) سورة الشعراء، الآيات ٦١-٦٢.

(٤) سورة يوسف، الآية ٨٣.

(٥) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(۳) رواه البخاری، رقم: (۴۵۶۳).

الرَّحِمَتِ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ (١).

نماذج من التفاؤل عند الصحابة:

- تفاؤل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح نهاوند لما أرسل إليه سعد بن أبي وقاص يسأله المشورة في غزوها، وكان أرسل إليه قريب بن ظفر، فتفاءل عمر رضي الله عنه باسمه.

قال ابن حجر في ترجمة قريب بن ظفر: (وكان رسول سعد بن أبي وقاص إلى عمر في قصة فتح نهاوند، فلما وصل إلى عمر تفاءل باسمه واسم أبيه، وقال: ظفر قريب!) (٢).

- تفاؤل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بانفراج أزمة أهل العراق بالألأ يمر عليهم فيها إلا وقت يسير، وتبشيرهم بذلك.

عن محمد بن كعب القرظي: أن أهل العراق أصابهم أزمة، فقام بينهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: (يا أيها الناس، أبشروا فوالله إنني لأرجو ألا يمر عليكم إلا اليسير حتى تروا ما يسركم من الرخاء واليسر) (٣).

- تفاؤل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه برسوله العائد من عند قائد الفرس يزددجرد والتراب على عنقه؛ رغبة من يزددجرد في إهانتته، فرأى سعد بن أبي وقاص أن هذا التراب مدعاة للتفاؤل وبشرى للظفر بتراب أرضهم.

والقصة ذكرها ابن خلدون، وفيها: (فقال يزددجرد: لو قتل أحد الرسل

(١) سورة الأنبياء، الآيات ٨٣ - ٨٤.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (لابن حجر ٩/ ١٨٤).

(٣) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري، (٧/ ٤٥٨).

قَبْلِي لَقَتَلْتُكُمْ. ثُمَّ اسْتَدْعَى بُوْقُرَ مِنْ تُرَابٍ وَحَمَلَ عَلَى أَعْظَمِهِمْ، وَقَالَ: ارْجِعُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ وَأَعْلِمُوهُ أَنِّي مُرْسِلٌ رُسُومٌ حَتَّى يَدْفِنَكُمْ أَجْمَعِينَ فِي خَنْدَقِ الْقَادِسِيَّةِ، ثُمَّ يَدْخُلُ بِلَادَكُمْ أَعْظَمَ مِنْ تَدْوِيخِ سَابُورَ. فَقَامَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ فَحَمَلَ التُّرَابَ عَلَى عُنُقِهِ، وَقَالَ: أَنَا أَشْرَفُ هَؤُلَاءِ، وَلَمَّا رَجَعَ إِلَى سَعْدٍ فَقَالَ: أَبْشِرْ؛ فَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ تُرَابَ أَرْضِهِمْ^(١).

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ اسْتَخْلَصَ سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْبُشْرَى وَالتَّفَاوُلَ مِنْ قَلْبِ الْمَحَنَةِ، وَكَانَ لَهُ مَا اسْتَبَشَرَ، وَتَحَقَّقَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ؟! .

- وَكَانَ الزُّبَيْرُ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَأَوْصَى وَلَدَهُ عَبْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْجَمَلِ بِسَدَادِهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ! قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبْتَ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ! فَقَتَلَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَسَبَ عَبْدُ اللَّهِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدَ دَيْنَهُ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِئَتِي أَلْفٍ، فَقَضَاهَا عَنْهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ! ^(٢).

نَمَازُجٌ مِنَ التَّفَاوُلِ عِنْدَ السَّالَفِ:

- سُلَيْمَانُ بْنُ يُحْيَى بْنِ مُعَاذٍ كَاتِبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يُبَشِّرُهُ بِالتَّفَاوُلِ حِينَ شَكَا إِلَيْهِ بِلَاءٌ يَتَوَقَّعُهُ.

قَالَ التَّنُوخِيُّ: (شَكَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ يُحْيَى بْنِ مُعَاذٍ كَاتِبِهِ بِلَاءً خَافَهُ وَتَوَقَّعَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَا يَغْلِبَنَّ عَلَى قَلْبِكَ إِذَا اعْتَمَمْتَ مَا تَكْرَهُ دُونَ مَا تَحِبُّ؛ فَلَعَلَّ الْعَاقِبَةَ تَكُونُ بِمَا تَحِبُّ، وَتُوقَى مَا تَكْرَهُ، فَتَكُونُ

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)) لابن خلدون (٢/٥٢٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٢٩).

كمن يَسْتَسْلِفُ الغَمَّ والخَوْفَ! قال: أَمَا إِنَّكَ قد فَرَّجْتَ عَنِّي ما أَنَا فيه! (١).

نماذج من التفاؤل عند العلماء المتقدمين:

تفاؤل ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بالنَّصر على المَغُول، وَحُثُّ النَّاسِ على حَرْبِهِمْ، وَبُثُّ الأَمَلِ فِي صُفُوفِ المُسْلِمِينَ، مع شِدَّةِ خَوْفِهِمْ من قُوَّتِهِمْ، وشَدِيدِ بَطْشِهِمْ، وَهَوْلِ ما سَمِعُوهُ عَنْهُمْ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (ووصل التَّترُ إلى حِمص وبَعْلَبَكَّ، وعاثوا في تلك الأَرْضِ فسادًا، وقلق النَّاسُ قلقًا عَظِيمًا، وخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا، واختَبَطَ البَلَدُ لِتَأخُّرِ قُدُومِ السُّلْطَانِ بَقِيَّةِ الجَيْشِ، وقال النَّاسُ: لا طَاقَةَ لَجَيْشِ الشَّامِ مع هَؤُلَاءِ المَصْرِيِّينَ بَلقاءِ التَّتارِ؛ لَكَثَرَتِهِمْ، وإِنما سَبِيلُهُمْ أَنْ يَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ مَرَحَلَةً مَرَحَلَةً، وتَحَدَّثَ النَّاسُ بِالْأَرَّاجِفِ، فَاجْتَمَعَ الأَمْرَاءُ يَوْمَ الأَحَدِ المذكورِ بالمِيدانِ الأَخْضَرِ، وَتَحالَفُوا على لِقَاءِ العَدُوِّ، وشَجَّعُوا أَنْفُسَهُمْ، وَنَوَدِيَ بِالْبَلَدِ أَنْ لا يَرَحُلَ أَحَدٌ مِنْهُ، فَسَكَنَ النَّاسُ، وجلسَ القُضَاةُ بِالْجَامِعِ، وحَلَفُوا جَماعَةً مِنَ الفُقَهَاءِ وَالْعَامَّةِ على القِتالِ، وتَوَجَّهَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بَنُ تَيْمِيَّةَ إلى العَسْكَرِ الوَاصِلِ مِنْ حِمَاةٍ، فَاجْتَمَعَ بِهِمْ فِي القُطَيْفَةِ، فأَعْلَمَهُمْ بما تَحالَفَ عَلَيْهِ الأَمْرَاءُ وَالنَّاسُ مِنْ لِقَاءِ العَدُوِّ، فَأُجَابُوا إلى ذَلِكَ، وَحَلَفُوا مَعَهُمْ، وَكانَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بَنُ تَيْمِيَّةَ يَحْلِفُ لِلْأَمْرَاءِ وَالنَّاسِ: إِنَّكُمْ فِي هَذِهِ الكَرَّةِ مَنْصُورُونَ على التَّتارِ! فيقولُ لَهُ الأَمْرَاءُ: قُلْ: إِنْ شاءَ اللهُ. فيقولُ: إِنْ شاءَ اللهُ، تَحْقِيقًا لا تَعْلِيقًا! (٢).

(١) الفرج بعد الشدة للتونخي، (١/ ١٥٥).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، (٢٣/ ١٨).

- تفاؤل نور الدين زكي بفتح بيت المقدس :

قال ابن الأثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** : (ولما كان الجمعة الأخرى رابع شعبان صلى المسلمون فيه الجمعة، ومعهم صلاح الدين، وصلى في قبة الصخرة، وكان الخطيب والإمام محيي الدين بن الزكي، قاضي دمشق، ثم رتب فيه صلاح الدين خطيباً وإماماً برسم الصلوات الخمس، وأمر أن يعمل له منبر، فقبل له: إن نور الدين محموداً كان قد عمل بحلب منبراً أمر الصنائع بالمبالغة في تحسينه وإتقانه، وقال: هذا قد عملناه لِنُصَبَّ ببيت المقدس، فعمله النجارون في عدة سنين لم يعمل في الإسلام مثله! فأمر بإحضاره، فحمل من حلب ونصب بالقدس، وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة! وكان هذا من كرامات نور الدين، وحسن مقاصده، رحمه الله) ^(١).

التفاؤل في حال تكالب الأعداء على الأمة وقلة المعين :

ويكون ذلك من خلال الأساليب الآتية:

أولاً: التفاؤل بقرب النصر على الأعداء .

التفاؤل وحسن الظن بالله في هذه الأحداث مطلب شرعي مهم جداً، ولكن: حين يقع الإنسان في التعلق بالأسباب غير الصحيحة، كأن يرجو النصرة ممن عرفوا بخذلانهم الدائم للمسلمين ومسارعتهم في أعداء الإسلام، ولا يراعي السنن الإلهية كذلك، أو يظن أن كل المعوقات سترتفع فجأة، أو يظن أن التمكين للأمة سيكون خلال أيام أو أسابيع؛ فهذا قد يصاب بنكسة نفسية - وربما إيمانية - بعد أن يعيش نشوة البدايات كما رأينا ذلك في العقد الأخير.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٧/١٠).

أكثر من يصحّ لهم الاستبشار بنصر الله القريب، هم العاملون لنصرة دينه ومدافعة أعدائه، فهو لاء إذا أخلصوا لله وتوكلوا عليه وساروا على أنوار الوحي، فالله معهم، وسينصرهم، ويحق لهم التفاؤل الشديد بقرب ذلك.

مع التنبيه إلى أن النصر مراتب ودرجات، والنصر الجزئي لا يستلزم النصر الكلي مباشرة ولا يستلزم انتفاء الآلام الشديدة؛ فنصر يوم بدر غير نصر فتح مكة، فالأول نصر البدايات والثاني نصر التمكين.

فيوم بدر أعقبه انكسار أحد ثم حصار الأحزاب ثم ألم الحديبية ثم في النهاية جاء فتح مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا،

وكان ذلك كله مسبوقاً بالصبر الطويل في مكة على الابتلاءات التي زكّى الله بها نفوسهم وثبت بها عقيدتهم.

* هذه الأحداث قد تطول وتطور وتمدد، ولا أشك أن عاقبتها خير لهذه الأمة، ولكنها والله أعلم ستكون مصحوبة بكثير من الآلام والمصاعب، فمن كان ينتظر أملاً بلا ألم فليكمل نومه وأحلامه.

* المطلوب من كل هذا الكلام ليس ترك التفاؤل ولا ترك العمل، بل بالعكس، نحتاج إلى مزيد منهما، ولكن بضبط تعريف التفاؤل وبترشيد العمل.

التفاؤل المطلوب هو حسن الظن بالله:

- بأنه سينصر دينه ويعلي كلمته دون اشتراط للزمن أو استكراه للسنن - فهي غالبية، وأنه لن يضيع أجر العاملين المخلصين، وأنه مع الصابرين، وأنه يؤيد جنده ويشبّتهم وينصرهم، وأنه لا يترك الظالمين المفسدين في الأرض دون عقاب في الدنيا قبل الآخرة.

وأما العمل فلا بد أن يكون غير مشروط بتحقيق النصر الآتي، بل يكون منطلقاً من مبدأ (الفرض والواجب، عبودية الله ونصرة للمسلمين) ومن يُعرّف العمل بهذه الصيغة يكون عصياً على الانكسار والإحباط.

* وبإذن الله **جَلَّ جَلَالُهُ** لعله يتيسر تسجيل فيديو أتحدث فيه عن هذا المعنى بصورة مفصلة.

ثانياً : عدم اليأس :

لا يجوز للمسلم أن ييأس ويقنط من رحمة الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وقد حثنا الله **عَزَّجَلَّ** على الدعاء في آيات كثيرة من كتابه العزيز، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١).

ثالثاً : اليقين :

اليقين بأن العاقبة للمتقين، وأن النصر للمؤمنين، اليقين بأن اللادينين والذين يكرهون تطبيق شريعة رب العالمين لن يذوقوا طعم التمكين؛ لأن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** قال ذلك، ولأن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أخبر بذلك.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨) **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** (٩).

المصباح الذي أناره محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، تألب عليه أصحاب أبي هب واتباع عبدالله بن سلول يطفئونه، ولكن هيهات هيهات شعلة الإسلام لن تطفئها نفخة مهما كبرت فالله **عَزَّجَلَّ** أكبر وأجل، وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : «إن

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٦ .

(٢) سورة الصف، الآيات ٨ - ٩ .

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها^(١) .

اليقين بأن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، فالباطل ينتفش ويظهر، لكن إذا قابل الحق سرعان ما يزول: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثُ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٢) ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٣) .

رابعاً: السيرة النبوية :

السيرة النبوية والتفاؤل والبُشارات في وقت المحن :

اليأس محطّم للآمال ومُثبِّط للعزائم، وهو حالة نفسية تعتري الإنسان تحت شدة الفتن والمحن، وكثرة الابتلاء، وتسلب الأعداء والظالمين، وقد يصل اليأس بصاحبه إلى القنوط وانقطاع الأمل، وفي ذلك سوء ظن بالله عزَّجَل، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُكُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤) .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «ندب يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - بنيه على الذهاب في الأرض، يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين.. ونهضهم وبشَّروهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله، أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه، فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع اليأس من الله إلا

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩) .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٧٦ .

(٤) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

القوم الكافرون^(١). ونبينا ﷺ كَانَ مُتَفَائِلًا فِي كُلِّ أَمْرِهِ، وَاثِقًا بِرَبِّهِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ، مُحْسِنًا بِهِ الظَّنَّ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَكَانَتْ حَيَاتِهِ - رَغْمَ مَا فِيهَا مِنْ شِدَّةٍ وَبَلَاءٍ - مَلِيَّةً بِالْأَمَلِ وَالتَّفَائُلِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَقُوَّةِ الْيَقِينِ بِنَصْرِ اللَّهِ، وَكَانَ دَائِمًا يَبْشُرُ أَصْحَابَهُ بِالنَّصْرِ وَالْأَمْنِ، وَالْغِنَى وَالسَّعَةِ، رَغْمَ مَا بِهِمْ مِنْ بَلَاءٍ وَفَقْرٍ وَاسْتِزْعَافٍ.

-عن عدي بن حاتم قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يَا عَدِي! هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أَنْبِئْتُ عَنْهَا، فَقَالَ:

(إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرِينَ الظُّعِينَةَ - الْمَرْأَةَ - تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، قُلْتُ فِي نَفْسِي: فَأَيْنَ دَعَارُ طَيْئٍ - قَطَاعِ الطَّرِيقِ - الَّذِينَ سَعَرُوا فِي الْبِلَادِ؟!، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَفْتَحَنَّ كَنْوزَ كَسْرَى، قُلْتُ: كَسْرَى بَنُ هَرْمَزٍ؟! قَالَ: كَسْرَى بَنُ هَرْمَزٍ!!، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرِينَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مَلَأَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يُطَلِّبُ مِنْ يَقْبَلُهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ.)^(٢)

قال عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «فَرَأَيْتُ الظُّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كَنْوزَ كَسْرَى بَنِ هَرْمَزٍ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرُونَ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ : «الرَّجُلُ يُخْرِجُ مَلَأَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ»^(٣).. وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْبَشَارَاتُ الَّتِي يَبْشُرُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ، مَخْفِيَةً مُسْتَوْرَةً، بَلْ كَانَتْ مُعْلَنَةً ظَاهِرَةً، يَعْلَمُهَا

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤ / ٣٤٨).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٥٩٥)، ومسلم، رقم: (١٠١٦).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٣٥٩٥).

الكفار كما كان يعلمها المسلمون، حتى كان الأسود بن المطلب (من أشد المعاندين والمستهزئين بالنبي ﷺ) وجلساؤه، إذا رأوا أصحاب النبي ﷺ تغامزوا بهم، وقالوا: قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون كسرى وقيصر، ثم يُصَفِّرون ويُصَفِّقون.

- وعن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُرْدَة (وأضع رأسه بُرْدَة وهي كساء مُرَبَّع) له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(١).

ففي أشد المواقف وأصعبها كان النبي ﷺ يغرس في نفوس المُبْتَلِينَ والضعفاء والمضطهدين الأمل والبُشْرَى واليقين بفرج الله ونصره لعباده المؤمنين. والسيرة النبوية زاخرة بالمواقف والأحداث التي تبين مدى التفاؤل والأمل، والثقة واليقين بنصر الله عَزَّ وَجَلَّ، الذي كان يتحلى به النبي ﷺ ويغرسه في نفوس أصحابه والمسلمين من بعدهم، ومن ذلك:

١. الهجرة النبوية:

في الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، أخذ النبي ﷺ بالأسباب الظاهرة والمتاحة، إلا أن المشركين انطلقوا خلفه يرصدون الطرق،

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٦١٢).

ويفتشون في الجبال، حتى وصلوا إليه وهو في غار ثور، حتى سمع النبي ﷺ واصحابه سير أقدامهم وكلامهم، وهنا خاف أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - على النبي ﷺ، فقال للنبي ﷺ: (لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا! فقال ﷺ: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١)).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه: ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد، وهو داخل في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾»^(٢)، (٣).

وقال ابن الجوزي: «وقوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» أي: بالنصرة والإعانة، أفتظن أن يخذلها، فرده من النظر إلى الأسباب إلى المسبب^(٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «فقال أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا، لأننا في الغار تحته، فقال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، وفي كتاب الله أنه قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٥)، فيكون قال الأمرين كلاهما، أي: قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، وقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. فقوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» يعني: هل أحد يقدر عليهما بأذية أو غير ذلك؟.

والجواب: لا أحد يقدر، لأنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع، ولا مذل لمن أعز ولا معز لمن أذل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٦٥٣)، ومسلم، رقم: (٢٣٨١).

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٨.

(٣) شرح النووي على مسلم، (١٥٠ / ١٥).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، (١ / ١٤).

(٥) سورة التوبة، الآية ٤٠.

تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ (١).

وفي هذه القصة: دليل علي كمال توكل النبي ﷺ علي ربه، وانه معتمد عليه، ومفوض إليه أمره، وهذا هو الشاهد من وضع هذا الحديث في باب اليقين والتوكل (٢).

٢. غزوة بدر:

مع أن المعادلة العسكرية في غزوة بدر لم تكن متكافئة، فقريش كان عددها ألفاً، معهم مائتا فرس، في حين كان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وما كان معهم إلا فرسان، ومع ذلك يقول النبي ﷺ لأصحابه غارساً فيهم الأمل والتفاؤل والثوق واليقين بنصر الله عز وجل لهم، رغم أنهم أقل في العدد والعدة من عدوهم: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» (٣).

٣. غزوة الأحزاب:

رغم ما حدث للمسلمين في غزوة الأحزاب من تعب شديد في حفر الخندق، وجوع وخوف وشدة برد، وحصار المشركين لهم في المدينة، وخيانة اليهود، وتخذيّل المنافقين وإرجافهم، واشتداد الكرب، حتى قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مصوراً حالهم حينئذ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝١﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، (١/ ٥٦٤).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٣/ ١٥٥) سير أعلام النبلاء ط الحديث، (١/ ٣٣٧).

أَلْقُلُوبُ الْحَنَاجِرِ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾^(١) - رغم ذلك كله - كان النبي ﷺ يغرس في أصحابه التفاؤل والأمل، والثقة واليقين بنصر الله عزَّوجلَّ، ويَعِدُّهم ويُبَشِّرهم بفتح الشام وفارس واليمن.

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال وعرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوناها إلى رسول الله ﷺ، فجاء فأخذ المعول ثم قال: «باسم الله»، فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال: «الله أكبر، أُعْطِيتُ مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا»، ثم قال: «باسم الله»، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعْطِيتُ مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا»، ثم قال: «باسم الله»، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعْطِيتُ مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»^(٢).

ولما بشر النبي ﷺ أصحابه بهذه البشريات قال المنافقون: إن محمداً يعدنا بكنوز كسرى وقيصر، ولا يأمن أحدنا أن يخرج إلى قضاء حاجته.

وقد نصر الله عزَّوجلَّ المسلمين في غزوة الأحزاب انتصاراً عظيماً، وتحقق لهم كل ما بشرهم به النبي ﷺ. وقد روى البيهقي الشُّنن الكبرى قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليفرَّجَنَّ الله عنكم ما ترون من

(١) سورة الاحزاب، الآيات ٩-١١.

(٢) رواه احمد، رقم: (١٨٦٩٤)، والرويانى في المُسند (٤١٠)، والنسائي في الشُّنن الكبرى، (٨٨٥٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/٤٢١).

شدة، وإنِّي لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله إليّ مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتُنْفَقَنَّ كنوزهما في سبيل الله^(١).

٤. غزوة خيبر:

عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خرج إلى خيبر فجاءها ليلاً، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا جاء قوماً بليل لا يغير عليهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم (آلات زراعية)، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والحمد والخميس (الجيش)، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين^(٢)».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري»: «قال السهيلي: يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ التَّفَاؤُلُ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى آلَاتِ الْهَدْمِ مَعَ أَنَّ لَفْظَ الْمِسْحَةِ مِنْ سَحَوْتُ إِذَا قَشَرْتُ أَخَذَ مِنْهُ أَنَّ مَدِينَتَهُمْ سَتَخَرَّبُ^(٣)».

التفاؤل في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها الكثير من المواقف التي تبعث على البُشْرى والتفاؤل، وتجدد الأمل، وتقوي اليقين، وتؤكد على حصول التمكين لأمتنا، والنصر لها على أعدائها، على الرغم مما عانته وتعانيه من ابتلاءات في بعض المراحل والأوقات، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها^(٤)».

(١) رواه البيهقي في الشُّنن الكبرى (١٧٨٦٣).

(٢) رواه البخاري (٤١٩٧) ومسلم (١٣٦٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر، (٧/ ٤٦٨).

(٤) رواه مسلم، رقم: (٢٨٨٩).

فالتفأول والأمل من هدي نبينا ﷺ، - التفأول والأمل - نبراس يضيء الطريق والحياة، وفجر ساطع في دياجير الكربات والابتلاءات، وعلى ذلك ربّي النبي ﷺ أصحابه، فكانوا يرون أن المحن والابتلاءات ليست إلا سحابة عن قليل ستزول وتنقش بفضل الله تبارك وتعالى ورحمته، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ (١).

قال السعدي رحمه الله: «بشارة عظيمة، أنه كلما وُجدَ عُسرٌ وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جُحرَ ضبٍّ لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تبارك وتعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾» (٢)، وكما قال النبي ﷺ: «وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسر» (٣)» (٤).

فكل شدة فرجها آتٍ وقريب، فالله عز وجل بيده مقادير الأمور، وهو سبحانه وتعالى الذي يكشف الضر، ويجعل بعد العسر يسرًا، وبعد الضيق فرجًا ومخرجًا لكل أزمة ومحنة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقُوَى الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥).

وليس المقصود بالبُشرى والأمل في سيرة وهدي النبي ﷺ الاستسلام للمحن حتى يأتي الفرج، لكن المقصود هو النظرة إلى المحن

(١) سورة الشرح، الآيات ٥-٦.

(٢) سورة الطلاق، الآية ٧.

(٣) رواه أحمد، رقم: (٢٨٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٠٤٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣١٤) والطبراني في الكبير، رقم: (١١٢٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٦٨٠٦).

(٤) تفسير السعدي رحمه الله تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٩).

(٥) سورة يوسف، الآية ١١٠.

والابتلاءات بعين الأمل الذي يبعث على العمل، لا بعين اليأس الذي يدفع إلى الإحباط والكسل، ومن ثم فالمسلم يظل متمسكاً بدينه ثابتاً عليه، مؤدياً لواجبه في العمل على نصرة الإسلام وإن كثرت المحن والشدائد، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١) ، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (٢).

السيرة النبوية زاخرة بالمواقف والأحداث التربوية، التي نحتاج أن نهل منها ونستضيء بنورها في حياتنا، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية أصل كبير في التأسّي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الناس بالتأسّي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته، ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه عَزَّ وَجَلَّ» (٤).

نشر الأمن والطمأنينة من منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

إن من منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نشر الأمن والطمأنينة في نفوس المؤمنين، وهذا هو القصد من بعثهم، وهو الدعوة إلى توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ وإفراده بالعبادة، التي يتحقق بها الأمن والطمأنينة لهذا شرط إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوته بأن يجعل البلد الحرام آمناً ويرزق أهله من الثمرات

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧١.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٤) تفسير ابن كثير، (٦/ ٣٩١).

بالإيمان بالله واليوم الآخر، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (١).

وهذا شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ يطمأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويأمنه من خوفه، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢) وهذا القول من الشيخ الكبير لموسى، صادف مكانه، وطابق مقتضاه، فقد كان موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أحوج ما يكون في ذلك الوقت إلى نعمة الأمان والاطمئنان، بعد أن خرج من مصر خائفاً.

وهكذا تتكرر قصص الأنبياء مع أقوامهم بالدعوة إلى النجاة من الخوف والقلق وذلك عن طريق التقرير بأن الله واحد لا شريك له، وهو المستحق للعبادة قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٣)، ومن معاني الألوهية أنها تعبيد الخلق، وتحقيق العبودية الخالصة يكون الأمان والطمأنينة.

ومن معاني الطمأنينة في لغة العرب:

السكون، والثوقية، والاستئناس، والاستيطان بالأرض ولا يكون إلا مع الأمان، والإخبار، وكلها جاءت في كتب اللغة، فالطمأنينة: السُّكُونُ، وأَطْمَأَنَّ: سَكَنَ، واطمأن إليه: سكن إليه ووثق به، اطمأن الرجل، واطمأن قلبه، واطمأنت نفسه إذا سَكَنَ واستأنس.

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٤)، هي التي

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٦.

(٢) سورة القصص، الآية ٢٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

(٤) سورة الفجر، الآية ٢٧.

قد اطمأنت بالإيمان وأخبت لربها.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(١)، أي: ليسكن إلى المعاينة بعد الإيمان بالغيب. والاسم: الطمأنينة.

أخبت إلى ربه - أي: اطمأن إليه، قال أبو إسحق في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢)؛ أي إذا سكنت قلوبكم^(٣).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٤)، معناه إذا ذكر الله بوحدانيته آمنوا به غير شاكين. وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾^(٥)، قال الزجاج رحمه الله: معناه مستوطنين الأرض^(٦).

قال ابن فارس رحمه الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي: على وجه، لأن العبد يجب عليه طاعة الله جل ثناؤه عند السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء وعصاه عند الضراء فذاك ممن عبد الله على حرف، ألا ترى أنه قال: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾^(٧)،^(٨) وإنما تجب على العبد طاعة الله عز وجل على كل حال.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٣.

(٣) التفسير الوسيط - مجمع البحوث، (٢ / ٨٩٨) التفسير البسيط، (٧ / ٦٣).

(٤) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٩٥.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (٣ / ٢٦١).

(٧) سورة الحج، الآية ١١.

(٨) مجمل اللغة لابن فارس، (ص: ٢٢٦).

ومن مصادر الاطمئنان؛ الإيمان بالله عزَّجَل:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تَوَمَّنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾^(١) ، قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والربيع: سأل ليزداد يقينا إلى يقينه^(٢)، أي إن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والطمأنينة: اعتدال وسكون، فطمأنينة الأعضاء معروفة، كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ثم اركع حتى تطمئن رакعاً) الحديث، وطمأنينة القلب هي أن يسكن فكره في الشيء المعتقد»^(٣).

ويدخل في الإيمان بالله عزَّجَل أركانه المتقررة في حديث جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وهي إجابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بأن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٤) فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا .

إنَّ الإيمان بالله بالنسبة لبقية الأصول والفروع كأصل الشجرة بالنسبة للسوق والفروع، فهو أصل الأصول، وقاعدة الدين، وكلما كان حظ المرء من الإيمان بالله عظيماً كان حظه في الإسلام كبيراً.

ولا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد،

(١) سورة البقرة. الآية ٢٦٠.

(٢) تفسير القرطبي (٣/ ٢٩٨).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٣٠٠).

(٤) رواه مسلم، رقم: (٨).

وأنبأ الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول. قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) (١).

ومن مصادر الطمأنينة أيضاً طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فيما أمر به ونهى عنه، فَإِنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ يَطْمَئِنُّ إِلَى الْحَلَالِ وَيَضْطَرِبُ عِنْدَ الْحَرَامِ، ولذلك كانت شعب الإيمان كثيرة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، وقد ألف فيها علماء الحديث ودونها في كتبهم تحت مسمى: (شعب الإيمان)، وهي في مجموعها تدل على أن الإيمان لا ينفك عن السلوك، أي: عن سلوك الإنسان كله في علاقته مع ربه ونفسه والناس، ومع الكون المحيط به أيضاً، إذ أن كل هذه العلاقات محكومة بأوامر تشريعية، وسنن كونية، وكلما اختلت اختل معها نظام تلك العلاقات فأدت إلى انعدام الطمأنينة.

ومن مصادر الطمأنينة شكر الله عَزَّوَجَلَّ على ما أنعم به علينا من نعم ظاهرة وباطنة، وهذا الشكر هو الذي يقيد النعم، ومن أهمها الأمن والطمأنينة، والإمداد بشتى صنوف الأطعمة، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ (٢) أَلَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴿. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أرشدتهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ (٣)»، أي: فليوحدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرماً آمناً

(١) سورة النحل، الآية ٩٧.

(٢) سورة قريش، الآيات ٣-٤.

وبيتا محرما، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ
الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)، وقوله :
﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾، أي: هو رب البيت، وهو الذي أطعمهم
من جوع وآمنهم من خوف، أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه
بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا.
ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن
عصاه سلبها منه، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً
مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٢)، (٣).

هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف
الناس من حولها، ومن دخلها آمن لا يخاف، وقيل أيضا : والمعنى جعل
أهلها مثلاً لأهل مكة خاصة، أو لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم
النعمة، ففعلوا ما فعلوا فبدل الله بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة
دخولاً أولياً.

ومن التفسير الإشاري إشارة إلى أن قَرْيَةً هي قرية شخص الإنسان
كَانَتْ آمِنَةً، أي: أهلة وهو الروح الإنساني مُطْمَئِنَّةً بذكر الله يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
مِنْ الْمَوَاهِبِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ روحاني وجسماني فَكَفَرَتْ النفس الأمارَة
فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ، وهو انقطاع مواد التوفيق فأكلوا من جيفة الدنيا
وميتة المستلذات وَالْخَوْفِ وهو خوف الانقطاع عن الله .

(١) سورة النمل ، الآية ٩١ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة، (٨ / ٤٩٢) .

قال الإمام الألويسي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في تفسيره: وقيل: يفهم من كلام بعضهم أن الاطمئنان أثر الأمن ولازمه من حيث إن الخوف يوجب الانزعاج وينافي الاطمئنان، وذكر الإمام أن الآية تضمنت ثلاث نعم جمعها قولهم:

ثلاثة ليس لها نهاية : الأمن والصحة والكفاية :

فآمنة إشارة إلى الأمن ومُطْمَئِنَّةٌ إلى الصحة ويأتيها رزقها إلخ إلى الكفاية^(١).

وفي الختام نقرر حقيقة تدعونا نحن المؤمنين إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، وهي: أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان.

فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة، ولو ساندته جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلاً.

التفأول في حال الفقر وضيق العيش؛

إن الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً. تعتبر قضية الرزق من القضايا التي تشغل بال كثير من الناس، وتسبب لبعضهم همّاً وغماً، وخوفاً وجزعاً؛ وذلك لما قد يحيط بهذه القضية من وهم ولَبْس في أذهانهم - لا في حقيقة الأمر - ولما قد يكون لهم حولها من تصورات خاطئة؛ ما يورث عندهم ضعف الإيمان، وقلة الثقة واليقين في

(١) تفسير الألويسي **رَحْمَةُ اللَّهِ** روح المعاني، (٧ / ٤٧٧).

الخالق الرزاق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

لذا؛ فمن المهم جداً تسليط الضوء على جوانب من هذه القضية؛ لتبديد ما يحيطها من لبس، ودفع ما يكتنفها من أوهام؛ حتى تسكن وتهدأ النفوس المضطربة، وتطمئن وترتاح القلوب المنزعجة.

الإضاءة الأولى: الرزق مُقَدَّر ومضمون:

إن الخالق **جَلَّ وَعَلَا** قدَّر وقسم لكل مخلوق حظَّه ونصيبه من الرزق، ضمن مجموع ما كتب من مقادير الخلائق كلها، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض؛ ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قال: سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»^(١).

وإذا تمَّ الإنسان في بطن أمه أربعة أشهر، أرسل الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** إليه الملك وأمره بنفخ الروح فيه، وكتابة ما قسم له من رزق وأجل، وعمل ومصير؛ وهذا ما أخبر به نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذ قال: «يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، ثم يُؤَمَّرُ بِكُتُبِ أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ؛ بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»^(٢).

وهذا فإن الرب الكريم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد ضمن لكل إنسان - بل لكل مخلوق - رزقه؛ فلا يضيع ولا ينتقص؛ قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ۝﴾^(٣).

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم: (٢٦٤٣) باختلاف يسير.

(٣) سورة الذاريات، الآيات ٢٢-٢٣.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦)، وقال: ﴿وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٠)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يُدركه الموت) (٣).

فلا يليق بالموءن إذا إلا أن يقوِّي يقينه في ربه الكريم جَلَّ وَعَلَا، فيطمئن قلبه، وتسكن نفسه، ويهدأ باله؛ قيل لحاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلَامَ بَنِيَتْ عَمَلْكَ؟ قال: على أربع؛ أحدها: علمتُ أن لي رزقًا لا يجاوزني إلى غيري، كما لا يجاوز رزق أحد إليَّ، فوثقت به.

والثاني: علمت أن عليَّ فرضًا لا يؤديه غيري، فأنا مشغول به.

والثالث: علمت أن ربي يراني كل وقت فأستحي منه.

والرابع: علمت أن لي أجلاً يبادرني فأنا أبادره (٤).

الإضاءة الثانية: الرزق مقرون بالأجل :

جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِزْقَ الإنسان مقرونًا بأجله، فلا ينفد نصيبه من الرزق، إلا بانقضاء أَجَلِهِ، ولا يزال يُرْزَق ما دام حيًّا، فلم الخوف والقلق؟!

جاء في الحديث عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: يا أيها الناس، إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه، فلا تستبطئوا

(١) سورة هود، الآية ٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٠.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٧ / ٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (٥٢٤٠).

(٤) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٥٩٢).

الرزق، ، فخذوا ما حلَّ لكم، وذروا ما حرم الله^(١) .

قال الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «فرَّغْ خاطرَكَ للهَمِّ بما أُمِرْتَ به، ولا تشغله بما ضُمِّنَ لك؛ فإنَّ الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقياً، كان الرزق آتياً، وإذا سدَّ عليك بحكمته طريقاً من طُرُقِهِ، فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه، فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه وهو الدم، من طريق واحدة وهو السرة، فلما خرج من بطن الأم، وانقطعت تلك الطريق فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقاً أطيب وألذَّ من الأول؛ لبناً خالصاً سائغاً، فإذا تمت مدة الرضاع، وانقطعت الطريقان بالفطام، فتح طرقاً أربعة أكملَ منها؛ طعامان، وشرابان؛ فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان»^(٢) .

الإضاءة الثالثة: رزق الله واسع :

يضيّق مفهوم الرزق عند كثير من الناس؛ إذ يحصّرونه في المال فقط، والحقيقة أن مفهوم الرزق أوسع من ذلك، وما المال إلا جزء يسير منه، وصنف واحد من أصنافه العديدة.

فالرزق هو كل ما يوصله الرزاق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لعباده من عطايا ومواهب كثيرة ومتعددة، لا تُعدُّ ولا تُحصى، منها ما هو أعظم قيمة ونفعاً من المال؛ فالصحة والعافية، والسلامة من الأمراض رزق، والزوجة الصالحة رزق، والذرية الطيبة رزق، والجار الصالح رزق، والإخوان الذين يسندونك وتسندهم رزق، والصحبة الصالحة التي تنصحك وتعينك على دينك

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٢١٤٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٢٧٤٢) .

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ٥٧) .

ودنياك رزق، والأمن والاستقرار رزق، وطمأنينة القلب وراحة البال رزق، والتوفيق للعمل الصالح رزق، والخلق الحسن رزق، والسلامة من الفتن رزق، والعلم رزق، والإيمان رزق، والهداية إلى سبيل الله رزق، والثواب رزق، والجنة رزق؛ إلخ.

وقد ذُكر الرزق في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بمعانٍ متعددة، فجاء في بعض المواضع بمعنى الأموال والأولاد والثمرات، ونحوها من العطايا المادية، وجاء في مواضع أخرى بمعنى العلم والإيمان، والثواب والجنة، ونحوها من المواهب الربانية.

فمن ذلك مثلاً: قوله **﴿جَلَّ وَعَلَا: ﴿٥٠﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**^(١)، والمراد هنا بالرزق الكريم هو الجنة.

قال الإمام القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «إذا سمعت الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يقول: (ورزق كريم)، فاعلم أنه الجنة»^(٢).

وقوله: **﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَابْقَىٰ﴾**^(٣).

قال الشيخ السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «ورزق ربك العاجل من العلم والإيمان، وحقائق الأعمال الصالحة، والآجل من النعيم المقيم، والعيش السليم، في جوار الرب الرحيم خير»^(٤).

(١) سورة الحج، الآية ٥٠.

(٢) صفوة التفاسير (٢/ ٢٦٩).

(٣) سورة طه، الآية ١٣١.

(٤) تفسير السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** تيسير الكريم الرحمن، (ص ٥١٧).

وهكذا، فإن مفهوم الرزق يتسع ليشمل مختلف النعم والعطايا الربانية، المادية والمعنوية، الظاهرة والباطنة.

الإضاءة الرابعة: الرزق نوعان: مادي ومعنوي:

أما الرزق المادي: فهو الرزق الدنيوي الذي تقوم به الأبدان؛ من أكل، وشرب، ولباس، ومسكن، ومركب، ونحو ذلك، وهذا الصنف يعطيه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للمؤمن والكافر، وقد يعطي الكافر أكثر مما يعطي المؤمن، أو العكس، وذلك وفق عدله وحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأما الرزق المعنوي: فهو ما يقوم به الدين؛ من علم وهداية، وإيمان وتقوى، وعمل صالح واستقامة، ونحوها، وهذا الصنف من الرزق لا يعطيه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلا من يحب من عباده الصالحين؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

قال الإمام أبو حامد الغزالي: والرزق رزقان:

أ - رزق ظاهر: وهي الأقوات والأطعمة، وذلك للظواهر، وهي الأبدان.

ب - رزق باطن: وهي المعارف والمكشفات، وذلك للقلوب والأسرار، وهذا أشرف الرزقين؛ فإن ثمرته حياة الأبد، وثمره الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأبد...

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرزق الدنيوي يحصل للمؤمن

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٢.

والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب^(١).

الإضاءة الخامسة: الرزق بين العطاء والمنع، وبين البسط والقدر؛

تفاوت أرزاق العباد بين العطاء والمنع، وبين البسط والقدر؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ويوسع لمن يشاء في بعض أصناف الرزق، ويضيّق عليه في أخرى، ويعطي من يشاء ما يشاء، ويمنع من يشاء ما يشاء؛ وفق مقتضى علمه وعدله وحكمته، وهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** القابض الباسط، العليم الحكيم، وهو أعلم بعباده وبما فيه صلاح معاشهم ومعادهم؛ قال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(٣)، وقال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾^(٤)، وقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾^(٥)، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٦)، وقال المولى **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾^(٧).

(١) تفسير السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ** تيسير الكريم الرحمن، (ص ٩٥).

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

(٣) سورة الرعد، الآية ٢٦.

(٤) سورة النحل، الآية ٧١.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٣٠.

(٦) سورة العنكبوت، الآية ٦٢.

(٧) سورة الشورى، الآية ٢٧.

هذا، وقد أرشد الله تبارك وتعالى، ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - إلى أسباب البسط في الرزق والعطاء؛ ومن هذه الأسباب ما يأتي:

أولاً: تقوى الله عز وجلّ وعبادته:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١).

وقال في الحديث القدسي: (يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل، ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك) (٢).

ثانياً: اجتناب المعاصي، والإكثار من الاستغفار:

فأما المعاصي؛ فإنها تورث حرمان الرزق؛ قال ابن القيم رحمه الله: «ومن عقوبات الذنوب أنها تُزيل النعم، وتُحلّ النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نعمة إلا بذنب» (٣).

وأما الاستغفار؛ فإنه يجلب الرزق ويحفظ النعم؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (٤).

ثالثاً: صلة الرحم:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في

(١) سورة الطلاق، الآيات ٢-٣.

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٤٦٦)، وابن ماجه، رقم: (٤١٠٧)، وأحمد، رقم: (٨٦٩٦)، والبيهقي، رقم: (٩٨٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩١٤).

(٣) الداء والدواء ط المجمع، (١/ ١٧٩).

(٤) سورة نوح، الآيات ١٠-١٢.

أثره؛ فليَصِلْ رحمته^(١).

رابعاً: الصدقة والإنفاق في سبيل الله.

ففي الحديث القدسي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أنفق يا بن آدم؛ يُنفَقْ عليك)^(٢).

الكتاب والسنة نور، فإذا استنار به الإنسان، اتضحت له حقيقة الأمور، واستبان له معالم الطريق الصحيح، وأبصر وجهته وغايته؛ فغشي قلبه الرضا والطمأنينة والسكينة، وإذا أعرض عنه، تحبَّط في الظلام، وأكثبت عليه الأمور، وأحاطت به الشبهات والأوهام، وفقد الرؤية السليمة والوجهة الصحيحة، وضلَّ السبيل؛ فعاش في قلق وخوف وجزع، ليس بخصوص قضية الرزق فقط، بل تجاه كل أمور وقضايا الحياة.

قواعد هامة في قضية الرزق:

في حديث الصادق المصدوق الذي رواه ابن مسعود في الصحيحين: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد،...) ^(٣)

فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الجنين إذا بلغ في بطن أمه مائة وعشرين يوماً، أتاحه الملك الموكل بالأرواح والأجنة، فينفخ فيه روح الحياة، ثم يكتب ماله من

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٩٨٦)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٧).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٥٣٥٢)، ومسلم، رقم: (٩٩٣).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم: (٢٦٤٣) باختلاف يسير.

رزق، وكم له من عمر، وما قدر له من عمل، وهل هو من السعداء أم من الأشقياء.. نعوذ بالله من الشقاء وأهله.

فلما كانت قضية الرزق قضية شاغلة، تشغل البال وتستحوذ على الفكر والعقل، واهتمامات الناس، أراد النبي ﷺ أن يخفف عنهم من غلوائها، ويهون على النفوس من ضغطها، فأخبر أن الله قدر الأرزاق كما قدر الأعمال والأعمال.

لماذا نذكر هذه القضية؟ :

هذه قضية هامة لا بد أن نذكر بها ونتذكرها، لأن الكثير منا لما غفلوا عنها أو جهلوا أو تناسوها، ظنوا أنهم خلقوا في هذه الحياة ليلهثوا وراء أرزاقهم، ويجمعوا حطام الحياة، فحملهم هذا على التنافس المقيت على نيل مطاعم الدنيا، واشتد ولعهم بزيتها ومفاتها، واشتد حرصهم على جمع حطامها وكأنهم يهربون من فقر يدفعون إليه دفعاً، حتى بلغ الحرص بالبعض أنه يتمنى أن يأخذ ما في يد الآخرين من زخرف الدنيا، بل يسعى في انتزاعه منهم ولو بغير حق، ولو من طريق الحرام.

وما زال حب المال والتكاثر في جمعه يطغى على القلوب حتى أصبح المال إلها يعبد ومعبودا يقصد، كما قال ﷺ: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم)^(١).

وما زال الناس يلهثون وراء جمع المال والحطام حتى وقع أكثرهم في عين ما حذرهم الله منه بقوله: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ۖ﴾ ^(١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ^(٢)

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٨٨٧) باختلاف يسير.

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ (١).

وحتى وقعوا فيما خاف عليهم النبي ﷺ الوقوع فيه حين قال: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم) (٢).

قواعد في قضية الرزق:

إننا حين نستعرض قضية الرزق والسعي في تحصيله، لابد وأن نتذكر أموراً غاية في الأهمية:

أولاً: إن كره الفقر وحب الغنى أمران فطريان:

والشريعة الغراء لا تقف في وجه الفطرة أبداً، ولكنها في ذات الوقت تحث على الاعتدال والتوازن في كل شيء حتى في المال.

فالإسلام لم يحث على الفقر؛ لأن الفقر كاد أن يكون كفراً، والنبي ﷺ كان يستعيز بالله من الكفر والفقر.

ولكن الشرع في ذات الوقت ينهى المسلم عن الركض الأعمى وراء المال وطلب الغنى، وأن تصبح الدنيا هي المنية، والسعي في تحصيلها هو الغاية، فينشغل بها ضمنه الله له، عما خلقه الله له وهو عبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) (٣).

ومن كان هذا حاله أفسد دينه ودنياه ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ

(١) سورة التكاثر، الآيات ١-٣.

(٢) رواه البخاري، رقم: (٤٠١٥) ومسلم، رقم: (٢٩٦١).

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ^(١) ، وكما في الحديث: (من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة) ^(٢) .

فهو في الدنيا تائه ضال، وفي الآخرة معذب خاسر: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةً ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤﴾ ^(٣) .

ثانياً: أن الله جلَّ وعلا قد تكفل بأرزاق الخلائق وضمنها لهم:

فالرزق يطلب العبد أكثر مما يطلبه العبد، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ ^(٤) ، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ۝٥﴾ ^(٥) ، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْنُتُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۝٦﴾ ^(٦) . وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٦٠﴾ ^(٧) .

فرزقك قد ضمنه الله لك كما قال رسول الله ﷺ: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب

(١) سورة النجم، الآية ٢٩ .

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٤٦٥)، واللفظ له، وابن ماجه، رقم: (٤١٠٥)، وأحمد، رقم:

(٢١٥٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٦٥١٠) .

(٣) سورة الهمزة، الآيات ١-٣ .

(٤) سورة الذاريات، الآية ٢٢ .

(٥) سورة هود، الآية ٦ .

(٦) سورة الأنعام، الآية ١٥١ .

(٧) سورة العنكبوت، الآية ٦٠ .

رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب^(١).

والله والله أيان مكررة
لو أن في صخرة صما ململمة
رزقا لعبد باها الله لانفلقت
أو كان فوق طباق السبع مسلكها
حتى ينال الذي في اللوح خط له
ثلاثة عن يمين بعد ثانيها
في البحر راسية ملس نواحيها
حتى تؤدي إليه كل ما فيها
لسهل الله في المرقى مراقيها
فإن أتته وإلا سوف يأتيها

ثالثاً: الرزق مضمون والسعي مطلوب:

فليس معنى أن الرزق مضمون ألا يسعى العبد في تحصيله، وأن ينام في بيته منتظراً أن يأتيه إلى بابه، هذا فهم بليد، وعقل غير رشيد، وقد ذكروا للإمام أحمد «أن رجلاً يقول: إنه يجلس في بيته أو مسجده حتى يأتيه رزقه. فقال: هذا رجل جاهل العلم^(٢).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة^(٣) ».

وقال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَاَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾^(٤)، وقال

(١) رواه ابن ماجه، رقم: (٢١٤٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، رقم: (٢٧ / ١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥).
(٢) موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق، (١ / ٥٧).
(٣) موسوعة الألباني في العقيدة، (٩ / ٥٩٥).
(٤) سورة الملك، الآية ١٥.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (١).

فالمطلوب هو: السعي وحسن التوكل على الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وقد جاء في الحديث: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير: تغدوا خفافاً، وتروح بطاناً» (٢).

فعلى العبد السعي في الطلب، والأخذ بالسبب، والتعلق بالمسبب، والتوكل على الرزاق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي هذا يقول الشافعي:

توكلت في رزقي على الله خالقي وأيقنت أن الله لا شك رازقي
وما كان من رزقي فليس يفوتني وإن كان في قاع البحار العوامق
سيأتي به الله العظيم بمنه ولو لم يكن مني اللسان بناطق

رابعاً: الغنى والفقر ابتلاء :

وقد أكد الله ذلك في كتابه فقال: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (١٥) ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ (١٦) ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧) (٣)، ويقول المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٤)، ونجد أن سيدنا سليمان لما أعطاه الله ما أعطاه من الملك والغنى، يقول: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (٥).

(١) سورة الجمعة، الآية ١٠.

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٤٤)، وابن ماجه، رقم: (٤١٦٤)، وأحمد، رقم: (٢٠٥)، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٥٢٥٤).

(٣) سورة الفجر، الآيات ١٥-١٧.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

(٥) سورة النمل، الآية ٤٠.

فإذا ابتلاك الله فضيَّق عليك فاصبر وارض، وإذا أنعم الله عليك فاشكر وأدِّ حق الله عليك في مالك.

خامساً: السعادة ليست في المال فقط.

إنَّما المال سببٌ ضمَّن مجموعة من الأسباب، فكم من غني يملك من المال ما لا يعد، والدنيا كلها في يديه، وهو من أشقى الناس. إما لبخله، فهو بخيل شحيح، فقير في صورة غني، يتمنى كل من حوله وفاته، وإما لمرضه، فهو ممنوع من أكل أكثر الأصناف، محروم من فعل كثير من الأشياء، فلا تحسِّن أحداً على رزق وهبه الله إياه، فإنك لا تدري ما منعه مقابل ذلك. ثم قد يكون الفقر نعمة والغنى نقمة، خصوصاً في أمر الآخرة.

يقول أبو حازم: «نعمة الله فيما زوي عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، لأنِّي رأيته أعطاها قوماً فهلكوا»^(١).

قال ابن مسعود: «ما من يوم إلا وينادي ملك من تحت العرش: يا ابن آدم! قليل يكفيك خير من غنى يطغيك»^(٢).

سادساً: إياك والحرام.

إياك أن يملكك استبطاء الرزق أو قلته على أن تطلبه بمعصية الله فتسلك مسالك الحرام في تحصيله؛ فتفسد دينك ودنياك وأخراك؛ قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (اتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، (٣ / ٢٣٣) وابن أبي الدنيا في الشكر لابن أبي الدنيا، (ص ٤٢).

(٢) إحياء علوم الدين (٤ / ١٩٩).

بمعصية الله؛ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا ينال ما عنده إلا بطاعته^(١).

فإن الكسب الحرام يورث غضب الجبار، ويدخل صاحبه النار كما في حديث كعب بن عجرة قال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا كعب إنه لن يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به)^(٢) والسحت: كل مال اكتسب من حرام.

وكسب الحرام وبال على الفرد حينما يكسبه من ربا أو رشوة أو ظلم أو غش أو أكل لأموال الناس بالباطل.

والمال الحرام مستخبط الأصول، محقوق البركة والمحصول، إن أنفقه صاحبه في بر لم يقبل، وإن بذله في نفع لم يشكر، بل هو شؤم على صاحبه وضرر على جامعه في كل حال؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار)^(٣).

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرزقنا رزقاً حلالاً طيباً، وأن يبارك لنا فيه.



(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (١٠ / ٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٢٠٨٥).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٦١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم: (١٧٢٩) وصححه الترمذي (٦١٤).

(٣) الترغيب والترهيب، (٣ / ١٤)

مفاتيح الفرج



التي دعا بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، فأجاب الله دعائهم، وهي مستنبطة من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ، يفتح الله بها الأقفال المغلقة بحوله وقوته.

سيفتح الله بابا كنت تحسبه من شدة اليأس لم يخلق بمفتاح
فكن على يقين به سيجعل الله بعد عسر يسراً، وليس لنا غير الله في
تفريج الكرب، وزوال الهموم وتنفيس الكرب.

لنا بالله آمالٌ وسلوى وعند الله ما خاب الرجاءُ
إذا اشتدت رياحُ اليأسِ فينا سيعقبُ ضيقَ شدتها الرخاءُ
أمانينا لها ربُّ كريمٍ إذا أعطى سيدهشنا العطاءُ

القرآن الكريم المعجزة الخالدة، والشفاء من كل داء، والغنى من كل فقر، والهدى من كل ضلالة، وأسماء الله الحسنى، والصلاة المفروضة، والصلاة على رسول الله ﷺ، والدعاء بإخلاص وحضور قلب، التوسل إلى الله، والاستغفار والتوحيد، وتفويض الأمر لله والأنس بالله .
وهنا لابد أن نعلم أن هذه المفاتيح تزيل عن قلب المؤمن كل هم وغم،

ويلجأ إليها كوسيلة لاستجلاب رحمة الله وقدرته في إجابة دعواته وحفظه من كل مكروه، أو تلبية حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة، لكن رغم أن هذه المفاتيح مفاتيح وجدت للتفريج عن المؤمن، إلا أنها لا تجاب منه ولن يتحقق منها شيء إلا بيقينه التام بإجابة دعائه وصدقه التام مع ربه.

فلا بد أن يكون العبد على طاعة وتوحيد واستجابة لله ولرسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وليس لنا فرج إلا من الحي القيوم - **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** - .

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ مُنْفَرَجٌ	أَبْشِرْ بخيرٍ فإنَّ الفارَجَ اللهُ
اليأسُ يَقْطَعُ أحياناً بصاحبِهِ	لا تَيْأَسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ
اللهُ يُحْدِثُ بعدَ العُسْرِ مَيْسِرَةً	لا تَجْزَعَنَّ فإنَّ القاسمَ اللهُ
إذا بُلِيتَ فثقُ باللهِ، وارْضَ بهِ	إنَّ الذي يَكْشِفُ البَلْوى هو اللهُ
واللهِ ما لك غيرُ اللهِ من أحدٍ	فَحَسْبُكَ اللهُ في كلِّ لك اللهُ

المفتاح الأول: قراءة سورة الفاتحة بالتدبر:

سورة الفاتحة:

سورة الفاتحة: فيها سرٌ عجيب، وهي الكافية والشافية والراقية .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧ ﴾ (١) .

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) (١).

المفتاح الثاني : ملازمة ورد يومي من القرآن الكريم:

ملازمة ورد يومي من القرآن الكريم مهما كانت الظروف ومهما كنت مشغولاً لا تنفك عنه أبداً .

المفتاح الثالث: إقامة الصلاة فرضاً ونظلاً .

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «حُبِّبَ إِلَيَّ الطَّيِّبُ، وَالنِّسَاءُ، وَجَعَلْتُ قُرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (٢). وقرة العين كناية عن الفرح والسرور.

المفتاح الرابع: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧)

روى الترمذي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾» (٣). فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ» (٤).

(١) سورة الاسراء . الآية ٨٢ .

(٢) رواه النسائي، رقم: (٣٩٤٠)، وأحمد، رقم: (١٤٠٣٧) باختلاف يسير، والبيهقي، رقم: (١٣٨٣٦)، واللفظ له وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، (٣/ ١٤٤٨) (٥٢٦١) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٨٧ .

(٤) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٠٥) واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى، رقم: (١٠٤٩٢)، وأحمد، رقم: (١٤٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (٢/ ٢٨٢) .

المفتاح الخامس :

لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش الكريم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم.

روى الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(١).

المفتاح السادس :

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين، وغلبة الرجال.

روى البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَلَمٍ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضُلَعِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(٢).

المفتاح السابع: تفويض الأمر لله الدعاء بهذا الدعاء العظيم.

روى أحمد عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدَلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٣٤٦)، ومسلم، رقم: (٢٧٣٠).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٣٦٩).

رَبِّعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»^(١).

المفتاح الثامن: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين؛

روى أبو داود عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

روى الترمذي عن أنس بن مالك، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرِبَهُ أَمَرَ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»^(٣).

المفتاح التاسع: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً؛

روى ابن ماجه عن أسماء بنت عميس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: «اللَّهُ، اللَّهُ رَبِّي، لَا أَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٤).

المفتاح العاشر: لا حول ولا قوة الا بالله؛

لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فهي كنز من كنوز الجنة وهي كلمة استعانة وتفويض.

(١) رواه أحمد، رقم: (٣٧١٢)، واللفظ له، وابن حبان، رقم: (٩٧٢)، والطبراني، رقم: (٢١٠/١٠)، ورقم: (١٠٣٥٢) باختلاف يسير وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (١٨٢٢).

(٢) رواه أحمد، رقم: (٣٤ / ٧٥)، وأبو داود، رقم: (٣٢٤ / ٤)، وينظر: صحيح أبي داود؛ للألباني، حديث: (٤٢٤٦).

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٢٤) واللفظ له.

(٤) رواه ابن ماجه، رقم: (٣٨٨٢)، والنسائي في السنن الكبرى، رقم: (١٠٤٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٣).

المفتاح الحادي عشر: حسبي الله ونعم الوكيل:

فوائد قول حسبنا الله ونعم الوكيل :

- ١- تعدُّ هذه الكلمة سبباً في النجاة من المهلكات، فقد كانت سبباً في نجاة سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونجاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.
- ٢- أنها سببٌ في تفريج الهموم والكروب .
- ٣- أنها سببٌ لحفظ الله - عَزَّ وَجَلَّ - لعباده ورعايته لهم من كل مكروه وسوء.
- ٤- كانت آخر كلام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، حينما ألقى في النار قالها: فنجاه الله، وقال: يا نار كوني برداً وسلاماً.

المفتاح الثاني عشر: قراءة سورة الشرح :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنَّا وِزْرَكَ ۚ (١) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ (٢) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۚ (٣) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ (٤) فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۚ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۚ (٨) ﴾ (١).

قال أحدهم: إذا ضاقت بك الدنيا ففكر في ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ فعرساً بين يسرين متى تذكرهما تفرح .

المفتاح الثالث عشر: الدعاء المستجاب:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كنت جالسا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجل يصلي فقال: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

وما من كُرْبَةٍ إِلَّا سُجِّلَ كما يُجْلَى عن الأفق الغبار
ويعقب عُسرَها يُسرٌ لطيف ويشرق من هزيمتها انتصار

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَجْعَلَ ذُخْرًا لِي عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩ ﴿٢﴾.

تفاعل بأن رزقك موجود، ولكن قم بالسبب المطلوب، وبالجملة
فالتفاعلات كلها سبب لزيادة الأرزاق والبركة فيها.

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتَنِي وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْعَوَاقِمِ
سَيِّئَاتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقِ
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

(١) رواه أبو داود، رقم: (١٤٩٥)، وابن ماجه، رقم: (٣٨٥٨)، وأحمد، رقم: (١٢٢٠٥)،
والنسائي، رقم: (١٣٠٠) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣ / ٥) (١٣٤٢٩)
(٢) سورة الشعراء ، الآيات ٨٨ - ٨٩ .

خلاصة ما سبق، فإن مفاتيح الرزق هي:

أولاً: تقوى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

ثانياً: التوبة والاستغفار.

ثالثاً: بر الوالدين وصلة الرحم.

رابعاً: الإنفاق في سبيل الله.

خامساً: الإحسان إلى الضعفاء.

سادساً: استحضر القلب في العبادات.

سابعاً: شكر الله على النعم الموجودة.

ثامناً: الزواج.

تاسعاً: التوكل على الله.

عاشراً: الاستغفار.

هذه مفاتيح، والله هو الغني الفتاح العليم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٦) (١)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) (٢)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَمُنُّ بِشَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٦١) (٣)

(١) سورة ال عمران ، الآية ٢٦ .

(٢) سورة الذاريات ، الآيات ٥٦-٥٨ .

(٣) سورة الحجر ، الآية ٢١ .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال: أرأيتم ما أنفق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينفق أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده وقال: وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع» ^(١) حديث عظيم من أحاديث عظمة رب العالمين.

وفي رواية لهما: يمين الله ملأى، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؛ فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض» ^(٢).

آلاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وفضله على عباده :

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالُمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتَهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تَخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقِي قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ،

(١) رواه البخاري، رقم: (٤٦٨٤) باختلاف يسير، ومسلم، رقم: (٩٩٣) بلفظ: «يمين الله» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٢) رواه البخاري، رقم: (٧٤١٩).

مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْ سَكُمُ
وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا
نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إِنَّمَا
هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ،
وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» (١).

فضل الله عظيم ورزقه واسع شامل عليكم بالدعاء فهو المفتاح العظيم.
جاءت فاطمة إلى رسول الله ﷺ تسأله خادمًا فقال لها: (قولي:
اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ
الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ مُنْزِلَ التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ
أَخَذَ بِنَاصِيئِهِ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ
اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ) (٢).

لا تخاف على رزقك :

فسبحان الله الذي يرزق الطير في الثلج ، والحوت في الماء ، والحيوان في
الغابات القاحلة ، والنمل في اطباق الأرض وفي بطون الصخور .

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣)، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٤).

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٧٧).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٤٨١)، وابن حبان، رقم: (٩٦٦) وصححه الألباني في صحيح
الجامع، (٤٤٢٤)

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٠ .

(٤) سورة هود، الآية ٦ .

الآجال والأرزاق مكتوبة ومحسوبة :

كما أن الأرزاق والآجال، لا تأتي إلا من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وحده؛ فإنها كذلك مكتوبة ومحسوبة ، ومحدودة ومعدودة .

عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: حدثنا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو الصادق المصدوق، قال: (إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغًا مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات: برزقه وأجله وشقي أو سعيد)^(١).

ما كتب لك فلن يغادرِكَ أبدا كن على ثقة ويقين لو كان في صخرة في البحر راسية صماء مَلْمُومَةٌ مُلْسٍ نَوَاحِيهَا رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاهُ اللهُ لَانْغَلَقَتْ حَتَّى يُوَدَّى إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا.

أو كان تحت طَباقِ السَّبْعِ مَطْلُبُهَا كَسَهَّلَ اللهُ في المِرْقَى مَرَاقِيهَا حَتَّى تُوَدَّى الَّذِي فِي اللُّوحِ خُطٌّ لَهُ إِنْ هِيَ أَتَتْهُ وَإِلَّا سَوَفَ يَأْتِيهَا.

وعن أبي أمامه الباهلي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن روح القدس نفث في روعي ، أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يُنَالُ ما عنده إلا بطاعته»^(٢).

الأرزاق مقسومةٌ ومُقدَّرةٌ كالأجال، ولو فرَّ الإنسانُ من رِزْقِهِ كما يَفِرُّ من أَجَلِهِ لِأَدْرَكِهِ رِزْقُهُ كما يُدْرِكُهُ أَجَلُهُ.

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم: (٢٦٤٣) باختلاف يسير .
 (٢) رواه أبو نعيم في الحلية، (١٠ / ٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢٠٨٥) .

وعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ»^(١).

قال المناوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في فيض القدير: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ؛ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»^(٢).

لأنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ضَمَّنَهُ لَهُ؛ فقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٣).

ثمَّ لم يكتفِ بالضَّمانِ حتَّى أقسم؛ فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٤) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ^(٥) ثمَّ لم يكتفِ حتَّى أمر بالتَّوَكُّلِ وأبلغ وأندر؛ فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^(٦).

فإنَّ لم يطمئنَّ بضمانه، ولم يقنع بقسمه، ولم يبال بأمره ووعدته ووعيدته؛ فهو من الهالكين.

وقال هرم بن حيان لابن أدهم: «أين تأمرني أن أقيم؟ قال بيده إلى الشام؛ قال: وكيف المعيشة فيها؟ قال: أف لهذه القلوب، لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة!».^(٦)

اعلم يا مسلم: أن رزقك وأجلك بيد الحي القيوم ليس بيد البشر، فكن في طمأنينة.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، (٧/ ٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٤٠).

(٢) فيض القدير (٥/ ٣٨٩).

(٣) سورة هود، الآية ٦.

(٤) سورة الذاريات، الآية ٢٢-٢٣.

(٥) سورة الفرقان، الآية ٥٨.

(٦) فيض القدير (٥/ ٣٠٦).

وفي الحديث عن ابن عباس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - قال : كنتُ ردَفَ رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فالتفتَ إليَّ فقال : يا غلامُ ، احفظَ اللهَ يحفظَكَ ، احفظَ اللهَ تجدُهُ أمامَكَ ، تعرَّفَ إلى الله في الرِّخاءِ ، يعرفَكَ في الشِّدَّةِ قد جفَّ القلَمُ بِلَا هَوٍ كَائِنْ ، فلو أنَّ الخلقَ كلُّهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيءٍ لم يقضه الله لك ، لم يقدرُوا عليه ، أو أرادوا أن يضرُّوكَ بشيءٍ لم يقضه الله عليك ، لم يقدرُوا عليه ، واعلم أنَّ ما أصابَكَ لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبكَ ، واعلم أنَّ النصرَ مع الصَّبرِ ، وأنَّ الفرجَ مع الكربِ ، وأنَّ مع العسرِ يسرًا ^(١) ، وفي رواية الإمام أحمد : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّفَ إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا » ^(٢) .

وعن أبي الدرداء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (ان الله عز وجل فرغ إلى كل عبدٍ من خمس : من أجله ، ورزقه ، وأثره ، ومضجعه ، وشقيِّ أو سعيد) ^(٣) ، كل شيءٍ خلقه الله مُقَدَّرٌ كائِنْ كما أراد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ؛ فما من شيءٍ يجري في ملكوته إلا بقدره وعلمه سُبْحَانَهُ .

قدم مجموعه من الشعراء على هشام بن عبد الملك وكان بينهم الشاعر عروة بن أذينة فلما دخلوا عليه عرف عروه فقال أَلستَ القائل :

(١) رواه الترمذي ، رقم : (٢٥١٦) ، واللفظ له ، وأحمد ، رقم : (٢٨٠٣) باختلاف يسير .
وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣ / ١٤٥٩) .
(٢) رواه أحمد ، رقم : (٢٨٠٣) .
(٣) رواه أحمد ، رقم : (٢١٧٢٣) ، وابن حبان ، رقم : (٦١٥٠) ، والطبراني في المعجم الأوسط ، رقم : (٣١٢٠) . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢ / ٧٧٤) .

لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعيني تطلبُ به ولو قعدتُ أتاني لا يُعنيني^(١)

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق فقال له: يا أمير المؤمنين زادك الله بسطة في العلم والجسم، ولا ردّ وافدك خائباً والله لقد بالغت في الوعظ وأذكرتني ما أنسانيه الدهر، وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز، فلما كان في الليل، ذكره هشام، وهو في فراشه، فقال رجل من قريش: قال حكمه ووفد إلي فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول: فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه فقال: لا جرم ليعلم أن الرزق سيأتيه ثم دعا مولى له وأعطاه ألفي دينار، وقال: الحق بهذه ابن أذينة وأعطه إياها قال الرجل: فلم أدركه إلا وقد دخل بيته فقرعتُ الباب عليه فخرج إلي فأعطيته المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين قولي سعيْتُ فأكديتُ ورجعتُ إلى بيتي فأتاني رزقي .

ولطالما عرفت أن الآجال والأرزاق مكتوبة ومحسوبة فادفع همهما عن نفسك .

قال الشاعر :

سَهَرْتُ أَغْيُنْ وَنَامْتُ عُيُونُ فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ
فَادِرًا أَلْهَمَ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفْ سِرِّ فَحْمَلَانِكَ الْهُمُومَ جُنُونُ
إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا نَ سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٢٣) .

مرَّ إبراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن، فقال له إبراهيم: يا هذا إني أسالك عن ثلاثة فاجبني: فقال له الرجل نعم.
فقال له إبراهيم: أيجري في هذا الكون شي لا يريده الله؟، فقال: لا.
قال: أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟، قال لا.
قال: أينقص رزقك شيء قدره الله. قال لا.
قال إبراهيم: فعلام الهم إذن؟.

دع المقادير تجرى في أعتها ولا تنامن إلا خالي البال
ما بين غمضة وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال
ولكن ليس معنى هذا أن المسلم يترك العمل ويبذل السبب، لا، ولكن
هي سُنَّة الله في خلقه.

عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لو أنكم كنتم توكّلون على الله حق توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير، تَغْدُو خِمَاصًا، وتَرَوُّحُ بِطَانًا»^(١).

يرشدنا هذا الحديث إلى أن نتوكل على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في جميع أمورنا، وحقيقة التوكل: هي الاعتماد على الله عَزَّ وَجَلَّ في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والدين؛ فإنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن على الإنسان فعل الأسباب التي تجلب له المنافع، وتدفع

(١) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٤٤)، وابن ماجه، رقم: (٤١٦٤)، وأحمد، رقم: (٢٠٥)، واللفظ له وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٢٠).

عنه المضار مع التوكل على الله، يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١)، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٢)، فمتى فعل العبد ذلك رزقه الله كما يرزق الطير التي تخرج صباحا وهي جياع ثم تعود مساءً وهي ممتلئة البطون.

من فوائد الحديث:

- فضيلة التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق.
- التوكل لا ينافي النظر إلى الأسباب، فإنه أخبر أن التوكل الحقيقي لا يضاده الغدو والرواح في طلب الرزق.
- اهتمام الشريعة بأعمال القلوب؛ لأن التوكل عمل قلبي.
- التوكل على الله سبب معنوي في جلب الرزق ولا ينافيه فعل السبب الحسي.
- مشروعية التوكل على الله في كل المطالب، وهو من واجبات الإيمان، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

قصة تدل على التوكل:

حاتم الأصم مدرسة في التوكل ، قيل لحاتم الأصم - رَحِمَهُ اللَّهُ - على ما بنيت أمرك في التوكل ؟ .

قال: على خصال أربعة:

* علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي.

(١) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٦٧ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٢٣ .

* وعلمت أن عملي لا يعمل به غيري، فأنا به مشغول.

* وعلمت أن الموت يأتي بغتة، فأنا أبادره.

* وعلمت أنني لا أخلو من عين الله، فأنا مستحي منه^(١).

الإسلام يدعو للعمل والكسب الطيب فإن المسلم مطالب بأخذ الأسباب المشروعة، وقد قال أهل العلم: الأخذ بالأسباب عبادة والاعتماد عليها شرك، ومن أخذ بالأسباب ولو كانت ضعيفة ثم اعتمد على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فقد امتثل.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رَحْمَةُ اللَّهِ -: الالتفات إلى الأسباب، واعتبارها مؤثرة في المسببات شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع. ويقول شارح العقيدة الطحاوية - رَحْمَةُ اللَّهِ -: قد يظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب، وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب^(٢).

قال ابن القيم - رَحْمَةُ اللَّهِ -: فلا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإن تعطيلها يقدر في نفس التوكل، وإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد من هذا الاعتماد

(١) صفة الصفوة، (٢/ ٣٤٠).

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط، (٢/ ٣٥١).

من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا ولا توكله عجزاً^(١).

وقال ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ - في الفتح: المراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢)، ^(٣).

وليس المراد به ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين، لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل، وقد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته، أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي)^(٤).

وقال: «لَوْ أَنْكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرْوُحُ بَطَانًا»^(٥) فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق، قال: وكان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم.

وجاء في الموسوعة الفقهية: ذهب عامة الفقهاء والمحققون إلى أن التوكل على الله لا يتنافى مع السعي والأخذ بالأسباب من مطعم ومشرب وتحرز من الأعداء وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سُنَّةُ الله المعتادة مع الاعتقاد أن الأسباب وحدها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، بل السبب - العلاج - والمسبب - الشفاء - فعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والكل منه وبمشيئته،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٤ / ١٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر، (١١ / ٣٠٥).

(٣) سورة هود، الآية ٦.

(٤) رواه البخاري معلقاً بصيغة التضعيف قبل حديث، رقم: (٢٩١٤) مختصراً، وأخرجه موصولاً أحمد (٥١١٥) باختلاف يسير.

(٥) رواه ابن ماجه، رقم: (٤١٦٤).

وقال سهل: من قال: التوكل يكون بترك العمل فقد طعن في سنة رسول الله ﷺ، وقال الرازي في تفسير قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).

دلت الآية: على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقول بعض الجاهل، وإلا كان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل، بل التوكل على الله أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. اهـ (٢).

وجمهور علماء المسلمين على أن التوكل الصحيح، إنما يكون مع الأخذ بالأسباب، وبدونه تكون دعوى التوكل جهلا بالشرع وفسادا في العقل، وقد روى عن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

وقد تواتر الأمر بالأخذ بالأسباب في القرآن وسنة الرسول ﷺ، أخرج ابن حبان في صحيحه: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ وأراد أن يترك ناقته وقال: أعقلها وأتوكل؟ أو أطلقها وأتوكل؟ فقال ﷺ: أعقلها، وتوكل (٣).

وقال ﷺ: لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه، أو منعوه (٤).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٤ / ١٨٥).

(٣) رواه ابن حبان، رقم: (٧٣١) والترمذي، رقم: (٢٥١٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء، رقم: (٣٩٠ / ٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٨).

(٤) رواه البخاري، رقم: (١٤٧١).

وفي ذلك يقول المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ ^(١) .

ويقول **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** : ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ ^(٢) .

ويقول عز من قائل : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ ^(٣) .

ويقول **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ^(٤) .

وأما ترك الأسباب فهو خطأ ينبغي الاستغفار منه، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: قد ثبت في الكتاب والسنة الصحيحة الحث على الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله، فمن أخذ بالأسباب واعتمدها فقط وألغى التوكل على الله فهو مشرك، ومن توكل على الله وألغى الأسباب فهو جاهل مفرط مخطئ، والمطلوب شرعا هو الجمع بينهما ^(٥) .

إذن: أخي الكريم، فإن مخاوفك كلها لا أصل لها ، فتعال إذاً نعالجها في خطوات واضحة حازمة بالآتي:

عليك يا عزيزي القارئ أن ترسخ في قلبك عظمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ، وقدرته، وقيوميته على خلقه ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله .

وأن تذكره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فيكون معك على كل حال ، قائماً وقاعداً ، فتسأله حسن العاقبة في الأمور كلها ، وتسأله العافية في الدنيا والآخرة .

(١) سورة الأنفال ، الآية ٦٩ .

(٢) سورة الملك ، الآية ١٥ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٧١ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (١ / ٣٧٥) .

وأن تدعوه وتلج في دعائه أن يعيذك من الخوف إلا منه . فاللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك، ومن التوكل إلا عليك، لا تخف ولا تقلق على رزقك وأجلك، اطمئن ولا تقلق فلن ينقص من رزق أو أجل كتبه الله لك شيء ولن يكون الا ما قدره الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** اياكم والقلق فما دام الأجل باقياً الرزق أتياً.

بدأ القلق ينتشر في أوساط كثير من الناس بسبب المخاوف من قلة الرزق وضعف الناحية الاقتصادية بسبب ما يحدث من قرارات تتعلق بالرواتب ورفع الأسعار وغيرها فأحسبت أن أذكر نفسي وإخواني بما يلي:

أ - من توحيد الربوبية أن تعتقد أن الله هو الخالق الرزاق المالك مدبر الأمر، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا** ﴾ ^(١)، لذا المعصية من أجل الرزق نقص في توحيد الربوبية الذي كان يؤمن به كفار قريش.

ب - اعلم علم اليقين أن رزقك وأجلك قد كتب لك وأنت في رحم أمك، بعد نفخ الروح فيك، وأنت لن تموت حتى تستكمل رزقك وأجلك.

ج - خذ بالأسباب واحرص على إتقان عملك ومهنتك وتطوير ذاتك.

د - عليك بالإنفاق امتثالاً لأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** ﴾ ^(٢).

هـ - اعلم أن المعاصي سبب للحرمان من الرزق، وأن الطاعة سبب للبركة في الرزق وزيادة الخير.

(١) سورة هود، الآية ٦ .

(٢) سورة الاسراء . الآية ٢٩ .

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن القرية التي يأتيها رزقها من كل مكان: ﴿فَكَفَرْتُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَبُوا فَاخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢).

و - الرزق ليس قاصراً على الأسباب المادية من الحرفة والوظيفة بل هناك سباب شرعية للرزق علينا الحرص عليها ومنها:

١- التقوى:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٣) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (٣).

٢- إقامة الصلاة:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلَكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (٤) (١٣٢).

٣- التوكل على الله:

وقد مر معنا هذا الموضوع سابقاً.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (٥).

(١) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

(٢) سورة الاعراف ، الآية ٩٦ .

(٣) سورة الطلاق ، الآية ٢ .

(٤) سورة طه ، الآية ١٣٢ .

(٥) رواه ابن ماجه، رقم: (٤١٦٤).

٤- الاستغفار:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (١).

٥- صلة الرحم:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » (٢).

٦- المتابعة بين الحج والعمرة:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ » (٣).

خواتم:

* علينا بث التفائل فينا، وفيمن حولنا، وحسن الظن بالله، واليقين في الناس ولكم في الخليل إبراهيم، وأمنا هاجر - عَلَيْهِمَا السَّلَام - أسوة حسنة، حيث تركها زوجها في مكان موحش لا يوجد معها من مقومات الحياة، إلا جراب فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ولما سألت زوجها إلى من تتركنا؟ ولم يرد عليها، قالت: الله أمرك بهذا؟ . قال: نعم.

قالت: إذن لن يضيعنا. فجاءها رزق الله سريعاً، من نبع زمزم، وصارت خطواتها بين الصفا والمروة ركناً من أركان الحج والعمرة .

(١) سورة نوح، الآيات ١٠-١١ .

(٢) تقدم تخريجه صفحة ٨٣ .

(٣) رواه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣١) واللفظ له، وأحمد (٣٦٦٩) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٥٢٤)

- من أعظم أسباب قلق الرزق تأمين مستقبل الأولاد قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (١)، فطريق تأمين مستقبل الأولاد هو تقوى الله وحسن العمل وسداد القول حيث يتكفل الله لك بأولادك صيانة ورعاية ورزقا وحفظا، والله يتولى الصالحين في أنفسهم وذرياتهم.

معالجة موضوع الفقر على ضوء الكتاب والسنة :

- الركن الوثيق تقوى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٢).

من اتقى الله أغناه الله بلا مال، وأنّسه بلا أنيس، وأعزه بلا عشيرة، ومن سعى فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله طلب الرزق من السعي في سبيل الله. مرّ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلٌ فرأى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان) (٣).

- الحث على الطاعات والاستكثار منها: لحديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول يا ابن آدم : تفرّغ لعبادتي أملاً صدرَكَ غنى وأسدَّ فقرَكَ وإن لا تفعل ملأتُ يدَكَ شغلاً ،

(١) سورة النساء ، الآية ٩ .

(٢) رواه الطبراني، رقم: (٦٨٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٩٢) وصحيح الجامع (١٤٢٨) .

ولم أسد فقرَكَ) (١).

عبودية الله هي أعلى المقامات وأشرفها، وهي الغاية من خلق الإنسان، وعندما يتفرغ لها الإنسان، ينال الخير العميم، لكن إن غفل عنها، وأنشغل بال الدنيا، كان ذلك هو الخسران الحقيقي.

- دوام شكر الله وحمده:

لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبُكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) (٢).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: وقال لهم حاثاً على شكر نعم الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبُكُمْ﴾ أي: أعلم وواعد، ﴿لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من نعمي ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧)، ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم.

- والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وكفر النعمة ضد ذلك.

- صلة الرحم ولو كان الغير قطعها:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه). (٣)

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: هذا الحديث فيه الحث على صلة الرحم، وبيان أنها

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٦)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وأحمد (٨٦٨١) مختصراً، والحاكم (٣٦٥٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩١٤).

(٢) سورة ابراهيم ، الآية ٧ .

(٣) تقدم تخريجه صفحة ٨٣ .

كما أنها موجبة لرضى الله وثوابه في الآخرة، فإنها موجبة للثواب العاجل، بحصول أحب الأمور للعبد، وأنها سبب لبسط الرزق وتوسيعه، وسبب لطول العمر. وذلك حق على حقيقته، فإنه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** هو الخالق للأسباب ومسبباتها^(١).

يقول أحد الحكماء: من أراد النجاح في هذا العالم فعليه أن يتغلب على أسس الفقر الستة: النوم، التراخي، الخوف، الغضب، الكسل، والمماطلة.

كُنْ متوكلاً على ربك في أمورك كلها :

عليك أن تعلم بأن الرزق بيد الله لا بيدك، والأمر أمر الله لا أمرك.. ولن تقبض راحتك شيئاً ما كتب الله أن تملكه، ولن يُفَلت من بين يديك ما ساقه الله لأجلك.. ولن يفوتك رزقك وإن تأخر

قال ابن رجب **رَحِمَهُ اللَّهُ** حقيقة التوكل : هو صدق اعتماد القلب على الله **عَزَّوَجَلَّ** في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأن لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه^(٢).

حكم التوكل :

إن والتوكل على الله مقام جليل القدر، عظيم الأثر، أمر الله به في مواطن كثيرة من كتابه فقال: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾^(٣)، وقال: ﴿ **وَتَوَكَّلْ**

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان (٣/ ٤٥٠).

(٢) جامع العلوم لابن رجب (٤٠٩).

(٣) إبراهيم، الآية ١١.

عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ^(١)، وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ^(٢)، وجعل التوكل سبباً لمحبه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ^(٣)، وشرطاً للإيمان فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٤)، وشعاراً لأهله فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ^(٥) وضمن لمن توكل عليه القيام بأمره وكفايته ما أهمه فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ^(٦).

فعلينا أن نعلم أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لن يضيع أمراً كتبه.. لن يضيع رزق كتبه الله لك، وسيسوقه الله إلى مكانك حيثما كنت، ولن ينال أحد من العالمين من رزقك شيئاً.. ولو كان شربة ماء قد كتبها الله لك.

أَمْطِرِي لَوْلَا جِبَالَ سَرَنْدِيبَ	وَأَفِضِي آبَارُ تَكْرُورَ تَبْرَا
أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قُوْتًا	وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرًا
هِمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي	نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرًا
وَإِذَا مَا قِنَعْتُ بِالْقُوْتِ عُمْرِي	فَلِإِذَا أَزُورُ زَيْدًا وَعَمْرًا

الفرع الثالث: التفاؤل سر من أسرار النجاح:

أولاً: التفاؤل هو عنصر حيوي للوصول إلى النجاح والتقدم في الحياة.

(١) سورة الفرقان، الآية ٥٨.

(٢) سورة هود، الآية ١٢٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٤) سورة المائدة، الآية ٢٣.

(٥) سورة الأنفال آ الآية ٢.

(٦) سورة الطلاق، الآية ٣.

عندما تكون متفائلاً، فإنك تنظر إلى المستقبل بإيجابية، وتعتقد أن الأمور ستسير على نحو جيد. هذا النوع من التفكير يعزز الثقة بالنفس، ويحفزك على اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق أهدافك.

ثانياً: التفاؤل سر الشخصية الناجحة.

التفاؤل سر من أسرار أي شخصية ناجحة، فالتفاؤل يزرع الأمل، ويزيد الثقة بالنفس والثقة بتحقيق نجاحات قادمة، ويحفز الشخص على بذل المزيد من النشاط، والعمل والوصول إلى إنجازات عديدة، يجهل البعض أهمية التفاؤل في بناء مستقبلنا، فالتفاؤل أساس كل نجاح، أكبر مسبب لفقدان الطموح والشغف في النجاح هي النظرة السلبية والتفكير المحبط، لا يمكن للشخص تحقيق أي نجاح، وهو يملك نظرة سلبية ومحبطة لكل الأمور، حتى وإن حدثت بعض الظروف السلبية في طريق الشخص، عليه ألا يسمح لها بالتحكم في قراراته هنا يظهر دور التفاؤل.

ثالثاً: التفاؤل يمد الإنسان بطاقة كبيرة وقوة لمواجهة الظروف السلبية والقاسية :

فالإنسان الذي لديه نظرة تفاؤل وإيجابية من المستحيل أن يعرف معنى الاستسلام دائماً ما يكون لديه دافع قوي للنجاح والمثابرة والتقدم في كل أمور الحياة.

كل طريق للنجاح يحدث به عقبات تقف أمامه في تحقيق نجاحه، ولكن بالتفاؤل يسهل التخلص من كافة العقبات بإذن الله.

قبل كل نجاح يحدث الفشل والمصاعب، لكن مع وجود التفاؤل ينظر

الشخص الناجح بأن الفشل أولى خطوات النجاح، والفشل بداية جديدة لنجاحات قادمة.

رابعاً: التفاؤل يُقوي من عزيمة الإنسان:

التفاؤل يُقوي من عزيمة الإنسان ويزيد لديه الرغبة بتحقيق الكثير من النجاحات مهما يمر بمصاعب فبه تفتح الأبواب للحصول على حلول وأفكار وإمكانيات جديدة تساعد الشخص على تخطي المصاعب والعقبات وإكمال طريقه للنجاح

خامساً: التفاؤل: هو انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن:

هو انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيب .

وقيل: هو صفة تجعل توقعات الفرد وتوجهاته إيجابية نحو الحياة بصفة عامة؛ يستبشر الخير فيها، ويستمتع بالحاضر، ويحدوه الأمل في مستقبل أكثر إشراقاً وأحسن حالاً .

وقيل: هو استقراء المستقبل في ملامح الحاضر، والشعور بالتنبؤ بما يأتي، وترقب ما سيحصل للإنسان عند سماعه شيئاً حسناً أو رؤيته له.

سادساً: أن التفاؤل يبعث على حسن الظن بالله تبارك وتعالى:

فهو حسن؛ لأنه وسيلة للخير، فالتفاؤل وسيلة لحسن الظن بالله، وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى غاية من غايات التفاؤل.

التفاؤل وحسن الظن بالله من ثمرات اليقين، والناس فيه متفاوتون بحسب إيمانهم.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ^(١) فأعظم الناس إيماناً بالله هم أكثرهم تفاؤلاً، وكلما قوي إيمان العبد كلما حَسُنَ ظنه بربه.

سابعاً: التفاؤل مفتاح السعادة:

التفاؤل هو أن تقبل على الحياة، وتملك عيناً إيجابية ترى المميزات قبل العيوب، وتبدي الرضا قبل السخط، وأن تغير الحزن فرحاً، والألم راحة، والفشل تجربة تفتح آفاق النجاح. ليس من التفاؤل حتماً أن تتحول اتكالياً، تنتظر الرزق وأنت كسول، أو تتوق إلى النجاح وأنت مقصر، أو تمنى السعادة ومسلحك ينال من الآخرين.

التفاؤل له سحر غير عادي يث حالة استبشار وإقدام لدى صاحبه. ولذا، يسعى إلى إحداث التغيير وبث الفرح والبهجة في محيط الشخص المتفاؤل، وتوجد لديه قوة جذب للآخرين لأنه مصدر لحالة الهدوء والبهجة والإقبال على الحياة، لا يستسلم أمام الصعاب والعوائق، يكرر المحاولة، فطموحه يفوق الإحباط، يعيد ترتيب أوراقه وحساباته وتفكيره ليجد مسار حياته في حالة تقدم مستمر، لا يعرف التوقف، وهو الذي يوجد لنفسه فرصاً من ظروف يهرب أمامها الآخرون، وهذه الطبيعة الحيوية والروح المتحركة داخل المتفاؤل هي التي تحبب الآخرين بالبقاء في رفقته والعيش في معيته.

إن التفاؤل يكسب الشخص بيئة مريحة تتكون من حوله، يصعب تعكيرها أو تلويث أجوائها الصافية، فالحياة بالنسبة له حديقة غناء تتدلى فيها أنواع عديدة من الورد والأزهار التي تبعث على الارتياح، وتهدر

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ .

في حديقته تلك شلالات المياه التي تراقص في انسيابها، وتشكل ألحاناً موسيقية فريدة في تساقطها وتناثر قطراتها، وتغرد فيها طيور الحب وطيور الزينة والطيور الرشيقة في حركتها، وجميعها تصدر أصواتاً متزامنة أو أحادية، ولكنها تشكل معزوفة تؤدي إلى راحة الأعصاب والاسترخاء. ولذا، فهذا المتفائل يهنأ بهذه البيئة التي يتسابق الناس إليها كي يسعدوا بثرائها المريح نفسياً وفكرياً وجسدياً. ولا يخفى أن التفائل يجعل صاحبه يشعر بأن دنياه تتسع على ضيقها وقدرته، تزيد رغم محدوديتها، والحب تكون له معانيه وفنونه رغم غيابه عن الآخرين، ودورة حياته اليومية متجددة متغيرة ومبهجة رغم رتابتها وتكرارها، فهو من يغير الرتبة لتجدد مثير لبهجة الحياة، ذلك هو التفائل وتلك هي أحوال المتفائل.

أما التشاؤم، فهو يمثل حالة انزواء وهروب من الحياة، يعتمر صاحبه نظارة سوداء تفقده القدرة على رؤية النور وإبصار الطرقات والمسارات المريحة التي تيسر مسيرته في الحياة، وتأمين وصوله بسلاسة واقتدار، ولذا، فإنه يصعب السهل وينظر إلى الإشكالات البسيطة على أنها عقد يصعب تفكيكها، ويبالغ في التعامل مع ظروفه، بل ربما يستسلم لها، يعيش وهم همها غير الموجود إلا في نفسه. ولذا، يفسر نظر الآخرين أو كلامهم أو تحركهم أو حتى همسهم أو ضحكهم على أنه موجه إليه، بل ربما يعتبره ترتيباً أو تأمرًا ضده، يبرر خوفه أو عجزه أو تردده أو ضعفه أو عدم حسمه لرأيه ورغبته بأن الظروف أقوى منه، ونسي أو تناسى أننا نستطيع إحداث التغيير وتسخير الظروف ومقاومتها، وتحويل الصعاب إلى درجات سلم نعتليه، وصولاً إلى القمة وتحقيق النجاح، وهو الذي يتميز به المتفائل ويعجز عن رؤيته المتشائم.

ولنعلم أن زوايا الدنيا المختلفة وتعاقب الليل والنهار ووجود النور بعد الظلمة وتبديد الفجر لسواد الليل وبلوغ البحر لمداه على الشاطئ بعد طول الجزر وبزوغ الهلال واكتماله بدرًا بعد اضمحلاله وغيابه، جميعها أمارات ودلائل تقنع الإنسان الذي يعمل فكره بأن التفاؤل هو سمة الحياة، والحالة الطبيعية في ناموسها، ما يعني أنه ليس أمامه إلا التفاؤل الذي هو مصدر البهجة وسر السعادة.. فهلا عشنا التفاؤل ودخلنا ضمن كوكبة المتفائلين، فتلك هي الحياة التي ينبغي أن نعيشها في نفوسنا ومع من حولنا.

ثامناً: ارتباط النجاح بالتفاؤل:

- التفاؤل: سر من أسرار أي شخصية ناجحة، فالتفاؤل يزرع الأمل، ويزيد الثقة بالنفس والثقة بتحقيق نجاحات قادمة، ويحفز الشخص على بذل المزيد من النشاط والعمل والوصول إلى إنجازات عديدة، يجهل البعض أهمية التفاؤل في بناء مستقبلنا، فالتفاؤل أساس كل نجاح، أكبر مسبب لفقدان الطموح والشغف في النجاح هي النظرة السلبية والتفكير المحبط، لا يمكن للشخص تحقيق أي نجاح وهو يملك نظرة سلبية ومحبطة لكل الأمور، حتى وإن حدثت بعض الظروف السلبية في طريق الشخص عليه ألا يسمح لها بالتحكم في قراراته هنا يظهر دور التفاؤل.

- التفاؤل: يمد الإنسان بطاقة كبيرة وقوة لمواجهة الظروف السلبية والقاسية، فالإنسان الذي لديه نظرة تفاؤل وإيجابية من المستحيل أن يعرف معنى الاستسلام دائماً ما يكون لديه دافع قوي للنجاح والمثابرة والتقدم في كل أمور الحياة.

كل طريق للنجاح يحدث به عقبات تقف أمامه في تحقيق نجاحه، ولكن

بالتفاؤل يسهل التخلص من كافة العقبات بإذن الله.

قبل كل نجاح يحدث الفشل والمصاعب، لكن مع وجود التفاؤل ينظر الشخص الناجح بأن الفشل أولى خطوات النجاح، والفشل بداية جديدة لنجاحات قادمة.

- التفاؤل: يقوي من عزيمة الإنسان، ويزيد لديه الرغبة بتحقيق الكثير من النجاحات مهما يمر بمصاعب، فبه تفتح الأبواب للحصول على حلول وأفكار وإمكانيات جديدة تساعد الشخص على تخطي المصاعب والعقبات، وإكمال طريقه للنجاح.

- التفاؤل: يمنحك النجاح قبل اكتماله، والتشاؤم يذيقك مرارة الفشل قبل حدوثه، هي أمور نفسية أنت من يحسمها، فقط أحسن الظن بالله لتسعد.

تاسعاً: التفاؤل مفتاح النجاح؛

لماذا ترتبط دائماً عبارة الحياة الوردية بالحياة السعيدة المثالية الخالية من الضغوطات و المنغصات التي تلبد لونها فتغيره من وردي مبهج للون قاتم يبعث الحزن في أنفسنا.

ولماذا نحلم جميعاً بأن تكون الحياة الوردية عنواناً لحياتنا، مع أننا نشعر بأن ما نعيشه بعيد كل البعد عن مسمى الحياة الوردية؟

فلكل منا هموم ومشاكل، تجعله يشعر بالحزن، وخيبة الأمل أحياناً، وقد يصل به الأمر لفقدان الشعور بالتفاؤل والأمل في حياة أفضل، ولكن ألم نتساءل في يوم من الأيام لماذا نتعرض لمثل هذه التحديات والصعاب؟ إن هذه كلها اختبارات من الله **عَزَّوَجَلَّ** حتى يختبر مدى قوة إيماننا و

صبرنا و ما مدى تشبثنا بالحياة وهل نحن قادرون على تخطي كل تلك الصعاب بالتحلي بالصبر و التفاؤل الذي يعمق فينا الثقة بالنفس ويحفزنا على مواجهة تحديات الحياة.

فبدل أن يسيطر علينا اليأس والتشاؤم لماذا لا نسعى للتغلب على هذه الأحاسيس بالنشاط و العمل؟! ومحاولة إيجاد حلول لكل مشاكلنا، فلا وجود لمشكلة من دون حل، ومثلما هناك شر هناك خير، فالتفاؤل والأمل سيكونان البداية لتجاوز كل منغصاتنا و عثراتنا.

كيف يمكننا أن نتحلى بالتفاؤل؟

- يجب أن نظل دائماً مؤمنين وواثقين في أنفسنا و في عطاءاتنا، وذلك بأن نكرر دائماً عباراتٍ مثل:

- أنا قادر، أنا أستطيع ، بدل ترديد عبارات : أنا فاشل، أنا لا أستطيع، أنا غير قادر .

- إذا خالجنا شعور بأننا قد نفشل، فلنتذكر نجاحاتنا السابقة وتجاربنا.

- لا نجعل مشاكلنا تؤثر سلباً علينا، بل يجب أن نستثمرها، لنأخذ منها عبراً ودروساً حياتية، ونجعلها تجنبنا الوقوع في مثل تلك الأغلاط لاحقاً.

بوصلة التفاؤل:

يقول الشاعر الطغرائي:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

- التفاؤل : هو النور الذي يضيء طريقنا في الظلمة، ويساعدنا على أن

نعيش حياة ملؤها المحبة والسعادة والأمل، ويجعلنا نحقق أحلامنا وآمالنا وتطلعاتنا، وأن ننظر للحياة بعيون حاملة بما هو أفضل لحياة كريمة، مقتنعين بقضاء الله وقدره، وبعيدة كل البعد عن اليأس والتشاؤم والإحباط، فالمتفائل ينظر إلى العالم على أنه يمتلئ بالفرص والآمال، ويعتقد أن الأحداث تسير نحو الأفضل، وينظر إلى النصف المملوء من الإناء، وليس إلى النصف الفارغ منه كما يتصوره أصحاب النظرة المتشائمة والمحبطة.

فالتفاؤل يدفع الإنسان نحو العطاء والتقدم والعمل، وتجاوز المحن، ويورث الطمأنينة وراحة القلب، وتدريب الذات على التمسك بالثقة في الله، لأنه دليل على التوكل على الله، ما يجعلهم من أحسن الناس صحة وسعادة وإيجابية، لأن هذا الشعور يعكس أثراً مفيدة على صحته، فلا تُفسد فرحتك بالقلق، ولا تعطل عقلك بالتشاؤم، ولا تدمر نجاحك بالغرور، ولا تضع تفؤل الآخرين بإحباطهم، ولا تهدر يومك بالنظر إلى الأمس، فلو تأملت في حالك لو وجدت أن الله لم يمنع عنك حاجة رغبتها، إلا ولك في المنع خير، فالمنع أحياناً هو قمة العطاء.

فعلينا عيش اللحظات، وكأنها آخر الأوقات في حياتنا، والعيش بالأمل والحب وتقدير قيمة الحياة والكفاح، فالإنسان بدون أمل كالحياة بدون تنفس وبغير ابتسامة كوردة بلا رائحة، ودون إيمان بالله كوحش في قطيع لا يرحم، ولكن معظم الناس يضيعون تركيزهم وطاقاتهم في النظر إلى الباب الذي أغلق عوضاً عن بارقة الأمل التي فتحت أمامهم على مصرعيها، فلماذا الخوف والشمس لا تظلم من ناحية إلا وتضيء في الجانب المقابل، وعلينا عدم اليأس والقنوط، فعادة ما يكون آخر مفتاح في

مجموعة المفاتيح هو المناسب لفتح الباب.

وإذا كان الأمل قد ضاع، فبين أيدينا اليوم، وإذا كان اليوم سوف يجمع أوراقه ويرحل، فلديك الغد، لا تحزن على الأمل، فهو لن يعود ولا تأسف على اليوم فهو راحل، بل تفاعل واحلم بشمس مضيئة في غد جميل، فلا تثقل يومك بهوم غدك، فقد لا تأتي وتكون قد انحرمت سرور يومك البهيم الوضاء، فإذا أردنا أن نحيا حياة ملؤها الأمل والتفائل وتحقيق ما نريد بإذن الله، وإلا لن نجني إلا سوء التراجع إلى الوراء، وتكون المحصلة النهائية هي الخسران؛ لذا علينا أن نعوّد أنفسنا وقلوبنا على التفائل والأمل بغد برّاق، ننطلق به إلى آفاق أرحب ليست لها حدود لبناء حياتنا بالشكل الأفضل كما نريد.

يقول الشاعر إيليا أبو ماضي:

وترى الشوك في الورود وتعمى أن ترى فوقها الندى إكليلا
أيها الشاكي وما بك داء كن جميلاً ترى الوجود جميلاً

حياتك من صنع أفكارك، فحوّل بوصلة تفكيرك إلى الإيجابيات في حياتك، إلى نعم الله، إلى نجاحاتك، إلى تفاؤلك، واحذر أن تتغلب عليك الأفكار السوداوية: من اليأس والفشل والإحباط، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، أعاذنا الله وإياكم من كل سوء ومكروه.

الفرع الرابع: النفس المتفائلة تؤمن بقضاء الله، ولا تقنط من رحمته؛

حث الإسلام على التفأول وعدم التشاؤم، وأن نبشر ولا ننفر، كما قال رسول الله ﷺ: «بشروا ولا تنفروا»^(١)، حيث إن النفس المتفائلة نفس خيرة، تسعى إلى فعل الخير والبعد عن الشر، ومن الصفات النبيلة والخصال الحميدة التي حبا الله بها نبيه الكريم صفة التفأول إذ كان ﷺ صاحب نفس متفائلة مستبشرة في كل أموره وأحواله حيث قال «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح».

إن هناك آيات كثيرة تحث النفس المؤمنة على التفأول وعدم التشاؤم قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، حيث حملت الآيات دعوة لجميع العصاة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، بأن الله يغفر الذنوب جميعاً، لمن تاب منها ورجع عنها وإن كثرت، وكانت مثل زبد البحر، ودعوة للنفوس المتفائلة المستبشرة بأن لا تقنط من رحمة الله.

وقد أشار الدكتور عبدالفتاح عاشور إلى أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خاطب رسوله الكريم ﷺ في هذه الآيات بإخبار العباد الذين دعتهم أنفسهم إلى ارتكاب الذنوب، أن لا ييأسوا من رحمة الله ويلقوا بأيديهم إلى التهلكة، فيصروا بسبب ذلك على العصيان، لكن يجب أن يعرفوا الله بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، وأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى يغفر الذنوب جميعاً من الشرك والقتل والزنا والربا والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار،

(١) رواه مسلم، رقم: (١٧٣٢).

(٢) سورة الزمر، الآيات ٥٣-٥٩.

فهو **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** غفور رحيم وهما وصفان لازمان ذاتيان لا تنفك ذاته عنها ولم تزل آثارهما سارية في الوجود فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يوالي النعم على العباد في السر والجهر والعطاء أحب إليه من المنع ورحمته سبقت غضبه ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة أعظمها وأجلها بل لا سبب لها غيره وهو الإنابة إلى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بالتوبة النصوح والدعاء والتضرع إلى الله وعدم اليأس وقال إن الإسلام يحثنا دائما على التفاؤل وعدم اليأس، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة يوسف: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ٨٧﴾ ^(١)، أي: لا تيأسوا من رحمة الله وعلى حسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله، وقال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَانٍ الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١١٠﴾ ^(٢).

يخبر الله في هذه الآية أنه يبعث الرسل الكرام، فيكذبهم القوم المجرمون والله يمهلهم ليرجعوا إلى الحق ويشتد على الرسل حتى إنهم مع كمال يقينهم وشدة تصديقهم بوعد الله ووعيده ربما يخطر بقلوبهم نوع من اليأس وضعف العلم والتصديق فإذا بلغ الأمر هذه الحال جاءهم نصر الله فنجى الله الرسل وأتباعهم. نفوس المؤمنين وأوضح أن القرآن الكريم يزرع في نفوس المؤمنين الأمل والتفاؤل، فعندما بشر نبي الله إبراهيم - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - بالولد وهو في سن كبيرة تعجب حيث قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُشِّرُونَ ٥٤﴾ **قَالُوا**

(١) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٢) سورة يوسف، الآية ١١٠.

بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِيطِ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) (١) عندما بشر الملائكة سيدنا إبراهيم وهو في سن كبيرة قال لهم متعجبا ما هذه البشارة؟ وكان السؤال ناتجا عن يأس تملكه بعد هذه السن فقالت له الملائكة: لا تقنط من رحمة الله؛ لأن القانطين يستبعدون الخير، فقال إبراهيم، عَلَيْهِ السَّلَامُ: من يقنط من رحمة الله إلا الضالون، الذين لا علم لهم بربهم، وكمال قدرته، وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا سبيل إلى القنوط إليه واليأس من رحمته؛ لأنه يعلم الكثير من الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله.

وبين أستاذ التفسير بجامعة الأزهر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يزرع في نفوس أصحابه التفاؤل وعدم اليأس والتشاؤم وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن أناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٢) (٣).

وإذا تتبعنا مواقفه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في جميع أحواله، فسوف نجد لها مليئة بالتفاؤل والرجاء وحُسن الظن بالله، وبعيدة عن التشاؤم الذي لا يأتي بخير أبداً ومنها: تفاؤله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو في الغار مع صاحبه والكفار على باب الغار وقد أعمى الله أبصارهم فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنت مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا

(١) سورة الحجر ، الآيات ٥٤-٥٦

(٢) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

(٣) رواه البخاري، رقم: (٤٨١٠)

نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره لرآنا فقال نبي الله : اسكت يا أبا بكر؛ ما بالك باثنين الله ثالثهما^(١).

و في الحديث القدسي : « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة »^(٢).

وكان من أساليب البشرى في حياة رسول الله ﷺ أنه يختار الوقت والموقف المناسب لأداء الموعدة والعلم كي لا ينفر الصحابة وفي ذلك يقول - ﷺ -: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»^(٣).

كما أوضح أن الله بشر المبايعين على الجهاد بما ادخر لهم من الأجر إن وفوا بالبيعة بشرهم بالجنة التي فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤)، وبشر رسول الله ﷺ الموحدون بالجنة جزاء التزامهم بكلمة التوحيد قولاً واعتقاداً وعملاً رحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «أبشروا وبشروا من ورائكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقا من قلبه دخل الجنة»^(٥).

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٦٥٣)، ومسلم، رقم: (٢٣٨١).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٤٠)، وأحمد، رقم: (٢١٤٧٢) والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٠١١) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٣٠٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٣) تقدم صفحة ١٢٤.

(٤) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٥) رواه أحمد (٢٢٠٠٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٤٨ / ٥).

بالله أبلغ ما أسعى وأدركه لا بي ولا بشفيع لي من الناس
إذا يئست وكاد اليأس يقطعني جاء الرجامر عامن جانب الياس

الفرع الخامس: التفاؤل من كمال الإيمان والثقة في الله:

أولاً: أن يكون التفاؤل مقروناً بالإيمان:

إذ المعتقد الصحيح ومعرفة الله بأسمائه الحسنی وصفاته العليا، له أثر عظيم، في التخلق بخلق التفاؤل والحياة به على كل حال ذلك؛ لأن المؤمن يستشعر معية الله له في كافة أحواله، ونظره إليه في سائر أعماله، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١)، كما يعرف ربه بأسمائه الحسنی، وأنه أرحم الراحمين، يقول **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢)، ومعرفة أنه لطيف بالعباد، لقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾^(٣)، وأن رحمته وسعت كل شيء، لقوله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤)، وأنه يدافع عن المؤمنين، لقوله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿إِنِّي أَنَالُ اللَّهُ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٥)، وأنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعفو عن السيئات، ويقلل العثرات، واسع المغفرة، قابل التوب، وغافر الذنب، يريد لعباده الهداية والتوبة قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾^(٦) (٢٧) وأنه ناصر لعباده المؤمنين، قال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ

(١) سورة الحديد، من الآية ٤ .

(٢) سورة يوسف، الآية ٦٤ .

(٣) سورة الشورى، الآية ١٩ .

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٦ .

(٥) سورة الحج، الآية ٣٨ .

(٦) سورة النساء، الآية ٢٧ .

رُسِّلْنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ (١) وغيرها من صفاته الحسنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ فِي تَطْلُعِ الْأَمَلِ، وَتَوَقُّعِ الْخَيْرِ، وَانتِظَارِ دَائِمِ الْفَرَجِ وَاسْتِصْحَابِ لَمَعَةِ اللَّهِ لَهُ بِالنَّصْرِ وَالتَّيْيِيدِ، وَإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَمَزِيدِ الْعَطَاءِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَصَبُّ فِي مَعْنَى التَّفَاوُلِ وَتَحُثُّ عَلَيْهِ!

والتفاؤل: من صميم حُسن الظن بما هو قادم من الأحداث في كل الأمور وما هو قادم، إنما هو أقدار الله المقدرة، فحُسن الظن بها هو حسن ظن بمقدرها الذي هو الله لذلك كان التفاؤل بالخير من حُسن الظن بالله ففي الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله» (٢).

وهو بهذا من صميم التوحيد، فلا يستقيم أن يجتمع في قلب الإنسان إيمان راسخ مع سوء ظن بالله، وتشاؤم بأقداره، فنور الإيمان يبدد ظلام التشاؤم، ويجعل المؤمن في تفاؤل دائم، واستبشار مستمر بحصول الخير، وقدوم الرحمة في سائر الأحوال، وهو ما أشار إليه الشيخ ناصر العمر في إحدى حكمه على تويتر، إذ قال: «أخشى أن يكون المتشاؤمون ممن لم يجعل الله لهم نوراً ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤٠)»، حيث إن بوادر التفاؤل واضحة جلية!! .

وأقوى وأصدق ما يكون التفاؤل حين يمتزج في القلب بقوة الإيمان، وصدق التوكل، فإن إحسان العمل بالقيام بمراد الله في كل شأن يدفع المؤمن إلى الاطمئنان إلى ربه والركون إليه والطمع الشديد في رحمته

(١) سورة غافر، الآية ٥١ .

(٢) رواه ابن حبان (٦٣٩) واللفظ له. وأصله في صحيح البخاري (٧٤٠٥) .

(٣) سورة النور، الآية ٤٠ .

وعطائه وبره وإحسانه وفضله، ويجعله - مهما اغتنى - فقيراً إليه، فينتج عن قوة طمعه في رحمة الله الواسعة، حُسن الظن بالله، والتفاؤل باستشعار عطائه ومدده، فتتهياً نفسه لتلقي الكرامات الإلهية على قدر ما في قلبه من طمأنينة الإيمان وقوة اليقين، ومع ذلك لا يرى نفسه أهلاً للعطاء ولا للكرامة ولكنه يغلب جانب الظن الحسن بالله على ما سواه لغلبة رحمة الله وسعتها ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(١).

وهناك سر لطيف في قوة انبعاث التفاؤل، وقوة تصور وقوع الخير الذي يتفاءل به المؤمن، هذا السر له علاقة بقوة العزم واليقين في الله، كما له علاقة بالعلم بسنن الله في الكون وناموسه في هذه الحياة، والناس في هذا الشأن يتفاوتون علماً وعملاً، وتبعاً لذلك تتفاوت همهم في التفاؤل بالخير.

فإن لله لطائف تسبق الفرج وعلامات يدركها أهل العلم والخشية، كما يدرك جهابذة الحديث علله الخفية وتلك العلامات واللطائف تكون كالنسيم الخفيف العليل الذي يلامس البشرة ولا تراه العين وهي من البشائر التي تأتي في ثنایا البلاء تخفيفاً وتثبيتاً، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(٢)، وهذا من معاني اسم الله اللطيف، ومن القواعد الكلية في ذلك قاعدة: (التيسير علامة التوفيق)، وغيرها مما يطول سرده ومثل هذا يحتاجه الناس في ساعة العسرة وشدة الفتنة فإنها الساعة التي تمتحن فيها القلوب والعقول على السواء.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٧.

الثاني: أن يكون التفأؤل مقرونا بالعمل الصالح:

فالتفأؤل مع التفريط في تقوى الله عمومًا والإصرار على ذلك فيه مخادعة للنفس فإن الله **جَلَّ وَعَلَا** كما دعا عباده لحسن الظن به وتغليب الطمع في رحمته حذرهم أيضًا من مخالفة أمره بل حذرهم من نفسه رحمة بهم حتى لا يتهادوا في عصيانه فقال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾** (١) وقال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (٢)، وقال: **﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا أَلْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾** (٣).

فالتفريط في أوامر الله والإعراض عنها وارتكاب محاذيره دون رجوع بالتوبة موجب لغضب الله كما قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾** (٤)، والتفأؤل مع تعمد التقصير فيه نوع مخادعة بل هو من الجهل الذي وقعت فيه فرق ضالة مثل المرجئة الذين جعلوا من سعة رحمة الله مطية لارتكاب الخطايا، حتى قال شاعرهم:

وكثر ما استطعت من الخطايا إذا كان القدوم على كريم

نعم يُحسن المؤمن الظن بربه عند كل بلاء وفتنة، ويتطلع إلى وقوع فرج وشيك وخير عميم، فهذا مطلوب، وهو من حسن الظن بالله، لكن يسعى جهده لإحسان العمل أيضًا، وإحداث التوبة من الذنوب فإنها سبب

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٢) سورة النور، الآية ٦٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٩٩.

(٤) سورة فصلت، الآية ٦.

البلاء، لا أن يُحسن الظن بخالقه، ويتمادى في الوقت نفسه في عصيانه، فإن سُنن الله الشرعية اقتضت أن يكون من البلاء ما هو عقوبة لا يرتفع إلا بالتوبة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾^(١)، وقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَّةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾^(٢)، حتى قال بعض السلف: «رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق».

لذلك عرف الشيخ ناصر العمر في إحدى حكمه على توير التفائل بقوله: التفائل الحقيقي: «هو الذي ينبعث من القلب عن إيمان وبرهان، ويظهر على قسماات الوجه وحصائد اللسان، ويصدق العمل المطرد مهما تغيرت الأحوال والأزمان».

الثالث: أن يكون التفائل مقرونا بالطلب:

فالدعاء عبادة من أجل العبادات، به تستمطر الرحمة، ويستجلب الخير، وعاجز من لم يستعمله سلاحاً في وجه البلاء، ووسلية لبلوغ الأمل، ففي الحديث الصحيح: (أعجز الناس من عجز عن الدعاء)^(٣)، وإذا قرن التفائل بالخير مع العمل والدعاء كان أدعى لتحقيقه ونيل المراد فإن الله يغضب على من لم يسأله، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

(١) سورة الصافات، الآيات ١٤٣-١٤٤.

(٢) سورة يونس، الآية ٩٨.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم: (١٠٤٢)، والطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٥٥٩١) والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١١ / ١٩٣) (٨٣٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٤٤).

يُرْشَدُونَ ﴿١٨٦﴾^(١)، وَقَالَ قَسَالَى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾^(٢). وفي الحديث الصحيح: «من لم يسأل الله يغضب
عليه»^(٣).

الرابع: ألا يغيب التفاؤل سنن الله في الكون :

من بذل الأسباب الدافعة للأذى، فقه الواقع وتصور الأمور على ما
هي عليه لدفع ضررها والانتفاع بخيرها، فليس من التفاؤل أن نتجاهل
تربص الأعداء وقوتهم وعدتهم وعددهم متوقعين النصر بدون عدة على
قدر ما نستطيع، وليس من التفاؤل الاستبشار بالشفاء مع ترك الاستشفاء
بالدواء وهو بين أيدينا وليس من التفاؤل توقع النجاح مع الكسل والخلود
للراحة، وقد كان سعيد بن جبير يقول: (اللهم إني أسألك صدق التوكل
عليك وحسن الظن بك)^(٤).

وفي هذا السياق يقول الشيخ ناصر العمر في إحدى حكمه على صفحته
في موقع تويتر: (هناك طريقان للحياة: إما أن تخضع للعالم وقسوتها فهنا
تعيش البؤس والحرمان والتشاؤم، اذ أصبحت عبدا لها. واما ان تخضعها
لدينك، فتواجه كبدها وأدواءها وفق السنن الشرعية والأدوية الربانية،
وتستمتع بما فيها من اشراقات وفرص، فهنا ستعيش اسعد من الملوك، اذ
تتخلص من عبودية الدنيا، وترتقي في مدارج العبودية لله).

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٦ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٥ .

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٣٣٧٣)، واللفظ له، وابن ماجه، رقم: (٣٨٢٧)، وأحمد، رقم:

(٩٧١٩)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٣٧٣)

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٤ / ٢٧٤) وابن أبي شيبة (٣٥٣٤٣)

تفائل.... فالتفائل عبادة!! به ستشرق شمس في نفسك بأنوار أمل تبدد ظلام اليأس والإحباط، فإذا الفرج يلوح لك في الأفق كفلق الصبح! وأحسن الظن بربك مع إحسان العمل وكن جميلاً تر الوجود جميلاً، كما قال الشيخ العمر: (من لا يرى في الحقل إلا الأشواك، كيف ينتظر منه أن يقطف الزهور؟).

تفائل بالنصر لهذه الأمة: (فيوم النصر قادم بإذن الله، وسوف يمن الله فيه على المستضعفين من المسلمين في هذا الزمان، وينصرهم على من بغى عليهم وتجبر، ذلك اليوم الذي سيري فيه المتجبرون وأعوانهم ما كانوا يحذرون، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وإن تأخر ذلك اليوم لحكمة يعلمها الله، فلن تهتز قناعتنا بشروق شمس بعد انقشاع الغبار!).

التفائل والاستبشار في الهدي النبوي الشريف من معين سورة يوسف صلى الله عليه وسلم :

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَبْنَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) . (١)

قصة سيدنا يوسف من أروع القصص وأعجبها في القرآن الكريم، أنواع من التنقلات من حال إلى حال، من ذل إلى عز، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، فيها يظهر لطف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعنايته بأوليائه وأصفياه، وتأييده لهم في أحلك الظروف وأشدّها.

بدأت آية مدارستنا بترفق جميل ﴿يَبْنَى﴾؛ أب مكلوم مفجوع من فقد ولديه ومع ذلك ينادي أبناءه بالطف نداء: ﴿يَبْنَى﴾، إنها رحمة الأب (١) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

النبي، وتحقيق الأمور العظيمة يحتاج إلى حكمة وتلطف ورفق وأناة.

﴿يَبْقَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾؛ أمر حذاه أمل ازداد في قلب الوالد، سيدنا يعقوب بتيقن حياة الابن سيدنا يوسف؛ إما برؤيا أو بإخبار ملك الموت إياه بأنه لم يقبض روحه كما يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ لا تفقدوا أملككم في رحمة الله وفرجه وتنفيسه، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧)، فاليأس من رحمة الله هو قنوط واستصغار لسعة رحمة الله وتضييق لفضاء جوده وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ قالها: من ابيضت عيناه من الحزن. مهما تفاقت أحزانك بُث في الآخرين الأمل، فشدة البأس وطوله ينبغي أن لا يقطع رجاءنا فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وألا يجلب اليأس.

ثلاثة فقدناها سيدنا يعقوب مجتمعة، وهي: (يوسف وأخوه وبصره)، فردها الله عليه كلها بتوكله وفأله وصبره، ويقينه بالركن القوي الذي أسند إليه ضعفه ورجا منه رحمته وغوثه، هؤلاء هم أصفياء الله يتلمسون الفرج عند شدة الابتلاء، فلا يثبت المؤمن رغم المحن والشدائد إلا حُسن الظن بالله، وثمة أوجاع في دواخلنا لا يسكنها إلا الأمل في الله عَزَّوَجَلَّ بأن هناك أياما يدخرها لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ستنسينا آلام الماضي.

يلغ الألم البشري متناه بـسيدنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام؛ تضعض جسده وابيضت عيناه، ويصل المشهد ذروته حين يفقد أولاده الثلاثة دفعة واحدة، ومع ذلك يقول في ثقة وثبات: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي

بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وكذلك كان. هذا هو إيمان الأنبياء ويقين الخفاء.

وهكذا هم المؤمنون على الدوام لا يأسون من روح الله ولو أحاط بهم الكرب واشتد بهم الضيق، موصولة قلوبهم بخالقهم، ندية أرواحهم مطمئنة بمولاهم **عَزَّوَجَلَّ**. أجل ما تظهر فيه رحمة الله بعباده المؤمنين في عاقبة المحن والابتلاءات يختبرهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ليعلم صدقهم وثباتهم، فإذا اجتازوا عقبة اليأس باليقين ودرجوا في مسالك الكروب بالثبات والصبر الجميل، رفعهم إلى درجات التمكين والعزة في الدنيا والمقامات العلى في الآخرة. هذه هي سنة الله التي لم تتخلف يوماً من الدهر: إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً.

روى الترمذي **رَحِمَهُ اللَّهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: « سَلُّوا اللَّهَ مَنْ فَضَّلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَنْتَظَرُ الْفَرْجَ » (٢) واللفظ لهما، انتظار المقبلين على الله لا انتظار الغافلين، انتظار المقتحمين للعقبات لا انتظار العاجزين، انتظار العاملين الموقنين لا انتظار الكسالى المتواكلين، فالتفائل ليس شعوراً مصحوباً بالقعود، وإنما هو والعمل قرينان وصنوان لا يفترقان، فلا يسمى المرء متفائلاً إلا إذا بلغ بالأسباب منتهاها، فهذه السيدة مريم - **عَلَيْهَا السَّلَام** -، وهي في أدنى درجات الضعف تؤمر بالأخذ بالأسباب، كما قال المولى **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿ وَهَزِيْةً إِلَيْكَ بِمِجْدَى النَّحْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ (٣)، مع قدرته **عَزَّوَجَلَّ** على إنزاله إليها من غير

(١) سورة يوسف، الآية ٨٣.

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٧١)، والطبراني، رقم: (١٠/١٢٤) (١٠٠٨٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، رقم: (٣٢٧٨).

(٣) سورة مريم، الآية ٢٥.

هز، فالتفأول أمل وعمل.

ولنستصحب معنا هذا الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد، والذي ممكن أن نطلق عليه: ميثاق التفأول، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدٍ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»^(١).

هذا الحديث حث على التفأول والعمل وإن لم يبق في الدنيا إلا دقائق لتبقى عامرة إلى آخر أمدّها المعداد عند خالقها.

والتفأول ليس مجرد أمنية فارغة، فالأمني لا تغير من الواقع شيئاً، وقد أنكر الله على من يتعلقون بالأمني في دخول الجنة بغير موجباتها من العمل، فقال جَلَّ جَلَالُهُ ﷻ: «لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا»^(١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا»^(١٢٤) ﷻ^(٢).

فالرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، أما اليأس والقنوط، فهي صفات مقبته، وسمات سيئة، تضعف الإنسان، وتغضب الرحمن، وتورث الحسرة والندامة، فمن أساء الظن بربه ولم يتحر الخير في قوله، عوقب بسوء ظنه ولفظه، فإن البلاء غالباً موكل بالنطق، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل على أعرابيٍّ يَعُوْذُهُ، وكان إذا دَخَلَ على مَنْ يَعُوْذُهُ، «قال: لا بأس؛ طَهُور

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم: (٤٧٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٢٤).

(٢) سورة النساء، الآيات ١٢٣ - ١٢٤.

«إن شاء الله»، فقال له: «لا بأس؛ طهور إن شاء الله»، قال الأعرابي: قلت: طهور، كلا بل هي حمى تفور على شيخ كبير تُزيرُه القبور، قال النبي ﷺ: فَنَعَمْ إِذَا. (١) أي: لك ما أحببت ورغبت به من الموت، قال ابن حجر في الفتح: فأصبح الأعرابي ميتاً.

وفي الحديث الصحيح قال الله عز وجل: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما شاء» (٢).

قال القرطبي رحمه الله في شرح هذا الحديث: «ظن عبدي بي» معناه: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشرطها (٣).

ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له، لأنه وعد بذلك، وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه فهو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وُكِلَ إلى ما ظن والعياذ بالله.

- التفاؤل: خلق نفساني فاضل حث عليه كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ في سياقات مختلفة وبمفردات متنوعة؛ فتارة بالحث على الاستبشار بالخير وبرحمة الله، وتارة بالنهي عن اليأس واعتباره من أخلاق الكفار كما في آية المدارس، وتارة بالنهي عن القنوط واعتباره ضللاً، وتارة بالحث على إحسان الظن بالله.

(١) رواه البخاري، رقم: (٥٦٦٢).

(٢) رواه أحمد، رقم: (١٦٠١٦)، والدارمي، رقم: (٢٧٣١)، وابن حبان، رقم: (٦٣٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٦).

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب (٨ / ٢٣٤).

لتذكر نبأ ثاني اثنين إذ هما في الغار في تلك الساعة الحرجة العصبية، وقد انتشر الأعداء من كل جانب ليقضوا عليهما فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على بال.

التفأول: نور في الظلمات، وانسراح في القلب، ومخرج من الأزمات والكربات مقرون بالإيمان بالله **عَزَّوَجَلَّ** وبأسماؤه الحسنی وصفاته العلی، لأن المؤمن يستشعر معية الله، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، ويعرف ربه بأسمائه الحسنی، قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١)، وقال **جَلَّ وَعَلَا** عن لطفه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾^(٢)، وقال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عن رحمته: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣)، وقال عن مغفرته: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾^(٤).

وسيرة سيدنا محمد - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - تجدد فينا الروح وتضع أقدامنا على الطريق وتمنح عقولنا وقلوبنا البوصلة.

الأمل والعمل؛ هذا شعارنا ومنهاجنا، وهذا ما سنسأل عنه. تجتاز أمتنا اليوم مرحلة عصبية ومحنة حقيقية؛ فأرضها مستباحة وخيراتها منهوبة وكرامتها مدوسة، وقرارها بيد غيرها لا بيدها، غثائية واستضعاف وفقر وجهل واستبداد وفساد واستعباد.

لكن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غرس فينا النظر إلى ما وراء هذا الواقع الكئيب، حيث بلج الصبح المنتظر وأفق النصر والتمكين، واليقين بأن

(١) سورة يوسف، الآية ٩٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

(٤) سورة غافر، الآية ٣.

الله ناصر المستضعفين وقاهر المستكبرين ولو بعد حين. عن سيدنا تميم بن أوس الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ليلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيتَ مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزٍّ عزيز أو بذلٍّ ذليل، عزًّا يُعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يُذلُّ الله به الكفر »^(١) هذا هو التفاؤل الذي غمر حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورشحه مبدأ سامياً وربى عليه الأوائل الأفاضل.

فمن أخطر أنواع الهزيمة أن تمتلئ القلوب باليأس والقنوط من رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومن الأمل في وعد الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فحامل الدعوة ينبغي أن يكون جبلاً راسخاً في الصبر واليقين، مؤدياً رسالته منتظراً النصر والفرج باستبشار وحسن ظن وسعي حثيث، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢٤)^(٢). من لا صبر له ولا يقين أنى يكون هادياً بأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لماذا يدعو الإسلام إلى التفاؤل ؟

إن دعوة الإسلام للتفاؤل تأتي من منطلق « حُسن ظن العبد بربه »، فإيمان الإنسان بالقضاء والقدر، وقناعاته التامة أن ما يجري في حياته من خير وشر هو قدر خطه العزيز القدير، وأن ما يراه شراً هو في باطنه خير، كلها علامات تدعوك إلى التفاؤل وعدم التطير، وتذكر جيداً لو أردت أن ترسم بيدك طريق حياتك لما خرج جميلاً بالشكل الذي وضعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقط كن متفائلاً .

(١) رواه أحمد، رقم: (١٦٩٥٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: (٣) .

(٢) سورة السجدة ، الآية ٢٤ .

أنواع التفاؤل

هناك نوعان من التفاؤل يجب التفريق بينهما:

الأول: هو التفاؤل الغافل:

أو بمعنى آخر الاستهتار، أي: الإفراط في الثقة دون العمل الجاد من أجل تحقيق أهدافك المنتظرة، وهو نوع يشبه تلك الأحلام التي تسيطر عليك، لكنها بالتأكيد لن تتحقق فأنت مجرد شخص لا يفعل أي شيء من أجل تحويل أحلامك إلى واقع.

الثاني: فهو التفاؤل الواعي:

ويعني أنك شخص قادر على تقييم نفسه بطريقة موضوعية تحدد من خلالها نقاط الضعف الخاصة بك، وتعمل على تقويتها مستنداً في ذلك إلى تفاؤل يوصلك إلى تحقيق أحلامك، هذا النوع سيجعلك أقرب أكثر من أي وقت مضى نحو تحقيق أحلامك، وتذكر جيداً التحلي بالموضوعية صفة تصاحبها الكثير من النتائج المذهلة في النهاية.

هل أنت واحد من أولئك الذين يسيطر عليهم التشاؤم في كل لحظة؟ لا تكن سلبياً واحذر من هذا المرض النفسي، نعم فالتشاؤم مرض يضرب النفس ويحيل جمالها إلى جحيم، لا تجعل لون أيامك سوداويًا، ولا تركز على كل ما هو سيء، اجعل لك جانباً في التفاؤل، وانتظر الخير قرب السماوات والأرض قادرٌ على كل شيء. تعرف أكثر على التفاؤل في حياة الأنبياء من خلال القرآن الكريم الأمل و التفاؤل في حياة الأنبياء والتابعين لهم بإحسان.

أحوج ما يكون الناس إليه في ظل هذه الظروف خاصة من يبعث في نفوسهم التفأول، والأمل وحسن الظن بالله والتوكل عليه والرضا بقضاء الله وقدره، واجتناب التشاؤم واليأس والقنوط، وبث الأخبار التي فيها تشييط العزائم، ونشر الخوف والهلع بين الناس، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ﴾ (١) وقال جَلَّ وَعَلَا حاكياً حال نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حيث بث التفأول: ﴿إِذَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٢)، وقال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ (٣)، وفي الحديث القدسي قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى (أنا عند حسن ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء) (٤).

ولا ينافي التفأول الأخذ بالأسباب الحسية والاحتياطات والعمل بالتعليمات التي يرشد إليها أهل الاختصاص، ولشق فيما تتخذه الدولة من إجراءات، ولنلزم التحصينات الشرعية كالأوراد الشرعية عند النوم وفي الصباح والمساء ونزول المنزل، ولنكثر من الدعاء، فبذلك كله يحصل الشفاء ويرتفع البلاء بإذن الله.

أيها الشاكي وما بك داءً كيف تغدو إذا غدوت عليلاً
ان شر النفوس نفس يؤوس يتمنى قبل الرحيل الرحىلا

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

(٣) سورة الانفال ، الآية ٦٠ .

(٤) تقدم صفحه ١٣٧ .

و يرى الشوك في الورود ويعمي أن يرى فوقها الندى إكليلاً
هو عبء على الحياة ثقیل من يرى في الحياة عبأً ثقیلاً
والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً
كن هزارةً في عشه يتغنى ومع الكبل لا يبالي الكبولا
لا غرباً يطارد الدود في الأرض وبوماً في الليل يبكي الطلولا
كن غديراً يسير في الأرض رقراقاً فيسقي عن جانبيه الحقولا
كن مع الفجر نسمةً توسع الأزهر سار شماً وتارةً تقبلاً
أيها الشاكي وما بك داء كن جميلاً ترى الوجود جميلاً

التفاؤل: باب من أبواب التوكل على الله.

الأسرة المسلمة: هي نواة المجتمع الإسلامي وكيانه، وهي ركيزة تقدمه، وأساس بنيانه، وبصلاح الأسرة واستقامة أفرادها يصلح المجتمع الإسلامي ككل في دنياه وفي آخراه.

ولكي نصل إلى أسرة مسلمة مثالية لا بد لنا من منهج قويم وتخطيط سليم وقدوة حسنة، ونموذج أخلاقي نهتدي بهديه ونتبع منهجه.

ورسولنا الكريم **صلى الله عليه وسلم** وهديه؛ هو طوق النجاة في هذه الدنيا لكل أسرة مسلمة وكيف لا وهو القائل: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: «كتاب الله وسنتي»^(١).

(١) الشريعة، للأجري، رقم: (١٧٠٥).

ولم غفل عن التفأول حتى أساتذة علم النفس، حيث عرفوا التفأول بأنه: «استبشار نحو المستقبل يجعل الفرد يتوقع الأفضل، ويتنظر حدوث الخير، ويرنو إلى النجاح وهو سر النفس، أما التشاؤم فإنه توقع سلبي للأحداث القادمة يجعل الفرد ينظر حدوث الأسوأ بدلاً من الأفضل».

وعلى الإنسان دائماً أن يتوقع الخير والتوفيق في أموره، وأن يلزم التفأول، فهذا باب من أبواب التوكل على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وإحسان الظن به، كما أن التشاؤم من أخلاق الجاهلية، وفيه ما فيه من إساءة الظن بالله **جَلَّ وَعَلَا**.

من يتفأول بالخير يجده والعكس صحيح: إضافة إلى أن من يعتاد التشاؤم والشر قد يبتلى به جزاء وفاقاً، ليزوق وبال إساءة الظن بالرحمن الرحيم الحكيم الخبير **جَلَّ وَعَلَا**...

وقد جاء هذا المعنى في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من حديث أنس: «والطيرة على من تطير»^(١)، والطيرة في الإسلام معناها التشاؤم...!

يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في تعليقه على هذا الحديث في كتاب مفتاح دار السعادة: وقد يجعل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تطير العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه به كما يجعل الثقة والتوكل عليه وأفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به، وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به^(٢).

(١) رواه ابن حبان، رقم: (٦١٢٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن

حبان، رقم: (٤٧٠ / ٨)

(٢) مفتاح دار السعادة (٢ / ٢٥٦).

وكل من خاف شيئاً غير الله سُلط عليه، كما أن من أحب مع الله غيره عُذب به، ومن رجا مع الله غيره خُذل من جهته، وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها.....

و من تفاعل بالخير يجده إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الفأل الحسن، ويكره التشاؤم والطيرة..

جاء في مُسند الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الفأل الحسن، ويكره الطيرة^(١).

وعن صهيب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٢).

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(٣)، فالتفأول هو يبعث بالنفس الأمل ويحفز على الإيجابية والعمل، فمن أمثلة التفأول الاستبشار برؤية الهلال والدعاء بالخير ورؤية الطفل حديث الولادة ونزول الغيث.

ومن الأحاديث التي تدعم التفأول قول الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بشروا ولا تنفروا يسروا ولا تعسروا»^(٤).

(١) تقدم تخريجه صفحة ٢٥ .

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٩٩٩) .

(٣) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤) .

(٤) تقدم تخريجه صفحة ١٢٤ .

وهنا أورد قوله: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»^(١). وهذه من أحلى الصور محبة الله والثقة به وحسن التوكل عليه.

أما التشاؤم والتطير منهي عنهم في ديننا الحنيف وشريعتنا السمحة، قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك»^(٢)، مكرراً إياها ثلاثاً للتأكيد.

وللأسف الشديد قد نجد في وقتنا هذا من يقرأ الأبراج ويصدقها...! وقد يتفائل بها أو يتشائم...! وهؤلاء قال عنهم رسول الله: من أتى عرافاً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد!

وقد نجد من بيننا من يتقلد التائم كطوق بالعنق، أو عين زرقاء وهذا من تلاعب الشيطان بالأذهان.

وما أجمل المسلم المتفائل حينما يتوج تفاؤله بالتوكل على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وها هي الآيات تؤكد هذا المعنى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣)، وهل تعلم أن آيات التوكل، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الوكيل، وهو نعم الوكيل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قد بلغت حوالي اثنتين وخمسين آية، منها قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٤)، ومنها قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٥).

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٨٧٧).

(٢) رواه أبو داود، رقم: (٣٩١٠)، والترمذي، رقم: (١٦١٤)، باختلاف يسير وصححه الألباني في غاية المرام (٣٠٣).

(٣) سورة الطلاق، الآية ٣.

(٤) سورة ال عمران، الآية ١٥٩.

(٥) سورة الاحزاب، الآية ٣.

والتوكل هو: صدق الاعتماد على الله في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وِكَلَةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه.

إذا أردت أن يكون وكيلك الله في كل حال فتمسك بالتوكل في كل حال... ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٢) . (١)

إذا أردت يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل ... ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٥٩) . (٢)

إن شئت أن تنال محبة الله فانزل أولاً في مقام التوكل، يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) . (٣)

إذا أردت أن يكفيك الله كل شيء، وتحصل على كل شيء من خالق السماء والأرض ومالك الملك فعليك بالتوكل.. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٤)، أي: كافيهِ.

حقاً ما أحوج الأمة اليوم إلى هذه المعاني، وترسيخها في النفوس، فلنبداً بأنفسنا وأسرنا ومجتمعاتنا.

«تفاءل بالله دائماً ، توكل على الله دائماً ، انفض غبار الحزن واليأس، ابتسم وانفض بثبات، وتذكر أن العسر يتبعه يسر، وأن الله رؤوفٌ رحيمٌ بعباده» .

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٤) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

كيف أكون متفائلاً؟

حاجتنا إلى التفاؤل في جوانب الحياة:

نحن في موضوع التفاؤل نحتاج في مواقف كثيرة في الحياة.

مثلاً: المرض والمرضى والتعامل مع المرضى، وهذا كلام للأطباء والمرضى والعاملين في المستشفيات، ولطلاب كلية الطب، وكذلك للزائرين للعائدين للمرضى. فالمرض لا شك يقعد بالشخص، يُقعد به ويقعد به.

ذكر ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - في أخبار الحمقى والمغفلين أن عجوزاً دخلت على قوم تعزيهم بميت، فرأت عندهم في الدار بعد أن عزتهم رأت رجلاً عليلاً، فرجعت لجماعة أهل البيت، قالت: أنا والله يشق عليّ المشي، من الآن أقول أحسن الله عزاءكم^(١) - يعني في هذا الثاني -! أنا يشق عليّ الذهاب والرجوع مشياً، بعد ذلك أسمع خبر وأرجع مرة أخرى، أقول لكم من الآن أحسن الله عزاءكم! فالتفاؤل مهم في المواقف المتعددة.

مثلاً الحياة الزوجية، الحياة الزوجية فيها مشكلات وهناك ناس عندهم مشاكل مع زوجاتهم ومع بعض أولادهم، لكن الحياة الزوجية أصلاً مبنها على التفاؤل أصلاً من أول كلمة يُقال لك في الزواج «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في الخير»^(٢)، فيكون هذا فال طيب، يعني دعاؤه بهذا الدعاء دعاء بالبركة.

(١) أخبار الحمقى والمغفلين (ص: ١٧١).

(٢) رواه الترمذي، رقم: (١٠٩١)، وأبو داود، رقم: (٢١٣٠)، وأحمد، رقم: (٨٩٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٨).

وحتى الزواج نفسه يتفأل به، لو أن فقيراً ضيق ذات اليد، ممكن يتفأل بالزواج؟ نعم، يتفأل بالزواج نفسه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَبِيناً أَنْ الْغَنَى سَيَحْصُلُ وَالسَّعَةِ سَتَأْتِي، بماذا؟ قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٢) (١).

ولذلك الواحد يتفأل بالزواج أن يغتني، هو الزواج أنكحوهم لو كانوا فقراء زوجوهم، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. ويتفأل بالزواج بحصول السعادة، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) (٢).

هذه السعادة، وتتفأل بالزواج بالذرية الطيبة، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٨) (٣).

وحتى لو وجدت من الزوجة بعض ما ينفرك وبعض ما تكرهه تفأل أن هنالك جانباً آخر رأيت بعضه أو لم تر البعض الآخر، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُهُ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩) (٤).

هذا وجه التفأول، ربما يأتيك منها ولد ليس في الحي مثله، وربما يأتيك منها ولد ليس هناك مثله في البلد.

الآن لو قدر الله ووقع الطلاق، وقعت المصيبة، هذا الطلاق أزمة نفسية وشقاء وتعاسة، كرب في الحقيقة، هل هذا الطلاق ممكن يكون فيه خير

(١) سورة النور، الآية ٣٢.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٧٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣٨.

(٤) سورة النساء، الآية ١٩.

مثلاً؟ وكيف يكون مثلاً؟.

قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في آيات الطلاق: آيات الطلاق نهاياتها عجيبة، تحتاج تأمل، نهايات آيات الطلاق في سورة الطلاق نهايات تستدعي الوقوف عندها، والتبصر بها، تجد أن بعضها ينتهي: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(١).

تجد بعضها ينتهي: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾^(٢).

هذا فيه تفاؤل، المرأة انكسرت نعم، والرجل حصل على ما حصل، حصل لكن قضي الأمر، انتهت العدة، أو صارت الطلقة الثالثة، يقول **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٣). يغني الله كلاً من سعته، الله يغني المرأة ويغني الرجل، ما وقف رزقها عليه.

التفاؤل في قضية الحصول على الوظائف وفرص العمل في قضية البحث عن وظائف مثلاً، أعمال، بعض الناس والله قدر عليه رزقه، ضاق عليه رزقه، مقلول انكسر، تاجر خسر، موظف طرد من وظيفته، طالب متخرج مدفوع بالأبواب، متخرج مدفوع بأبواب الشركات.

يقول المولى **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٤)، ويقول **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾^(٥).

وينبغي التفاؤل حتى بالسؤال، كما قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ

(١) سورة الطلاق، الآية ٧.

(٢) سورة النساء، الآية ١٣٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٤) سورة الشرح، الآية ٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ١٧.

من فضله إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾^(١)، والتفاؤل بطلب الرزق والسعي له، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٢) ﴿١٥﴾.

لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرج
إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتج
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلج

هناك ناس عليهم ديون، مطالبون، يتفائل بماذا؟

إذا أخذ أموال الناس يريد السداد يتفائل؛ لأن هناك وعد من الوحي، قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه»^(٣) لكن الذي أخذها يلعب بها ولا ينوي ردها أصلاً، ويل له!.
الزبير لما نزل به الموت أوصى ابنه بسداد ديونه، الزبير هو غني لكن كان يقترض ويتصدق.

جاءه سائل ما عنده اقترض وتصدق، اقترض، يقول: عندي أملاك وعندي مزارع، لكن الآن ليس موسم حصاد.
فلما حضرت الزبير الوفاة جعل يوصي ابنه عبد الله: يا بني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاك .

يعني إذا جاءك صاحب دين وصاحب مال يسألك ما عندك شيء

(١) سورة النساء ، الآية ٣٢ .

(٢) سورة الملك ، الآية ١٥ .

(٣) رواه البخاري، رقم: (٢٣٨٧).

استعن بالله مولاك.

يقول عبد الله: «فو الله ما دريت ما أراد -يعني ما المقصود مولاي- حتى قلت: «يا أبت من مولاك؟»، قال: الله».

قال عبد الله: «فو الله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه» فيقضيه .

لما قتل الزبير ما كان عنده لا دينار ولا درهم إلا أرضين، الغابة، ودور. قال عبد الله: «فحسبتُ ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف، ومائتي ألف» يعني مليونين ومائتين ألف.

أخذ عبد الله يقطع ويبيع، بالمزاد، يقطع ويبيع، يقول: «حتى قضيتُ الدين كله، ووزعت الباقي على ورثة الزبير» وكان عنده أربع زوجات، الزوجات كلهن يأخذن؟ الثمن، يعني كل واحدة تأخذ ربع الثمن، يقول: فكان نصيب كل امرأة من زوجاته الأربع -كل امرأة - ألف ألف ومائتا ألف، يعني مليون ومائتين ألف، غير نصيب الذكور، وغير نصيب الإناث. قال: «هذا غير الوصية» يعني كان عنده وصية، فكم كان ماله؟ قال عبد الله بن الزبير: «فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف»^(١)

هو أصلاً كان له أرض في الغابة نتيجة فتوحات وغنائم، لكن هذه بركة الله في بيعتها، ركام ربما تباع بأبخس الأثمان، لكن إذا برك الله في بيعة في شيء، إرث هذا الرجل الصالح بيعت بأعلى الأثمان، وانفكت الأزمات والديون، وأخرجنا الوصية، ووزعنا على النساء والذكور والإناث وحصل كل هذا، فرّج من الله.

(١) رواه البخاري، رقم: (٣١٢٩).

التفأول بالخير في السفر :

نحن -مثلاً- في السفر، الواحد في السفر وبالذات فيما مضى، كان هناك خوف في السفر، قطاع الطرق، ممكن مهلكة، مسبعة، أرض فيها في الطريق مخاطر كثيرة، قاطع طريق، وحش، كذا...تحصل ! .

فدعاء السفر « اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل » (١) .

فإذن، تفاعل بسلامة العودة، وسلامة الأهل، وسلامة المال، وحصول الغنائم من السر، تفرّج هم واكتساب معيشة، وعلم، وآداب، وصحية ماجد.

مات أب ترك ذرية صغاراً، أيتاماً، هؤلاء الأيتام يتفاعل لهم الآن أنهم يكبرون، وأنهم يعيشون، وأنهم يغتنون، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۖ ﴾ (٨) ، وكانت العرب تسمي الصحراء مفازة تفأولاً بقطعها بسلام وأمان، وتسمي القافلة قافلة تفأولاً برجوعها قافلة سالمة.

التفأول في مجال الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

في مجال الدعوة إلى الله نحتاج للتفأول، الناس يقولون: الآن كثيرة هذه المغريات والفتن والشهوات، الشبهات كثيرة، والشهوات كثيرة، والناس الآن تكلمهم ما يستجيبون لك، وتأمّرهم بالمعروف، وتنهّاهم عن المنكر ولا يستجيبون، كأنه ليس هناك فائدة.

نقول: بالعكس! هناك فائدة - إن شاء الله -، الله يفتح قلوباً، من الذي

(١) رواه مسلم، رقم: (١٣٤٢) .

(٢) سورة الضحى ، الآيات ٦ - ٨ .

قال ليس هناك فائدة؟ حتى لو اشتد عليك، اشتد الأمر على الداعية، الله سيسهل له المسالك، يفتح له القلوب، وهناك أناس ستهتدي، وهناك أناس ستتأثر، وهناك أناس الآن ما اهتدت، لكن سيهديهم الله فيما بعد، وهناك أناس سيبارك الله في هدايتهم، فيجعل الله منهم مهديين أيضاً على أيديهم، وحتى الأعداء، ربما يهديهم الله بعد ذلك.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى للصحابه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ۖ ﴾ (١).

تفاؤل الأبوين بتربية الأبناء :

وهكذا يتفاعل الأب بتربية أولاده، وكذلك الأم، بالرغم من كثرة العقبات وكثرة الفتن وكثرة الملهمات والمشغلات والأشياء التي فعلاً تشتت الأولاد وتغرقهم في المعاصي والترف، لكن إذا بذل الأب السبب، وبذلت الأم السبب يتفاءلان بأن الله سيصلح الولد ولو بعد حين، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ۖ ﴾ (٢).

إذا حاول وقايتهم بإلزامهم بما أمر الله، ونهيهما عما نهى الله عنه سيأتي إن شاء الله الفرج.

وفي هذه العملية تربية الأولاد قيل إن أم محمد الفاتح -السلطان العثماني- كانت تأخذ طفلها وهو صغير وقت صلاة الفجر لتريه أسوار القسطنطينية، وتقول: أنت يا محمد تفتح هذه الأسوار.

فيقول: أنا؟ كيف؟ فتقول: «بالقرآن والسلطان والسلاح ومحبة الناس»

(١) سورة الممتحنة ، الآية ٧ .

(٢) سورة التحريم ، الآية ٦ .

وهكذا كان ، وكما علمنا أن أم الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس إمام الحرم المكي الشريف كانت تدعو لابنها أن يكون إمام الحرم وتفاءلت بذلك فكان بفضل الله ورحمته.

التفائل للطالب بالنجاح والتوفيق :

التفائل للطالب ونحن في موسم الامتحانات، هو يدرس، يبذل الأسباب، يتفاءل بأن الله سيوفقه، ليس الواحد من أول ما يذهب الاختبار يقول: واضح أن الأسئلة صعبة! لم يقرأ الأسئلة بعد! .

قال أحدهم:

إذا ضاقت بك الدنيا ففكر في «ألم نشح»
فعر بين يسرين متى تذكرهما تفرح

وقال آخر:

سيفتح الله باباً كنت تحسبه من شدة اليأس لم يخلق بمفتاح

وقال آخر:

أيها البائس صبراً إنَّ بعد العسر يسراً

وقال آخر:

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسيرُ وكل أمر له وقتٌ وتدبيرُ

فكم من رجل رأيناه باكياً فما دارت الأيام حتى تبسماً

ومما نقله ابن كثير في تفسيره ما يروى عن الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أنه قال:

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا مَنْ رَاقِبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا

مَنْ صَدَقَ اللَّهُ لَمْ يَنْلُهُ أَذَى وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا

وقال ابن دُرَيْدٍ: أنشدني أبو حاتم السجستاني:

إِذَا اشْتَمَلْتَ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَضَاقَ لَهَا بِهَ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ

وَأَوْطَأَتْ الْمَكَارِهِ وَاطْمَأْنَنْتْ وَأَرَسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ

وَلَمْ تَرَ لَانْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهَهَا وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرْيَبُ

أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ

وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرْجُ الْقَرِيبُ

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فَرَجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تَفْرَجُ؟ ^(١)

وهناك مفاتيح الفرج ينتفع بها الطالب وغيره ممن يعاني من شدة
وكره وضيق .

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية، (٨ / ٤١٨) .

فوائد التفاؤل

التفاؤل - له فوائد كثيرة، فمن فوائد حصول الخير، خلاص **﴿إِنْ يَعْْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (١).

١. تتجاوز المحن:

التفاؤل يتجاوز به الإنسان المحن، الاستعانة بالله، فمثلاً التفاؤل بشفاء المريض يكون سبباً للشفاء، التفاؤل بالنجاح يكون سبباً للنجاح، التفاؤل بالنصر يكون سبباً للنصر، التفاؤل باندفاع المصيبة، بقضاء الدين، وهكذا.

٢. أنه يورث طمأنينة النفس وراحة القلب والارتياح:

إذا جئت تحسب الاحتمالات تتعب، لكن مع التوكل على الله، والتفاؤل بالخير تهون الأمور.

سَهَرَتْ أَعْيُنٌ وَنَامَتْ عُيُونٌ فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ
فَادِرًا أَلْهَمَ مَا اسْتَطَعَتْ عَنِ النَّفْسِ سِرِّ فَحِمْلَانِكَ أَلْهَمَ جُنُونُ
إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَاكَ نَ سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ

ثم المتفائل عنده انفساح في الصدر واعتقاد أن اليسر بعد العسر آت وأن رحمة الله تسبق، فلا تنكسر نفسه، ولا يقعد عن العمل، ولا يصاب بالإحباط ولا بالاكتئاب.

(١) سورة الأنفال، الآية ٧٠.

هذا الأمل مهم، كما قال الشاعر:

أعلل النفس بالآمال أرق بها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

٣. المتفائل إيمانه بالله قوي.

ثم التفاؤل هذا له علاقة مباشرة بالإيمان، له علاقة مباشرة قوية بالإيمان؛ لأنه يدل على الثقة بالله، له علاقة مباشرة بالتوحيد؛ لأنه يدل على حسن الظن بالله، له علاقة مباشرة بالاعتقاد الصحيح؛ لأنه يدل على الرضا، فيرضا بقضاء الله.

٤. النظرة الإيجابية للأشياء.

والتفاؤل يُعوّد المؤمن على أن تكون نظرتَه للأشياء إيجابية، لا تسب الحمى، الحمى يكفر الله بها الذنوب، مع أنه ظاهر الأمر حمى وآلام سخونة، لكنها تذهب الخطايا كما يذهب الكير خبث الحديد.

وأيضاً التفاؤل فيه سعادة للإنسان، من أسباب السعادة، حتى يقال من أسباب طول العمر.

أما المكتئب ماذا سيفعل بالاكئاب، ما يحل المشكلة الاكئاب، التفاؤل ممكن يكون حلاً، لكن الاكئاب لا يكون حلاً.

قال السَّاء كئيبة وتجهما قلت ابتسم يكفي التجهم في السَّاء

قال الصبا ولّى فقلت له ابتسم لن يرجع الأسف الصبا المتصرما

ومنها:

- ١- يَهْبُ المرءُ شجاعةً وقوَّةً في قلبه، وجسارَةً على مواجهةِ الصُّعَابِ.
- ٢- يُرَوِّحُ عن النَّفْسِ ويجلبُ لها السَّعادةَ.
- ٣- يبعثُ في المرءِ مزيداً من النَّشاطِ والحيويَّةِ والهمَّةِ العاليةِ.
- ٤- المتفائلُ برحمةِ اللهِ له المحسِنُ الظَّنَّ برَبِّه، يأتي بالعبادةِ على أكملِ وجهٍ.
- ٥- له أثرٌ بالغٌ على صحَّةِ الإنسانِ؛ فالمریضُ يتماثلُ للشفاءِ إذا ما تفاءلَ خيراً واستبشرَ بالشفاءِ، وكم من مریضٍ علَّتهُ في تشاؤمِهِ واستدعائهُ الهمومَ والأحزانَ!.
- ٦- أن في التفأولِ اقتداءً بالنَّبِيِّ ﷺ واتباعاً لهديهِ الشَّريفِ.
- ٧- حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ.
- ٨- أن في التفأولِ تقويةً لعزمِ الإنسانِ.
- ٩- أن التفأولَ يتضمَّنُ الرَّجاءَ والأملَ، والرَّجاءُ خيرٌ للمؤمنِ من اليأسِ والقنوطِ في كُلِّ الأحوالِ.
- ١٠- أنه باعِثٌ على الجدِّ.
- ١١- أنه مُعينٌ على الظَّفَرِ.
- ١٢- صحَّةُ النَّفْسِ واعتدالُ المزاجِ.
- ١٣- سعادةُ النَّفْسِ والقلبِ واطمئنَّانِهما.
- ١٤- دوامُ البشْرِ واللُّطفِ والهدوءِ.
- ١٥- الرِّضا بالقضاءِ والقَدَرِ، واعتقادُ أنَّ كُلَّ ما قدَّرَ اللهُ هو خيرٌ له.

انتظار الفرج عبادة :

التفأول المتوقع بعد انتظار الفرج عبادة .

كان **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يربي أصحابه على انتظار الفرج، التعبّد، انتظار الفرج، وعلى الأمل الحسن، وأن الله سيأتي بالنصر والعاقبة الحسنة، وأن هذه طبيعة الدعوات، هذه طبيعة الدنيا أصلاً، لا يمكن الرجل حتى يُبتلى، ما يأتي النصر إلا بعد عسر .

واجتمعت قريش وغطفان وأسد وفزارة وأشجع وقبائل، وقالوا هذه هي، ضربة واحدة، هجمة واحدة، اتحاد القبائل العربية المشتركة للهجوم على المدينة.

وتحزبوا... ﴿ **إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا** ﴾ (١٠) . (١)

فعلاً بلغت القلوب الحاجر من الخوف والفرع، ﴿ **وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا** ﴾ (١٠) **هَٰذَا أَتَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا** ﴾ (١١) . (٢)

ومع ذلك كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول عند ضرب الصخرة: « الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، باسم الله، الله أكبر -الضربة الثانية- والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، باسم الله والله أكبر -ضرب الضربة الثالثة- الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا » . (٣)

(١) سورة الأحزاب، الآية ١٠ .

(٢) سورة الأحزاب . الآية ١١ .

(٣) أخرجه أحمد، رقم: (١٨٦٩٤)، وحسنه ابن حجر في الفتح، رقم: (٣٩٧ / ٧) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف .

بالرغم من اجتماع العدو وضعف العدو وقلة عددهم بالنسبة، والبرد القارس، والضرر الذي نزل بهم، والحصار، والشتاء، والظلام، وأنواع المخيفات الكثيرة، مع ذلك النبي ﷺ يعطي البشائر، وبشارة تلو بشارة، وبشائر على مستوى، ليس فقط ينهزم جيش المشركين، لا، على كسرى وقيصر، أشياء عظيمة، وتحققت كلها ووطئت أقدام الصحابة بلاد فارس، والروم وفُتحت البلاد بأيديهم.

المتفائل يقرأ الأحداث على أحسن الوجوه :

وإنما تطيب الحياة بالأمل والتفاؤل، والمتفائل يقرأ الأحداث على أحسن الوجوه ويرى الخير حتى من خلال الشر وشعاع الشمس من خلل الغمام، ونور الفجر من وسط الظلام.

وفي هذه الأجواء العصبية التي تعيشها الأمة وتتعرض فيها للطعن في مقدساتها وثوابتها وتشريد أبنائها وتقتيلهم، في هذه الأجواء التي تدعو إلى الإحباط في نظر الكثيرين، فإننا نبعث هذه الكلمات والبشائر المتفائلة محملة برياح التغيير التي هي سُنَّة من سُنن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ونسلم أحياناً كلمات تدعو لليأس، أنا محبط، ليس لدي ثقة، لا أظن أن أمتنا ستنهض من الغيوبة التي هي فيها، ليس هناك أمل، المسلمون مغلوبون، سيقون مغلوبين، سيقون في آخر الأمم، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُكُمْ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَكُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ (١)، ولا مخرج، أمتنا ممزقة وغير قادرة على تجاوز ضعفها، هذه الأمة مشلولة، سيطر أعداؤها عليها، لا يمكن استرداد العزة، والخروج من حال الغفلة، الهوى مطبق،

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢١.

ونحو ذلك من أنواع الكلمات التي فيها يأس.

ونحن نؤمن بأن في المحن منحةً، وبأن النصر مع الصبر، وبأن العسر مع اليسر، كما هي مفردات في القرآن والسنة.

المسلمون اليوم بحاجة إلى من ييث الأمل في نفوسهم، الدعاة، المربون، عامة الناس، فمهما طال الليل وادهم، ومهما تكالب أهل الشر فإن الله، يخرج من ينشر هذا الدين، ومن يقوم بحمله، «يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله».

مهما تكاثف ليل الظلمات ومكر الأعداء، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى سيتم نوره، يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١).

أصيب المسلمون في أحد في أرواحهم، قتل منهم سبعون صحابياً، كسرت رباعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشُجَّ وجهه، وأرهقه المشركون، وأصيب من أصيب بالجراح، وقال المنافقون: قضي الأمر وانتهى.

لكن الله قال للمسلمين المؤمنين أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠).

إذن، لا تضعفوا لا في الأبدان ولا تهنوا في قلوبكم، لا وهن في البدن ولا ضعف ولا حزن في القلب، أيقنوا بنصر الله، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ

(١) سورة التوبة، الآية ٣٢

(٢) سورة آل عمران، الآيات ١٣٩، ١٤٠.

أَلَا عَلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ (١) .

فإذن ماذا كان التوجيه؟

فأشدد يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركانُ

بينها وبين بئر معونة تقريباً ستة أشهر، ستة أشهر كان المسلمون مع مصيبة أخرى عظيمة قتل فيها سبعون من القراء، سبعون من خيار الصحابة.

أيضاً، هناك سبعون وراء سبعين من الصحابة خسائر مائة وأربعين من الأعداء، من الأبطال، من الحفاظ.

هكذا توالى الخسائر، لكن النبي ﷺ وأصحابه هل توقفوا عن العمل؟ أبداً.

هل يتسوا؟ إطلاقاً، وفي هذا يقول المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْشَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ﴾ (٢) .

فمن سُنن الله سُنَّة المدافعة، وسُنَّة المداولة، وسُنَّة التغير، وسُنَّة التمحيص، يقول المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (٣) .

وعلينا أن نعلم أنه لا يمكن أن يدوم الباطل، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

فطبيعة الباطل الذهاب والاضمحلال، إن الباطل كان زهوقاً.

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٩ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ١١٠ .

(٣) سورة محمد ، الآية ٤ .

ومن السُّنن، سُنَّة الزُّبْد، وهي ذهاب الباطل ومقوماته، وبقاء الحق، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١).

تفاؤله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاسم الحسن:

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعيش التفاؤل في كل أحواله، ويعجبه الفأل الحسن كما في الحديث الصحيح، ويتفاءل بالاسم الحسن، وإذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤي ذلك في وجهه. إذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح ورؤي بشر ذلك في وجهه» (٢) وقال لأصحابه: «إذا أبردتم إلي بريدًا يعني شخص يحمل الرسائل فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» (٣).

ليكون هناك سبباً للتفاؤل، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتفاءل بأصحابه، ويتفاءل للحال التي هو فيها، حتى أن قريشاً لما أرسلت سهيل بن عمر ليفاوضه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عرفه: لقد سَهِّلَ لكم من أمركم. وفي هذا دليل على استحباب التفاؤل بالاسم الحسن» (٤).

إن امرأة عمران سمت بنتها مريم تفاؤلاً، لأن معنى هذه الكلمة في لغتهم «العابدة» وكذلك كانت.

(١) سورة الرعد، الآية ١٧.

(٢) رواه أبو داود، رقم: (٣٩٢٠)، والبيهقي في السُّنن الكبرى، رقم: (١٦٥٢٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٦٢).

(٣) رواه البزار في «المُسند»، رقم: (٤٣٨٣)، وابن أبي شيبه، رقم: (٣٣٠٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٩).

(٤) رواه البخاري، رقم: (٢٧٣١).

وكان **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع «يا راشد» يعني واحد ينادي شخصاً «يا راشد»... «يا نجيح» واحد ينادي شخصاً باسمه واسمه نجيح، من غير تريب.

التفأول الشرعي: أنك تكون خارجاً في حاجة، مثلاً صفقة تجارية، خطوبة، خطبة للزواج، ذاهب لامتحانات.

أنت ذاهب - مثلاً - لعيادة مريض، كنت ذاهب لعيادة مريض تسمع منادياً يقول: يا سالم. فتفأول بها أن المريض سيسلم.

وأنت ذاهب لامتحان لنفترض أن شخصاً اسمه ناجح أو نجيح، أو فتاة، طالبة ذاهبة للاختبار سمعت طالبة أخرى تقول: يا نجاح.

فتفأول، هذا التفأول الشرعي هذا ليس بترتيبات.

ليس بمن يقول: هذا ذاهب، كن في طريقه ونادي فلان واعمل تمثيلية! لا، هذا يحدث تلقائياً، عفويّاً.

أنت ذاهب تزور واحداً في المستشفى تسمع من ينادي يقول: يا سالم، يا سليم. صيغة مبالغة من سلم، سليم يا سليم. فتفأول بأنه سيسلم ويقوم مريضك ويشفى.

تفأوله **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بما يراه من المواقف والأحداث:

وكان **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتفأول بما يراه من المواقف والأحداث.

النبي **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لقي صعوبات جمّة، لقي صعوبات شديدة، ومع ذلك ما كان ييأس، ولا يقعد، يثق بموعد الله، يتفأول.

مات عمه أبو طالب وزوجته خديجة في عام واحد، واجتمع عليه من أذى الكفار ما لا يعلمه إلا الله، ونالت قريش منه ما لم تنل من قبل حتى اعترضه سفيه من سفهائهم، وأهال التراب ونثره على رأسه، وطرح عليه سلا الجزور بين كتفيه وهو ساجد، وخنقه بعض الكفار خنقاً شديداً، وقام الصديق يدافع عنه، ولم يزد ذلك إلا تصميماً وعزيمة على مواصلة الطريق. وخرج من مكة إلى الطائف يحاول مع أهل الطائف مع أنه قوبل أسوأ مقابلة وردوا عليه أقبح رد وأنهم رجموه بالحجارة حتى دميت قدماه على ما وردا.

ومع ذلك بقي متفائلاً، لما وصل مكة وجاوز المكان وجاءه ملك الجبال ويعرض عليه أن يطبق عليهم الأخشيين قال **صلى الله عليه وسلم**: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله»^(١) هذا تفأول، أن الله يخرج من أصلاب هؤلاء من يعبد الله.

وكذلك لما لقي ما لقي **صلى الله عليه وسلم** من أنواع الإيذاء والألم والمرارة وحصار الشعب، حتى ما كان يجد شيئاً يأكله، كان **صلى الله عليه وسلم** يبعث في نفوس أصحابه التفأول، ويقول كلاماً يعلي الهمم، يوقظ الأمل في النفوس كان **صلى الله عليه وسلم** وهو متوسد البردة في ظل الكعبة ويقول له خباب: لقينا الشدة وحصل وحصل، والذي منا أحرق، والذي منا سُجن، والذي منا عذَّب، وهو يقول: لقد كان الرجل في من قبلكم وذكر لهم أذى أشد قال: وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»^(٢).

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم: (١٧٩٥).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٤١٦).

النظرة الإيجابية للأشياء:

والتفاؤل يعود المؤمن على أن تكون نظرتَه للأشياء إيجابية، لا تسب الحمى، الحمى كفر الله بها الذنوب، مع أنه ظاهر الأمر حمى وآلام سخونة، لكنها تذهب الخطايا كما يذهب الكير خبث الحديد.

وأيضاً التفاؤل فيه سعادة للإنسان، من أسباب السعادة، حتى يقال من أسباب طول العمر.

أما المكتئب ماذا سيفعل بالاكئاب؟، ما يحل المشكلة الاكئاب؟، التفاؤل ممكن يكون حلاً!، لكن الاكئاب لا يكون حلاً، الإحباط لا يكون حلاً.

التفاؤل والأمل في حياة المؤمن:

إن من مصادر الأمن والسكينة لدى المؤمن الأمل الذي يضيء له الظلمات، وينير له المعالم، ويهديه السبيل وتنمو به شجرة الحياة، ويرتفع به صرح العمران، فهو قوة دافعة تشرح للعمل وتخلق دواعي الكفاح من أجل الواجب وتبعث النشاط في الروح والبدن.

فالإيمان يولد الأمل والأمل مهم في الحياة ما الذي يدفع الزارع إلى الكدح والعرق إلا أمله في الحصاد؟ وما الذي يغري التاجر بالأسفار والمخاطر إلا الأمل في الربح؟ وما الذي يبعث الطالب على الجد والمثابرة إلا الأمل في النجاح؟ وما الذي يجب إلى المريض الدواء المر إلا الأمل في الشفاء؟ وما الذي يدعو المؤمن إلى أن يخالف طبيعته وهواه ويتحمل المشاق في هذه الدنيا؟ إنه الأمل في جنة الفردوس، فهذا الأمل هو الذي

يهون هذه الصعاب، فهو دافع النشاط ومخفف الريالات وباعث البهجة.

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل !! :

إذا يأس التلميذ من النجاح -أيها الإخوة- نفر من الكتاب والقلم، وضاق بالبيت والمدرسة، ولم يعد ينفعه درس خاص ولا عام، ولا نصح يسدى ولا تهئية المكان ولا الجو المناسب ولا إلا أن يعود إليه شيء واحد يحل له كل هذه المشكلة، ألا وهو الأمل، فإذا رجع الأمل انحلت المشكلة. وإذا يأس المريض من الشفاء كره الدواء، وكره الطبيب، والعيادة، والصيدلية، وضاق بالحياة والأحياء، ولم يعد يجديه العلاج إلا أن يعود إليه الأمل، وهكذا إذا تغلب اليأس على إنسان اسودت الدنيا في وجهه، وأظلمت في عينيه، وأغلقت أمامه أبوابها، وتقطعت دونه أسبابها، وضائق عليه بما رحبت.

اليأس سم بطيء لروح الإنسان، وإعصار مدمر لنشاطه، ولا إنتاج ولا إحساس حينئذٍ.

واعلموا أن اليأس ملازم للكفر، كما أن الأمل ملازم للإيمان، وليس بعجيب أن تجد أصناف اليائسين بغزارة وكثرة بين الجاحدين لله البعيدين عن شرع الله، ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُّ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(١)، ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ ^(٢)، يتجلى هذا اليأس في الشدة ونزول الشر كما ذكر الله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافِرًا ﴾ ^(٣)، ﴿ وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ

(١) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٢) سورة الحجر، الآية ٥٦.

(٣) سورة هود، الآية ٩.

أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ (١) ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (٢).

لكن استثنى الله صنفاً واحداً فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٣) فلو خسر في تجارة، أو رسب في مدرسة، أو حصل له فشل في شيء فإنه لا يئس ولا يقنط؛ لأن أمله مستمر برب رءوف رحيم، ليس اليأس فقط من الدنيا وإنما -أيضاً- السخط على الرب كما قال المعري: هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد.

ولكن المؤمن أوسع الناس أملاً :

لماذا أيها الإخوة؟، ما هو السر في أن المؤمن عنده أمل والكافر والضال يائس وقانط؟ السبب: أن المؤمن يؤمن بأن هناك إلهاً رحيماً قديراً يجب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويمنح الجزيل، ويغفر الذنوب، ويقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، أرحم من الوالدة بولدها، وأبر بخلقه من أنفسهم، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، يفرح بتوبة عبده أشد من فرحة من أضل شيئاً إذا وجد ضالته، والغائب إذا وفد، والظمان إذا ورد.

إله يجزي الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف ويزيد، ويجزي السيئة بمثلها أو يعفو، إله يدعو المعرض عنه من قريب، ويتلقى المقبل عليه من بعيد، ويقول: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٣.

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٩.

(٣) سورة هود، الآية ١١.

تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة^(١).

إله يداول الأيام بين الناس؛ فيبدل من بعد الخوف أمناً ومن بعد الضعف قوة، ويجعل من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً ومع كل عسر يسراً، فلذلك يأمل المؤمن فيه، هذا مبعث الأمل وهذا هو السر: الاعتصام بالآله البر الرؤوف الرحيم العزيز الكريم الفعال لما يريد، يعيش المؤمن على أمل لا حد له، ورجاء لا تنفصم عراه، إنه دائماً متفائل، ينظر إلى الحياة بوجه غير الذي ينظر إليها الكافر، لا ينظر إلى الحياة بوجه عبوس قمطير، فهو إذا حارب فهو واثق بالله أنه سينصره؛ لأنه مع الله والله معه، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾^(٢).

إذا مرض لم ينقطع أمل المؤمن أبداً من العافية؛ لأنه يعلم أن الشافي هو الله، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾^(٣).

إذا اقترف ذنباً أو جرماً المؤمن لم يئس من المغفرة، ومهما كان الذنب عظيماً فإن عفو الله أعظم ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾^(٤).

والمؤمن إذا أعسر وضافت ذات يده أمل في الله ولم يزل إيمانه فيه عظيماً

(١) رواه البخاري، رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم، رقم: (٢٦٧٥).

(٢) سورة الصافات، الآيات ١٧٢ - ١٧٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٧٨ - ٨٠.

(٤) سورة الزمر، الآية ٥٣.

لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (١) ولن يغلب عسرٌ يسرين ولو دخل العسر جحراً لدخل اليسر حتى يخرج به.

والمؤمن إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن ووقعت به المصيبة؛ فإن أمله في الله مازال موجوداً، كيف يكون موجوداً والولد قد مات؟ كيف يكون موجوداً والبيت قد احترق، والمال قد ذهب؟ إنه موجود في رجاء الأجر على احتساب المصيبة بالصبر ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٢).

ابتهاال سؤال التفائل:

- * اللهم صباح لا يمسننا فيه سوء.
- * اللهم جدد فينا روح التفائل والأمل.
- * اللهم لا تجعلنا ضُعفاء أمام ظروف الحياة.
- * اللهم متّعنا براحة البال ، وصلاح الحال ، واكفنا شر الإنس والجان.
- * اللهم اتبع عسرنا يُسر ، وابدل كسرنا بجبر ، واجعل لنا في كُل أمرٍ خيراً.
- * اللهم إنا نسألك أن تُعطي كل واحدٍ منّا سؤاله ، وأن تُحقّق مُرادَه ، وأن تُبلّغنا غايتنا ، وتيسّر أمورنا... وابعِد عنا حسد الحاسدين ، وغدر الخائنين.
- * اللهم اغفر لنا ، ولوالدينا ، ولمن له حق علينا .

(١) سورة الشرح ، الآيات ٥ - ٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات ١٥٦ .

* اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا وقرّة اعيننا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الإسلام يبحث على التفأول:

لماذا شجّع الإسلام على التفأول ومنع من التشاؤم؟ لأن التفأول يشحذ الهمم للعمل، ويغذي القلب بالطمأنينة والأمل، ولا شك أن هذا من أكبر عوامل النجاح، فالآن إذا تفكّر في حال إنسان عامل ذهب ليعمل شيئاً أو ينجز مهمّة، ونفسه منشرحة وهو راج للخير، وعنده أمل بإنجازها فكيف حال همته وانطلاقه؟ قوّة أليس كذلك؟ فهذه القوّة الناتجة من التفأول ستكون أحد أكبر أسباب النجاح وإنجاز المهمّة، وإذا ذهب بشعور متشائم وهو لا يرجو أن يفلح ولا أن ينجح ولا أن ينجز الأمر؛ فكيف تكون همته؟، فاترة ضعيفة وهذا الفتور والضعف في الهمّة سيكون من أكبر أسباب الفشل، إذاً: التفأول خلق مهم أن يكون في النفس لأجل إنجاز العمل المطلوب، فهذا من أسرار الشريعة التي يتبين للإنسان إذا تأمل فيها عظمة هذه الشريعة، وكيف أن هذه الشريعة تؤدّي بمن يتبعها إلى النجاح وتوفّر أسبابها، فالشريعة توفّر للمسلم أسباب النجاح، تأمل مثلاً في طالب وهو داخل إلى امتحان شفوي أو مناقشة رسالة وهو متفائل وحسن الظن بالله، فحتى لو ما سمع شيئاً فهو متفائل، فكيف سيدخل قاعة الامتحان؟ أو يدخل إلى اللجنة التي ستناقشه؟ يدخل وفيه همّة ورجاء وأمل ويغلب على ظنه النجاح، وهذا سينعكس على طريقة نقاشه وإجابته وإقناعه بأعضاء اللجنة في الاختبار، وعلى تثمينهم لإجابته وتأويلهم لوضعه وحالته، لكن إذا الإنسان دخل إلى قاعة الامتحان وهو

يقول أكيد أنهم سيسألونني أسئلة لا أعرفها، فأنا متأكد أنني سأفشل، فهذا واضح من وجوه أعضاء اللجنة الكالحة، فمستقبلي أسود في هذا النقاش، فإذا كان هو ذاهبٌ بنفسية متشائمة إلى قاعة الاختبار، فهذا لو كان يعرف الجواب الصحيح فسينساه بسبب تأثير نفسيته، فليست قضية الاختبارات والامتحانات هي قضية معلومات فقط؛ لأن الطالب في قاعة الاختبار يمكن يضيع معلومات هي عنده بأسباب أخرى، فالمسألة إذاً فيها عامل كبير من عوامل النجاح، وهو التفأول والأمل، ولو أنك نظرت في غالب التجار والناس الناجحين؛ غالبهم عنده أمل وتفأول، يعني: من أسباب نجاح كبار رجال الأعمال وكبار الناس الناجحين في أعمالهم تجد أن عندهم جانب الأمل في نفوسهم قوي، وحتى الدعاة الناجحين الذين تفتح لهم القلوب يكتب الله لهم التأثير على الناس، يسلمون مقاليدهم إليهم ويتبعونهم ويتأثرون بهم، ويسمعون منهم ويلتزمون بما يقولون، ويجتمع إليهم العدد من الناس دائماً ما شاء الله، فهو لاء لا بُد أن يكون عندهم جانب التفأول والأمل قوي، فهذا من أسباب وصوله للنتيجة هذه، ولو كانوا شخصيات متشائمة سيقول: سأذهب إليه الآن وأجده نائماً وأطرق عليه ويفيق من نومه مكفهراً الوجه ويصك الباب في وجهي، يا أخي تفاعل أنه سيكون الآن ضائق صدره ينتظر فقط من يأتي إليه ويطرق الباب ويتحدث إليه، تفاعل أن الرجل الآن ينتظر من ينتشله ويأخذ بيده، فحتى في مجال الدعوة إلى الله فعملية التفأول والتشاؤم هذه من أكبر أسباب النجاح أو الفشل، وكثيراً ما يكون التشاؤم مبعثه عدم الثقة بالله، يعني: من عدم حسن الظن بالله يقول: هذا سيردني كما ردني الآخر، هذا يسكن في نفس البيت الذي يسكن فيه الذي ردني من أول

مرّة، وما علاقة هذا بهذا نفس البيت؟ ورُبّما تشاءم بالأرقام الفردية، وإلا بعض الأشياء التي تحصل عند بعض المشركين والجهلة.

حكم التَّفَاوُل؟

أَمَّا بِالنُّسْبَةِ لِحُكْمِ التَّفَاوُل: فَإِنَّ التَّفَاوُلَ مَبَاحٌ بَلْ مُسْتَحَبٌّ، وَلَا خِلَافٌ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي جَوَازِ التَّفَاوُلِ بِالْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، كَأَنْ يَسْمَعَ الْمَرِيضُ يَا سَالِمَ فَيَتَفَاوَلُ بِهِذِهِ الْكَلِمَةِ، أَوْ يَسْمَعَ طَالِبُ الضَّالَّةِ يَا وَاجِدَ فَتَسْتَرِيحُ نَفْسُهُ لَذَلِكَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ وَرَتَّى ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي مَسْأَلَةِ أَسْمَاءِ الْأَشْخَاصِ، وَالسَّبَبُ وَرَاءَ اسْتِحْبَابِ التَّفَاوُلِ: أَنَّ النَّفْسَ تَنْشُرُ لَذَلِكَ، وَتَسْتَبْشِرُ بِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَيَحْصُلُ حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَهُوَ الْقَائِلُ فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي) ^(١)

يعني: كما يظُنُّ بِي عَبْدِي فَأَنَا كَذَلِكَ، وَمُمْكِنُ الْإِنْسَانِ يَصِلُ إِلَى التَّفَاوُلِ بِتَقْصُّدٍ سَمَاعِ الْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ، فَيَحْدُثُ عِنْدَهُ فِي نَفْسِهِ شَعُورٌ بِالْإِنْطِلَاقِ أَوْ الْإِنْدِفَاعِ نَحْوَ الشَّيْءِ وَالتَّفَاوُلِ بِحُصُولِ الْمَقْصُودِ، كَمَا أَنَّه يُمْكِنُ لِحَصِيلِ التَّفَاوُلِ: تَسْمِيَةُ الْأَشْيَاءِ تَسْمِيَةً حَسَنَةً مِثْلَ: تَسْمِيَةِ الْأَوْلَادِ تَسْمِيَةً حَسَنَةً عَلَى أَنَّ هُنَاكَ أَنْوَاعٌ مِنَ التَّفَاوُلِ مَوْجُودَةٌ عِنْدَ بَعْضِ الْعَامَّةِ هِيَ مِنَ الْبَدْعِ وَلَيْسَتْ مِنَ التَّفَاوُلِ فِي شَيْءٍ، مِثْلَ: التَّفَاوُلِ بِفَتْحِ الْمَصْحَفِ فَيَفْتَحُ الْمَصْحَفَ فَإِذَا وَقَعَتْ عَيْنُهُ أَوَّلَ مَا يَفْتَحُ الْمَصْحَفَ عَلَى كَلِمَةٍ تَعْنِي أَوْ فِيهَا إِذْهَابًا أَوْ إِذْهَابًا وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ مَضَى، وَإِذَا فَتَحَ الْمَصْحَفَ وَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى ذِكْرِ جَهَنَّمَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ؛ تَشَاءَمَ وَرَجَعَ وَانْقَبَضَ، وَإِذَا فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ فَهَذَا

(١) تقدم تخريجه صفحة ١٣٧ .

نوعٌ من التَّفَاوُلِ، فهذا أخذ الفأل من المصحف بدعةٌ من البدع، وكذلك التَّفَاوُلُ بالضَّرْبِ بالرَّمْلِ هو يشبه ما عليه أهل الجاهلية من ذهاب الطَّير يميناً.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ليس في الإعجاب بالفأل ومحَبَّتِهِ شيءٌ من الشُّرْكِ» لأنَّ المسألة قد يحدث فيها اختلاطٌ عند بعض النَّاسِ ربَّما قد يقول: وما الفرق بين التَّطَيُّرِ والتَّفَاوُلِ وهو نفس الشَّيْءُ؟ .

فالكلمة الحسنة نأخذ منها التَّفَاوُلُ، والكلمة السيئة يؤخذ منها التَّشَاوُمُ فإذا كان هذا من الشُّرْكِ فماذا يكون الآخر؟ يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ليس في الإعجاب بالفأل ومحَبَّتِهِ شيءٌ من الشُّرْكِ، بل ذلك إبانةٌ عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ حُبُّ إِلِيٍّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءِ وَالطَّيِّبِ، وكان يحبُّ الحلوى والعسل، ويحبُّ حسن الصُّوت بالقرآن والأذان، ويستمتع إليه ويحبُّ معالي الأخلاق ومكارم الشِّيمِ، وبالجملة يحبُّ كُلَّ كَمَالٍ وخير وما يفضي إليهما، والله قد جعل في غرائز النَّاسِ الإعجاب بسماع الأسم الحَسَنِ ومحَبَّتِهِ وميل نفوسهم إليهم» فأنت الآن إذا قرأت أسماء طلاب في ورقة في الفصل فجاءك مثلاً أن واحداً اسمه حسن وآخر اسمه اسمٌ سيئٌ، فإنَّك لا شعورياً أو تلقائياً تجد أن شعورك بالانفتاح والارتياح لصاحب الاسم الحسن قبل أن ترى وجهه ولا تعرفه عنه شيئاً، وكذلك هذا الذي اسمه سيئٌ تنقبض نفسك منه، قال: «وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسُّرور باسم الفلاح والسَّلام والنَّجاح والتَّهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماءُ الأسماع استبشرت بها النفس،

وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب» إذا سمع مثلاً: فالح، فلاح، سالم سليم، ناجح، نجيح، فائز، مظفر، ظافر، فهذه أسماء جميلة وجيدة فهي تفتح النفس كما يقولون، ثم قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفاً وطيرةً وانكماشاً وانقباضاً قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضرراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان ومقارفة للشرك» ولذلك نهينا عن الأسماء السيئة وأمرنا بتغيير الأسماء السيئة وغير النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الأسماء السيئة كل ذلك حتى لا توقع في الطيرة ولا في الشرك ولا ترد الإنسان عن حاجته، ولا تجعله يقف دون المضي إلى ما يريد، وقال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** أيضاً: «أخبر **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير ذلك منعه من الرقي بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك لما فيها من المنفعة الخالية عن المفسدة»^(١).

كيف يتغلب المسلم على التشاؤم؟

والإنسان إذا أحسَّ بشيء من التشاؤم فعليه ألا يلتفت إليه ويمضي لما يريد، ولا يستجيب لداعي الشيطان بالتوقف أو التراجع لسماع اسم سيئ أو رؤية منظر سيئ، فبعض الناس إذا ذهب يفتح الدكان فرأى أعوراً في الطريق تشاءم ورجع، فما علاقة الأعور برزق هذا اليوم؟ .

ولكن بعض الناس فيهم طبيعة تشاؤمية، وعلاقة القضية بالأخلاق أن التفأول والتشاؤم كلاهما خلق، فهناك ناس عندهم خلق التفأول طاعٍ

(١) مفتاح دار السعادة، ٢/ ٢٤٤-٢٤٥.

وناسٌ عندهم خُلُقُ التَّشاؤْم طاغ، حتى قالوا لو أريت كوباً نصفه ملآن فقلت له ما الذي ترى؟ فقال: هَذَا كُوبٌ نصفه ملآن، وآخر يقول: عن نفس هذا الكوب: هذا كُوبٌ نصفه فارغ، فالذي يصفه بأنَّ نصفه ملآن هذا عنده طبيعةٌ تفاؤلية، والذي يصفه بأنَّ نصفه فارغٌ أول ما فكر في الفراغ وما فكر بالنَّصف المليء سبقت نفسه إليه، فهذا إنسانٌ قد يكون عنده مؤشر طبيعة تشاؤمية، فلو قال إنسانٌ مثلاً: تفاءلت بالاسم الحسن ولا صار فما هو التَّعقيب على هذا؟ في هذه الحالة.

يقول ابن الأثير صاحب جامع الأصول **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وإنَّما أَحَبَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَأَل؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا أَمَّلُوا فَائِدَةً مِنْ اللَّهِ وَرَجَوْا عَائِدَتَهُ عِنْد كُلِّ سَبَبٍ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِيٍّ» ^(١) فالآن وأنت ذاهبٌ إلى معركة وسمعت أحدهم يقول: يا نجيح - مثلاً - أو يا راشد، فالعلاقة بين الاسم وبين الفوز في المعركة علاقة قوية أو ضعيفة؟ ضعيفة، يعني: ليست سلاحاً ولا مدداً، نعم ففي مبدأ الأمر علاقة ضعيفة فيقول **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا أَمَّلُوا فَائِدَةً مِنْ اللَّهِ وَرَجَوْا عَائِدَتَهُ عِنْدَ كُلِّ سَبَبٍ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِيٍّ فَهَمُّ عَلَى خَيْرٍ» يعني: ارج من الله الفائدة مهما كان السَّبَبُ ضعيفاً، ولو كان نطق اسماً سمعته وأنت ماشي فارح الخير فيه، قال: «لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا أَمَّلُوا فَائِدَةً مِنْ اللَّهِ وَرَجَوْا عَائِدَتَهُ عِنْدَ كُلِّ سَبَبٍ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِيٍّ فَهَمُّ عَلَى خَيْرٍ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِكُوا مَا أَمَّلُوا» كلمة مهمَّة «فَقَدْ أَصَابُوا فِي الرَّجَاءِ مِنْ اللَّهِ وَطَلَّبَ مَا عِنْدَهُ، وَفِي الرَّجَاءِ لَهُمْ خَيْرٌ مَعْجَلٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ إِذَا قَطَعُوا أَمْلَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ مِنْ اللَّهِ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرِّ» فإذا: ارج الخير بهذه الكلمة التي تسمعها تفاءل إن نجحت واحمد الله، وإن ما نجحت فيكفيك أنك

رجوت الخير من الله وأعربت عن حُسن ظنِّك بالله، فإذا: التَّفَاوُلُ حُسْنٌ ولو كانت العاقبة ليست كما يُرجى فيكفيك أنكَ طَبَّقْتَ السُّنَّةَ وتفاءلت، وأنَّكَ رجوت الخير من الله، قال: «فَأَمَّا الطَّيْرَةُ فَإِنَّ فِيهَا سُوءَ الظَّنِّ وقطع الرَّجَاءَ وتوقع البلاء»^(١) وقنوط النَّفْسِ من الخير وذلك مذمومٌ بين العقلاء منهيٌّ عنه من جهة الشَّرْعِ، يعني: هناك شيءٌ يا إخوان أَهَمُّ من النَّتِيجَةِ وهو المبدأ والعقيدة، فإذا كان الإنسان تفاعل بالخير فإنه يحسن الظَّنَّ برَبِّه ولو لم تحصل كما يتمنَّى، وإذا كان تشاءم معناه أنه يسيئ الظَّنَّ برَبِّه، وقضية حسن الظَّنِّ وسوء الظَّنِّ من قضايا التَّوْحِيدِ المهمَّةِ، فلو ما جاءت النَّتِيجَةُ كما تَرجو فيكفيك أن عقيدتك سليمة وأنَّكَ حَسَنَ الظَّنِّ برَبِّكَ، وهذا المكسب أَهَمُّ من النَّتِيجَةِ.

عواقب التَّفَاوُلِ وعواقب التَّشَاوُمِ:

فالإسلام ينفر من التَّشَاوُمِ ويريد أن ينصرف المسلمون عنه؛ لَأَنَّهُ عنصرٌ نفسيٌّ سيئٌ، يبطئ الهمم عن العمل، ويشتت القلب بالقلق، ويميت فيه روح الأمل، فيدبُّ اليأسُ، وتضعف الإرادة، إِنَّ التَّفَاوُلَ من أسباب إشراق الوجه، ولا تجد أحداً دائماً البشر والابتسامة وهو متشائمٌ، فدائمُ البشر والابتسامة هو الإنسان الذي يكون عنده تفاؤلٌ، وتجد الشخص المتشائم مكفهراً الوجه عابساً، ولا تلقى عنده ابتسامةً ولا بشراً في المحيَّا ولا نصارةً، بسبب تشاؤمه، فتأمل في موقفين لمتفائل وآخر متشائم، خرجا في سفر وغابا عن أولادهما، فتجد المتفائل يقول: أرجو من الله أن أولادي بخير، وأن الله لن يضيعني وأنني قد قلت في الدُّعاء أَنَّنِي استودعتهم ربِّي،

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم / ١ (١٤٠).

وأنَّ الله لا يضيع من استودعه فإذا استودع شيئاً حفظه ، وتجد الآخر المتشائم يقول: يا ترى من الذي انكسرت يده؟ يا ترى ما حالهم؟.

أكيد أحدهم الآن مريضٌ، ويا ترى هل أحدهم يعاني في مشكلة، وهكذا دائماً مع أنَّ كلاهما لا يدري عن أهله ولا عن أولاده، لكن أحدهما متشائم فهو يعيش عيشةً ضنكاً، كلما غاب عن شيء دخل الشيطان ولعب به، وحسب الإنسان التفأول أن يعيش سعيداً بالأمل، والأمل لا شك هو جزءٌ من السَّعادة، أمَّا التَّشاؤم فيكفيه ذمّاً وقبحاً أنَّه يشقي صاحبه ويقلقه ويعذِّبه قبل أن يأتي المكروه، فيعجل لصاحبه الألم، والتفأول لا شك أنَّ فيه رجاءً من الله، والفأل والطيرة قد صارت عند النَّاس في أشياء كما سبق أن قلنا لا علاقة لها بالشيء، لكن بعضها مأخوذةٌ من الجاهلية ومن بعض المعتقدات أو الخرافات الموجودة عند النَّاس، فتجد أنَّ بعضهم يتشاءمون كما حال أهل الجاهلية بالأيام والأشهر، مثل: شهر صفر وشوال فيتشاءمون به، ولذلك كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تدخل نسائها في شوال ^(١) مضادةً لأهل الجاهلية، ويستحبُّ النِّكاح في شوال مضادةً لأهل الجاهلية.

فائدة التفأول من الناحية الصحية والنفسية:

التفأول صحياً مفيد، ينعكس إيجابياً على الإنسان والأطباء يقولون هذا، وأن التفأول مفيد للقلب، وأن الرجال أكثر تفأولاً عندهم معدل الإصابة بأمراض القلب منخفض.

بالنسبة لغير المتفائلين أمراض الأوعية الدموية بنسبة خمسين في المائة تقريباً على مدى خمسة عشر سنة من البحث في أحد الأبحاث، أنجز

(١) أخرجه ابن ماجه، رقم: (١٩٩٠)، واللفظ له، وأخرجه مسلم، رقم: (١٤٢٣) باختلاف

الفريق التابع لجامعة بيل في ولاية كونيتيكتات أن الأشخاص الذين يتملكهم الخوف من الشيخوخة ونحو ذلك تظهر عليهم أعراض التقدم في السن بسرعة أكبر.

فالمتفائلون لا يكون عندهم هذه الأعراض مثل غيرهم، المتفائلون كذلك حتى مناعتهم للأمراض، مقاومة الأمراض النفسية وهذا مهم جداً، ترى بعض الناس عندهم إحباط، بعض الناس عندهم اكتئاب مزمن، حتى يتأثر الجهاز المناعي ومقاومة العدوى بأشياء، حتى أسباب الموت الخطيرة، الذبحة الصدرية، السكتة القلبية، الدماغية.

وهناك تقرير للبي بي سي أن التفاؤل والإيجابية يمكن أن يعوّض عن الطبيب والدواء في كثير من الحالات، ويحسن الصحة العقلية كذلك.

وهذا نحن ما نحتاجه، الأبحاث هذه في إيماننا أو في اعتمادنا في موضوع التفاؤل؛ لأنه ورد في الشرع، ما نحتاج هذا، لكن فقط ليزداد الإنسان بذلك إيماناً.

والنفس لا بد أن تُعالج، لو واحد لك قائل: أنا ما أعرف أتفاءل، يا أخي أنا دائماً متشائم، يا أخي أنا ما عرفت في يوم أصير سعيداً.
نقول: يمكن يا أخي عندك علة داخلية.

يقول الشاعر إيليا أبو ماضي:

أيها الشاكي وما بك داءً كيف تغدو إلى غدوت عليلاً
وترى الشوك في الورود وتعمى أن ترى فوقها الندى إكليلاً

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

فإذا، أنت ما عندك إيمان يشع تفاؤلاً، ما عندك توحيد يشع حسن ظن بالله، ما عندك هذا القدر، فكيف ستجد التفأول؟ .

ليس هناك إيمان ولا توحيد، فكيف ستكون متفائلاً؟:

فالمتشائم عنده نقص في الإيـمان، فلو امتلك الإيـمان في قلبه، وامتلك اليقين بعظمة الله، وقدرته، لكان حُسن الظن بالله دليـله، والتفأول شعاره. فأهل التفأول أنجح في الحياة في الامتحانات، إرادتهم أقوى، لا يعيشون الأمراض النفسية والوهمية كغيرهم؛ لأن عندهم حُسن الظن بالله، وهذا هو التفأول.

كيف يصنع المسلم لنفسه التفأول أو التشاؤم؟

هذا الموضوع يكثر الحديث عنه عند الناس بأنهم يفعلونه ويعتقدون به، ولكن المسلم يعرف أين الحق في هذه الأشياء؟ وحدث قصص حتى في القديم، كما جاء في بعض كتب الأدب، وهنا إشارة قبل أن نذكر بعض القصص أن قدر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد يُوافق كلمة حسنة أو كلمة سوء، قد يتفأل الإنسان بالخير فيجده، فيكون وافق قدر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هذه الكلمة، وقد يتشاءم ويجد ما تشاءم به فعلاً، فيكون قدر الله قد وافق هذه الكلمة، والبلاء موكلٌ بالنطق، فالإنسان أحياناً يتكلم بالكلمة على نفسه، فتكون كذلك فيوافق قدر الله هذه الكلمة، وكان بعض العرب مشهورين جداً بالتشاؤم حتى يقرءون الوجه، يقول: أنت وجهك يقرأ فيه كذا وكذا، وقد

يخبرونه بتوقع ويوافق قدر الله هذا التوقع، فلا نقول هم يعلمون الغيب؛ لكنه هكذا سوء ظنه بربه، وهكذا قسم الله له، وهكذا هذا حسن ظن بربه فأعطاه الله على ظنه بربه، فأحياناً يأتي القدر موافقاً لحسن الظن وسوءه، فهذا حسن ظن بربه، وقد سبق الكلام وقلنا: بأن بعضهم قد يتشاءمون على أنفسهم بأشياء فيجدونها في الواقع هكذا، فيكون هذا من عقوبة التشاؤم، فذكر ابن قتيبة **رحمه الله** في عيون الأخبار قال: «خرج كثير عزة إلى مصر يريد عزة، فلقه أعرابي من نهد، فقال: يا أبا صخر أين تريد؟ قال أريد عزة بمصر، قال فهل رأيت في وجهك شيئاً قال: لا، إلا أنني رأيت غرباً ساقطاً فوق بانه ينتف ريشه، هذا أخبره عن المشهد وذاك تشاءم له به، فقال: رأيت غرباً ساقطاً فوق بانه ينتف ريشه، قال: توافي مصر وقد ماتت عزة! فانت هره كثير ثم مضى، فوافي مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة، فقال:

فما أعيف النهدي لا در دره وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرباً ساقطاً فوق بانه ينتف أعلى ريشه ويطايره
فأما غرباً فاغتراباً ووحشة وبان فبين من حبيب تعاشره

وتشاءم له ذلك الرجل بهذا وكان كما قال.

قال: وهوي بعد عزة امرأة من قومه يقال لها أم الحويرث، فخطبها فأبت وقالت: لا مالك ولكن اخرج فاطلب فإنني حابسة نفسي عليك، فخرج يريد بعض بني مخزوم فينما هو يسير عن له ظبي فكره ذلك ومضى، فإذا

هو بغراب يحثو التُّراب على وجهه، فكره وتطير منه، فانتهى إلى بطن من الأزد يقال لهم بني لهب، قال: أفيكم زاجرٌ؟ .

قالوا: نعم.

فأرشدوه إلى شيخ منهم فأتوه فقَصَّ عليه القِصَّة، هذا الزَّاجر هو الذي يعمل بالزَّجر، فقال: قد ماتت أو خلف عليها رجلٌ من بني عمها، فلما انصرف وجدها قد تزوّجت وأنشد شعراً يقول:

تيممت لهباً أطلب العلم عندهم وقد ردَّ علم العائفين إلى لهب

فقال جرى الطير السنيح بينهم فدونك فاهمل جدّ منهمر سكب

فإلا تكن ماتت فقد حال دونهم سواك خليلٌ باطن من بني كعب^(١)

كما قلنا من أنّه قد يكون ما يحدث لبعض النَّاس من المصيبة بسبب سوء ظنّهم، ويوافق القدر كلمةً قالها إنسانٌ لآخر، أو قال الإنسان عن نفسه، وكما قال لنا بعضهم: بعض العرب ذهبوا إلى موقعةٍ فرأى أحدهم أعوراً في الطريق، فقال: إن صدقت العيافة يقتل نصفنا وهذا أعور، قال: فقتل نصفهم في تلك الموقعة، فإذا: الإنسان قد يتشاءم على نفسه بأمرٍ ويوافق قدر الله هذا الشيء الذي تشاءم به، فالبلاء موكل بالتُّطق.

الفرق بين التفاؤل الشرعي وغير الشرعي؟

هنا تفاؤل شرعي وتفاؤل وهمي، التفاؤل الشرعي في أخذ بالأسباب.

لكن إذا الواحد ما يعمل أبداً، ويقول: أنا متفائل! وما يعمل، وتأتي

(١) عيون الأخبار (١/ ٢٣٦).

تقول: يا أخي أين عملك؟ أين مساهمتك؟ وأين دعوتك؟ ، أين تقديمك لمالك؟ ، أين تقديمك لوقتك لله، والدين والدعوة؟.

يقول لك: يا أخي للبيت ربٌ يحميه! اذهب. نعم للبيت رب يحميه، أنت لا تريد تكون من أنصار الملة، وما تريد أن تكون ممن يدافعون عن بيته؟ .

فهل ننتظر ملائكة من السماء تقاتل، والبشر قابعون في بيوتهم. فإذا، متى يتفاعل الواحد؟ عندما يكون ليس بيده شيئاً، حتى عبد المطلب عندما قال: «البيت رب يحميه»^(١).

ليس له طاقة في مقاومة جيش أبرهة، هذا واحد، فهو تفاعل «البيت رب يحميه» على أنه ليس بيده يعمل شيئاً. أما الذي بيده أن يعمل ثم لا يعمل، هذا معيب، يعني أعرابي ما ربط الناقة، وقال: أنا متوكل على الله! لا، (اعقلها وتوكل)^(٢) اعقلها وتفاعل، والفسيلة اغرسها واستعن بالله، فإذاً هذا ما ينبغي أن نكون عليه في قضية العمل مع التفاؤل.

كن مبشراً:

انشروا الاطمئنان بقلوب الناس، وتفاءلوا بالخير، ولا تنشروا الخوف والقلق بينكم، ومن يحدثكم عن زمن مخيف، حدثوه عن رب لطيف، هي أرضه ونحن عباده والأمر كله بيده.

(١) أخبار مكة للأزرقي، (١ / ١٤٤)

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٥١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١١٥٩)، صحيح ابن حبان، رقم: (٧٣١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٨).

التفاؤل عند رؤية الشيب:

حتى الشيب، قال: من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة^(١).
 لا أن يقال: شيب ليس فيه فائدة، فهذا الشيب دليل على أنك وصلت
 إلى مرحلة النضج العقلي، ومرحلة النبوغ، بل وصلت إلى مرحلة الخبرة في
 الحياة فأنت خير من خبراء المسلمين، ينتفع الناس بخبراتك، وأفكارك،
 وإرشاداتك، ونصائحك، بل أصبحت شخصاً يرجع إليه.

فإذا، المؤمن الصادق لا يعرف اليأس، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ
 مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ
 رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٣).

والمطلوب هو احذروا الشيب في العزائم والشيم .

لا بأس إن اشتعل الرأس شيباً طالما القلب حياً والعزم فتياً، فكم قابلنا
 من الدعاة الصادقين الذين وهنت أجسادهم، وما لانت عزائمهم، تقرأ
 في قسَمات وجوههم ونظرات أعينهم وفتلت ألسنتهم ما بداخلهم من
 قوة وعزم ووفاء وحزم.

ورحم الله الشاعر التهامي حين قال:

ماشابَ عَزَمِي وَلَا حَزَمِي وَلَا خُلُقِي وَلَا وَفَائِي وَلَا دِينِي وَلَا كَرَمِي

(١) رواه الترمذي، رقم: (١٦٣٤)، وأحمد، رقم: (٢٣٩٥٢)، والنسائي، رقم: (٣١٤٢)
 وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة: (١٢٤٤).
 (٢) سورة يوسف، الآية ٧٨ .
 (٣) سورة الحجر، الآية ٥٦ .

وَأِنَّمَا اِعْتَاَضَ رَأْسِي غَيْرَ صِبْغَتِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ دُونَ الشَّيْبِ فِي الشِّمِّ

ومثله:

كَشَفَ ابْنُ عَقِيلِ الْحَنْبَلِي الْعِمَامَةَ عَنْ رَأْسِهِ فَإِذَا فِيهِ شَيْبٌ فَقَالَ تَلْمِيزٌ لَهُ:
 شَبْتُ! وَكَانَ فِي الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ فَأَنْشَدَ قَائِلًا:

مَا شَابَ عَزْمِي وَلَا حَزْمِي وَلَا خُلُقِي وَلَا وَلَائِي وَلَا دِينِي وَلَا كَرَمِي
 وَأِنَّمَا اِعْتَاَضَ شَعْرِي غَيْرَ صِبْغَتِهِ وَالشَّيْبُ فِي الشَّعْرِ غَيْرَ الشَّيْبِ فِي الْهَمَمِ^(١)

نعم.. إن القوة الحقيقية ليست في البدن، فكم من أقوياء الأبدان ولكنهم
 ضعاف النفوس ضعاف الإرادة، ولذلك قال أحدهم يومًا: «العجز ليس
 في الجسم، وإنما في الإرادة».

والإرادة الصادقة للإنسان بمثابة القوة الداخلية الدافعة، والتي
 تدفعه دفعًا للأمام على طريق النجاح، وتتنامي مع الوقت حتى تمنعه من
 التوقف أو التراجع مهما سمعنا الآن من أخبار القصف والقذائف على
 أحياء المسلمين بفلسطين وغزة أمس اليهود دكوا وقتلوا وأفزعوا أهالي
 الأحياء السكنية في الثلث الأخير من الليل، وقت الدعاء، وقت تنزل ربنا
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى سماء الدنيا، أيقظوهم للدعاء عليهم في ثلث الليل الآخر، غير
 إذا كانوا أيقظوهم في بعض الأيام لصلاة الفجر بالقذائف، حسبنا الله
 ونعم الوكيل.

(١) علو الهمة، للمقدم، (ص ٢٠٢).

فنحن نعلم يقيناً أن الله سيأتي بالفرج، لأنَّ القضية عادلة، والمعركة لم تنته بعد، فالأمور لم تستقر للمجرمين، والأوضاع لم تستتب لهم، فالمعركة قائمة، والحرب لم تضع أوزارها.

نحن على يقين أن الفرّج قادم وبقوة، نقول قادم، ونحن على ثقة تامة. بعض الناس يقول قد، يمكن، ربما هناك احتمال. لا إنه يقين وعد الله لا يتخلف أبداً، فالفرّج قادم إن شاء الله، يقيناً بالله، إن الله ناصر المستضعفين. واحد يقول لك لماذا تعتمد عليه؟ .

هؤلاء عندهم سلاح، ومال، وداعمون، وكل شيء ومعهم، وأنت؟. نقول: اصبر! أليس لله سنن؟.

أليس لله قوانين في الخلق؟.

أليس هناك لله قوانين؟ .

أليس هناك سنن ربانية تعمل؟.

فهذه السنن لها قواعد، لها مقدمات، ولها نتائج.

وحديث: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»^(١) يعني يمهّل ولا يهمل.

كل هذه المذابح التي عملوها، كلها بعد ذلك ستستتب لهم الأمور ويخلدون بقواتهم؟ هكذا إلى قيام الساعة؟ فهو ممكن، وليس مستحيلاً حسب القوانين الإلهية لا يمكن أن يصل الظلم إلى هذا المدى وأبعد، وكل

(١) رواه البخاري (٤٦٨٦)

يوم يزداد، وكل يوم يقتلون، وكل يوم يدمرون، وكل يوم يجرحون، وكل يوم يتهكون، وكل يوم يخطفون، وكل يوم يسجنون، وكل يوم يجربون وينهبون، هكذا تستمر الأمور للظالمين بدون نهاية؟ لا يمكن.

وحتى لو قال قائل قصدك إلى قيام الساعة؟.

نقول: ولا إلى قيام الساعة! سُنن الله تأبى هذا أصلاً.

وبقي هناك قبل قيام الساعة هناك خروج المهدي وعيسى، وانتصارات عظيمة للمسلمين، بقي قبل قيام الساعة هناك أشياء كثيرة للمسلمين ستأتي.

ألم يقل النبي ﷺ: «إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة»^(١)، يعني: الشام، ستنزل الخلافة في الشام أو لا؟ هذا تخرّص أو رجم بالغيب؟ هذا وحي يوحى.

ولذلك مؤكد أن الفرج سيأتي بلا ريب، فقط نحن قوم نستعجل.

والنبي ﷺ قال: (ولكنكم تستعجلون) (٢).

إن مسنا الضر أو ضاقت بنا الحيل فلن يخيب لنا في ربنا أمل
وإن أناخت بنا البلوى فإن لنا رباً يُحوّلها عنا فتنتل
الله في كل خطبٍ حسبنا وكفى إليه نرفعُ شكوانا ونبتهلُ

(١) رواه أبو داود، رقم: (٢٥٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: (٧٨٣٨).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٦٩٤٣).

من ذا نلوذ به في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر نتكل
يا مالك الملك فادفع ما ألم بنا فما لنا بتولي دفعه قبل
وإن أصابك عُسرٌ فانتظرُ فرجاً فالعسرُ باليسرِ مقرونٌ ومتصلٌ
كم أنقذَ اللهُ مضطراً برحمتهِ وكم أنالَ ذوي الآمالِ ما أملوا

التفاؤل يقي من أمراض القلب:

تفاءلوا بالخير تجدوه، فالتفاؤل مفتاح الصحة والحياة، حيث أفادت دراسة أميركية حديثة بأن الأشخاص المتفائلين الذين يتمتعون بنظرة إيجابية للمستقبل، أقل عرضة لأمراض القلب والأوعية الدموية.

وأفادت هذه الدراسة أميركية حديثة بأن الأشخاص المتفائلين الذين يتمتعون بنظرة إيجابية للمستقبل، ينخفض لديهم خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية والوفاة المبكرة منها.

وأجرى الدراسة باحثون بمستشفى «ماونت سيناي» في مدينة نيويورك، ونشرت في دورية جاما نيويورك أوبن (JAMA Network Open) العلمية.

ولكشف العلاقة بين التفاؤل وصحة القلب، راجع الفريق نتائج ١٥ دراسة أجريت في هذا الشأن، في الولايات المتحدة وأوروبا وأستراليا.

وشارك في الدراسات ما يقرب من ٢٣٠ ألف شخص، وتراوح أعمارهم بين ١٩ و ٩٣ عاماً، وكان متوسط فترة المتابعة ١٤ عاماً.

وراجع الفريق الإصابات والوفيات بأمراض القلب التي حدثت بين المشاركين، كما راجعوا مستويات الاكتئاب، والمستوى التعليمي، والحالة الاجتماعية والاقتصادية، وممارسة الرياضة أو النشاط البدني.

ووجد الباحثون أن الأشخاص المتفائلين -أيا كانت العوامل التي جعلتهم أكثر تفاؤلاً من غيرهم- كانوا أقل عرضة للإصابة والوفاة بأمراض القلب والأوعية الدموية، مقارنة بمن يتمتعون بنظرة تشاؤمية للحياة.

وقال الباحثون إن أهمية الدراسة تكمن في أن التفاؤل والتشاؤم عاملان يمكن قياسهما بسهولة ويمكن اعتبارهما قابلين للتعديل، وبالتالي يمكن أن يتدخلوا لخفض مخاطر القلب والأوعية الدموية والوفيات الناجمة عن جميع الأسباب.

وأضافوا أنهم سيعملون على إجراء مراجعة منهجية أخرى لكشف العلاقة بين التفاؤل وخفض خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية في المستقبل.

التفاؤل والأمل منظور الشعر:

تغنى الشعراء بالأمل والتفاؤل، فهما كالبلسم للقلب المجروح، ييثان عزيمة وإرادة للاستمرارية في الحياة، فالتفاؤل هو شعور رائع وجميل يعطي الإنسان أمل في الحياة كما أنه يعطيه الدافع القوي من أجل محاربة الهزيمة والخسائر والفشل ولقد أبدع الشعراء حقاً في اختيار أروع الكلمات في التعبير عن آمالهم، قال الطغرائي :

أَعْلَلُ النفس بالآمالِ أَرْقُبُها ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ

لم أرتضِ العيشَ والأيامَ مقبلةً فكيف أرضى وقد ولّت على عَجَلٍ

الأمل هو شعور عاطفي يتفاعل به الإنسان ويرجو فيه نتائج إيجابية لحوادث الحياة، فالأمل قوة عظيمة يعيش بها الإنسان، ومن خلاله يستمد رغبته في الحياة يقال: إن الإنسان يموت عند ما يشعر بأنه لا يوجد لديه سبب في الحياة، فالسبب هو الأمل. وقال مصطفى الماحي :

يجاهد المرء والآمال تدفعه وليس يظفر إلا بالذي قدرا

الأمل بالله هو الشيء الوحيد الذي يجعلنا متمسكين بالحياة مهما كانت الظروف صعبة، ومهما عانينا وتعبنا. قال إيليا أبو ماضي :

أيها الشاكي وما بك داء كن جميلاً ترا الوجود جميلاً

الأمل يجلب السعادة والرضا والتفأول إلى قلوب أصحابه، وهو من الصفات التي يحثنا عليها ديننا الحنيف الذي يدعونا الى عدم التشاؤم والحزن ودائماً الشعور بالأمل والرضا وحُسن الظن بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** والتفأول خيراً بالمستقبل، قال أبو الفتح البستي :

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبتن إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

فالتشاؤم يقود الإنسان الى الإحباط واليأس، ومن ثم إلى الفشل

والتوقف عن تحقيق أحلامه وطموحاته، أو التعرض للعديد من المصاعب والمشاكل في حياته، قال علي بن الجهم :

يا أيها المطلق آماله من دون آمالك آجال
كم أبليت الدنيا وكم جددت منا وكم تبلي وتغتال
ما أحسن الصبر ولا سيما بالحرّ إن ضاقت به الحال

ولكنّ الإنسان المتفائل الذي يتحلّى دائماً بالصبر والأمل يعيش واثقاً من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ومن نفسه ، ومهما تعرض إلى صدمات أو مصاعب في حياته لا يفقد أمله أو ثقته بربه، أو بنفسه، ولا يتسلل اليأس والإحباط إلى داخله أبداً، قال مصطفى الغلاييني :

إنّ للآمال في أنفسنا لذة تنعش منها ما ذبل
لذة يحلوها الصبر على غمرات العيش والخطب الجلل

والمؤمن الحق لا يتسلل اليأس الى نفسه؛ لأن الدين في قلبه هو الذي يوجهه دائماً إلى الطريق الصحيح، وبدون الأمل، لن يكون للحياة معنى .
قال المتنبي :

لا تلقَ دهرَكَ إلّا غيرَ مُكترِث
ما دامَ يَصْحَبُ فيه رُوحَكَ البدنُ
فمّا يُدِيمُ سُروُرٌ ما سُرِرْتَ بهِ
ولا يَرُدُّ عَلَيْكَ الفَائِتَ الحَزَنُ

فالتفاؤل فضيلة من فضائل الأخلاق، وأهم خطوات النجاح في الحياة، فهو يساعد على تحقيق الهدف، ويعطي الحماس والقوة للوصول إليه كما يمكن الإنسان الإصرار على الحياة ويجعله يتعد عن الفشل والإحباط.

قال ابن الرومي رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَمَلِي فِيهِ لِيَأْسِي قَاهِرُ فَلَذَا قَلْبِي عَلَيْهِ صَابِر
وَهُوَ الْمُحْسِنُ وَالْمَجْمِلُ بِي وَأَنَا الرَّاجِي لَهُ وَالشَّاكِر
طَرَفُهُ يُخْبِرُنِي عَنْ قَلْبِهِ أَنَّنِي يَوْمًا عَلَيْهِ قَادِر

الدنيا دار ابتلاء ومصاعب ومشاكل، فمن الطبيعي أن يواجه الإنسان الكثير من المشاكل في حياته، ولكن هذا ليس سبباً للشقاء، أو فقدان الأمل؛ لأن المشاكل لا تدوم للأبد، سريعاً ما تختفي ويتغلب عليها الشخص إن تفاعل واجتهد وسعى ووثق بالله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ليصل إلى هدفه في الدنيا والآخرة بأذن الله.

قال مصطفى الماحي رَحِمَهُ اللَّهُ :

يُجَاهِدُ الْمَرْءُ وَالْأَمَالَ تَدْفَعُهُ وَلَيْسَ يَظْفَرُ إِلَّا بِالذِّي قُدِرَا

يختلف الناس في إقبالهم على الحياة، منهم من يُقبل عليها محزوناً مبتئساً لا يراها إلا شؤماً وظلمة، ومنهم من يُقبل عليها فرحاً مبتهجاً وخيراً ونوراً.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ :

هَمَّتِي هَمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي	نَفْسٌ حُرٌّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرًا
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قُوتًا	وَإِذَا مِتَّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرًا
وَإِذَا مَا قَنَعْتُ بِالْقَوْتِ عَمَر	فَلَمَّاذَا أَزُورُ زَيْدًا وَعَمْرًا

ومند وجد الشعر العربي وجد فيه فريقان، فريق يصور الحياة على أنها
 مَحْنٌ وخطوب وكوارث، وفريق يصورها على أنها لذائذ وهناء وصفاء.
 وكل شاعر يرى متعته في وجه من الوجوه، أو بشيءٍ يحبه ويرغبه.
 وقال الشريف المرتضى :

أَيَقُودُنِي أَمَلِي فَاتَّبِعْهُ وَالذَّلْ يَصْحَبُ مِنْ لَهُ أَمَلٌ

إن العربي في جاهليته كان يهوى الجمال، لذا راح يفتش فيما حوله عن
 ذلك الجمال والعشق لكي يملأ عليه نفسه وقلبه وعقله، فلم يجد أجمل من
 المرأة رمزاً للتعبير عما يشعر به هذا العاشق بعد اليأس العميق الذي رمز
 له بالطلل تنفتح أمامه بوارق الأمل، فاتخذ المرأة رمزاً له.
 قال امرؤ القيس :

تَضَيُّ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا	مَنَارَةٌ تُمَسِّي رَاهِبٍ مَتَبِّلٍ
وَتَضْحِي فَتَيْتُ الْمَسِكَ فَوْقَ فِرَاشِهَا	نَوْمُ الضُّحَا لَمْ تَتَنَقَّ عَنْ تَفْضُلٍ

وأن العاشق الذي يقاسي ما يقاسيه في سبيل الحب حزناً وسقماً، ليس
بيأس أنه يحتمل ألم البعد آملاً في اللقاء .

قال عنتره :

ولئن سألتَ بِذاكِ عِبلَةَ خُبُرْتِ أن لا أريدُ من النِّساءِ سِواها
وأجيبها إِمّا دَعَّتْ لِعَظِيمَةٍ وأعينها واكفُ عَمَّا ساهَا

وأن الشاعر العاشق عمد إلى استخدام عناصر أخرى ترمز إلى الأمل
جعل من العوامل الطبيعية المحيطة به عناصر تبعث الأمل، ومن بين تلك
العناصر المطر والماء والرياح، فهو يستمطر السماء، إما على قبور أحبائه
وإما على قبور الذكريات المتمثلة في الاطلال .

قال عنتره :

ولقد مررتُ بدارِ عِبلَةٍ بعدما لعبِ الربيعُ بربيعِها المُتوسِّمِ
جادت عليه كُلُّ بَكْرٍ حُرَّةٍ فتركَنَ كُلُّ قَرارَةٍ كالدرهمِ

فالأمل في الحبِّ، والأمل في الوطن، وآمالٌ أخرى .

وقال السري الرفاء :

أفق من سكرة الأمل المحال ومن ديباجة العرض المزال
ولا تجزع ليل الدهر أوْمل أن يعود إلى اعتدال

وقال آخر:

إِنِّي صَنَعْتُ مِنَ التَّفَاوُلِ مَرَكِبًا وَشَدَدْتُ مِنْ عِزَمِ الْيَقِينِ شِرَاعَهُ
أُبْحَرْتُ فِيهِ عَلَى الْإِلَهِ تَوَكُّلِي مَا خَابَ مِنْ اللَّهِ مَدَّ ذِرَاعَهُ
التَّفَاوُلُ فِي أَوْزَانِ الشَّعْرِ وَلَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ التَّفَاوُلِ أَوْجَهُ

اجعل صباحك مشرقاً بالتفأول:

صباح التفأول - باح السعادة - صباح الأمل - في غد مشرق مفعم
بكل ما هو أنفع وأجمل - صباح اليقين بالله بأن القادم أفضل وأحسن.
دعوة للتفأول ونحن في عام جديد وهو: ١٤٤٦ هجرية أن نتفاءل
بالخير، ونستبشر بأن رب الخير لا يأتي إلا بالخير، والأيام المقبلة لا تحمل
إلا كل خير، علينا أن نطلق بروح جديدة، روح التفأول والأمل.

تفاءلوا فإن كتاب الله يدعو للتفأول:

اقرأوا إن شئتم، قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧) (١).
وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) (٢)، وقوله
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٣)، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) (٤).

ولا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

(١) سورة الطلاق، الآية ٧.

(٢) سورة الشرح، الآيات ٥-٦.

(٣) سورة التوبة، الآية ٥٩.

(٤) سورة الطلاق، الآية ٢.

تفاءلوا فأنبياء الله كانوا متفائلين.. سيدنا إبراهيم يطلب الولد على كبر وقد شاخ وشاخت زوجته، وكذلك زكريا: قد بلغ من العمر عتيا، وامرأته عاقر، ومع ذلك يقول **تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَاكِيًا** عن لسان زكريا - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ﴾ ^(١)، ويعقوب يفقد ولديه واحداً تلو آخر ومع ذلك يقول: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ ^(٢) ﴿يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ زَوْجِ اللَّهِ﴾ ^(٣).

تفاؤل أيوب - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - بشفاء مرضه، مع طول زمانه، وشدة ما عاناه فيه، فلم يجزع، ولم يترك نفسه - **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - فريسةً للتشاؤم واليأس في شفاء الله. اليأس ضعف وفشل وانكسار، اليأس عدم اليقين وحُسن الظن بالله، اليأس لا مكان له وسط الناجحين الطامحين الآملين في غد جديد سعيد، باب الأمل لديهم لا يعرف كلمة مستحيل، ومن أعلى درجات التفاؤل هو التفاؤل في أوقات الأزمات ولحظات الانكسار وساعات الشدائد، فتتوقع الخير وأنت لا ترى إلا الشر، والسعادة وأنت لا ترى إلا الحزن، وتتوقع الشفاء عند المرض، والنجاح عند الفشل، والنصر عند الهزيمة، وتتوقع تفريج الكروب ورفع البلاء والوباء.

تأكدوا أن طبيعة الحياة لا تسير على وتيرة واحدة ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ^(٤) فلا تحزن ولا تيأس، ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

(١) سورة مريم، الآية ٥.

(٢) سورة يوسف، الآية ٨٣.

(٣) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

وكان النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يقول: (بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)^(١).

وكان النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة، والتشاؤم، والفأل الحسن: هو الكلمة الطيبة تمر بالإنسان، فيسمعها فتسره، فيشمل ذلك كل قول أو فعل يستبشر به.

فالتفاؤل دعوة جميع الأنبياء والرسل، لإعمار الأرض.

تفاءلوا تفتح لكم كل الأبواب المغلقة.. ثقوا بالله واجعلوا في قلوبكم مكاناً للأمل، فالأمل يصنع العظماء، وبالأمل تستمر الحياة، ولا تجعلوا همّاً واحداً ينسيكم ألفاً من النعم.

سيفتحُ اللهُ باباً كنتَ تحسبه من شدة اليأسِ لم يخلق بمفتاحٍ

عوائق التفاؤل:

للتفاؤل عدة عوائق تعيق الإنسان عنه وتضعف بصره وبصيرته فمن ذلك:

- ضعف الوازع الديني:

يعد فقد الوازع الديني من أقوى معوقات التفاؤل لعدم حسن الظن بالله والاتكال عليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فيجب على المسلم أن يكون متفائل وأن يتوقع الأجل والأفضل لأنه في معية الله وفي حفظه ورعايته، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحب المتفائلين ويُعطيهم على تفاؤلهم، فثق بوعد ربك حيث

(١) رواه مسلم، رقم: (١٧٣٢)

قال جَلَّ جَلَّالُهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٦٨) (١).

- التشاؤم :

فالتشاؤم هو أحد أهم العوائق في طريق التفاؤل وهو الداء الذي يتتاب كثيراً من النفوس ، وهو الذي جعل الكثيرين ينظرون للمستقبل نظرة سوداوية فنجدهم باستمرار يعودون أدراجهم للوراء بحثاً عن بصيص أمل مفقود! .

قُلْ لِلَّذِي مَلَأَ التَّشَاؤْمُ قَلْبَهُ وَمَضَى يُضَيِّقُ حَوْلَنَا الْآفَاقَا
سُرُّ السَّعَادَةِ حُسْنُ ظَنِّكَ بِالَّذِي خَلَقَ الْحَيَاةَ وَقَسَّمَ الْأَرْزَاقَا

- اليأس :

لا ييأس من رحمة الله وعفوه وكرمه إلا من أخطأ سبيل الصواب، وغفل عن رجاء الله - عَزَّجَلَّ - الذي لا يخيب من رجاءه .

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) (٢)، أما المؤمن فمتفائل ومؤمن بوعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فدوماً قلبه معلق بالأمل بالله عَزَّجَلَّ ، فهو الخالق وحده لا شريك له، ومدبر الأمر كله .
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه لا تيأسنَّ فَإِنَّ الْكَافِيَ اللَّهُ

- كلمة (لو) :

نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإكثار من كلمة: (لو) لما تحمل في طياتها

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٨ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

من التشاؤم وعدم الوثوق بوعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(اسْتَعْنُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا
وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) (١).

- القنوط من رحمة الله :

وهو من يقنط ويستحسر ويبعد الرجاء والأمل، ويتوقع إصابته بالفشل
والخيبة، واستبعاده للفرج بعد الشدائد ؛ والفرح بعد الحزن ، واليسر بعد
العسر.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ
قَنُوطٌ ﴾ (٤٩) (٢).

فينبغي على المسلم أن لا يقنط من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فرحمته واسعة
وفضله عظيم.

لا تَقْنُطَنَّ إِذَا مَا شِدَّةٌ عَرَضَتْ أَوْ غَمَّةٌ فِي ثَنَاءِ الصَّدْرِ تَعَلَّجُ
سَيْرِ سِلِّ اللَّهِ مَا تَحْيَا النُّفُوسُ بِهِ وَالصُّبْحُ عَمَّا قَرِيبٍ سَوْفَ يَنْبَلِجُ

ثمار التفاؤل المباركة:

الفأل والإيجابية من صفات سيد البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحياة السعيدة
تحتاج منا إلى الكثير من التفاؤل وعدم اليأس وتغذية النفس بالعديد من
عبارات التحفيز والإيجابية.

(١) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤).

(٢) سورة فصلت ، الآية ٤٧ .

ثمار التفائل: للتفائل ثمراته الكثيرة الياقة والتي يجنيها المسلم المتفائل والواثق بوعد الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ومن ذلك:

- حُسن الظن بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** :

فحُسن الظن من العبادات القلبية التي طالما غفل عنها كثير من المسلمين، قال الله **عَزَّجَلَّ** في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي؛ فليظن بي ما شاء»^(١) والمسلم مأثور بحُسن الظن بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** على كل حال .

قال ابن عباس - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** : «الفرق بين الفأل والطيرة: أنَّ الفأل من طريق حُسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء فلذلك كُرِهَتْ»^(٢).

- التوكل على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** :

فالتوكل على الله عبادة المؤمنين، وسبيل الصادقين، وملجأ المخلصين، وباب المتقين، وهو من أسباب النجاح، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون** ﴾^(٣).

- الاقتداء بالرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** :

فإنه يجب علينا الاقتداء بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهو الأُسوة، الذي أمرنا الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أن نقتدي به ، فقد كان يتفائل في حروبه وغزواته، قال - **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** - : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾^(٤).

(١) تقدم تخريجه صفحة ١٥ .

(٢) نقله ابن حجر، فتح الباري، (١٠ / ٢١٥).

(٣) سورة التغابن ، الآية ١٧ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

- تجديد الأمل :

وهو أن يتوقع المؤمن ويأمل الخير دائماً وأبداً ويحسن الظن بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ، فالتفاؤل يبعث في نفس المسلم الرجاء، ويقوّي عزائمه ويجدّد فيه الأمل قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** : ﴿ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا ما أضيق العيشَ لولا فسحة الأمل

- القدرة على مواجهة العقبات :

فالتفاؤل يمنح القدرة على مواجهة المواقف الصعبة، واتخاذ القرار المناسب، ويتيح للمسلم رؤية المواقف الصعبة على أنها مواقف مؤقتة يمكنه تجاوزها وقد شبهها شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** بقوله: «العوارض والمحن هي كالحر والبرد، فإذا علم العبد أنه لا بد منها لم يغضب لورودها، ولم يغتم لذلك ولم يحزن» (٢)

وقد صدق شيخ الإسلام في تشبيهه فهذه الصعاب والعقبات، سرعان ما تنجلي بالتوكل على الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** والتفاؤل والدعاء :

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي أرى بجميلِ الظنِّ ما الله فاعلهُ

- المرونة في العلاقات الاجتماعية :

فالتفاؤل يجعل الإنسان أكثر مرونة في علاقاته الاجتماعية، وأكثر

(١) سورة الزمر ، الآية ٥٣
(٢) مدارج السالكين ، (٣/ ٣٦١) .

قدرةً على التعايش مع الناس ومخالطتهم فتجد الابتسامة لا تفارق محياه، والتغاضي منهجه، وتقدير الآخرين سلوكه ومنهجه .

قال الإمام ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - وهو يذكر فوائد حديث خيبر وأن فيه: «جواز التفأول، بل استحبابه بما يراه أو يسمعه مما هو من أسباب ظهور الإسلام، كما تفاءل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برؤية المساحي والفؤوس والمكاتل مع أهل خيبر، فإن ذلك فال في خرابها»^(١).

والتفأول شعبةٌ من شعب الإيمان، فالمؤمن يفرح بفضل ربه وبرحمته، ولو لم يفعل ذلك ويئس، فإنَّ إيمانه سينقص ولا ريب.

وقد أكّدت العديد من الدراسات التي أجريت أنَّ الإنسان المتفائل يتمتّع بمناعة مضاعفة عن الإنسان المتشائم، وذلك لأنَّ جسم الإنسان المتفائل يفرز بعض الأنواع من الهرمونات التي تساعد على زيادة كفاءة الجهاز المناعي لمساعدته على التصدي لمختلف الأمراض التي من الممكن أن يتعرض لها وتعصف بعقله وحياته.

فيجب أن نربي أنفسنا وأجيالنا على التفأول في أحلك الظروف، وأقسى الأحوال، وأصعب المواقف، فالتفائلون هم الذين يصنعون المجد، ويكتبون التاريخ، ويسودون الأمم، ويقودون الأجيال.

أمَّا اليائسون والمتشائمون، فلن يستطيعوا أن يبنوا حياةً سوية، وسعادةً حقيقية في داخل ذواتهم، فضلاً عن أن يصنعونها لغيرهم، أو يُبشِّرونها سواهم؟ وقديماً قيل: «فاقد الشيء لا يعطيه» والمؤمن هو من يسير في هذه الحياة متفائل معطاء يجني من ثمار التفأول ويقدمها للآخرين ولا يلتفت

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٣/ ٣٠٨).

لعوائق التفاؤل وعقباته على حد قول الشاعر:

وأسيرُ في الدنيا وغُصْنُ عَزِيمَتِي صَلْبُ وَبَابُ تَفَاؤُلِي لَا يُغْلَقُ
 لَنْ تُطْفِئَ الْأَوْهَامَ نُورَ تَفَاؤُلِي فَأَنَا الْقَوِيُّ وَهَمَّتِي لَا تُزْهَقُ
 أَحْيَا وَنُورُ اللَّهِ يَسْكُنُ أَضْلُعِي فَعَلَامَ أَمْضِي فِي الْحَيَاةِ وَأَقْلَقُ

صناعة التفاؤل :

لا شك أن التفاؤل أمر هام لأي إنسان يريد صناعة السعادة في حياته، بل إن التفاؤل هو أول مقدمة وطريقة نحو السعادة الحقيقية، وبالحقيقة هناك العديد من الدراسات التي تؤكد على أهمية التفاؤل للإنسان باعتباره الأسلوب الأمثل للعيش السعيد والقضاء على الملل والأمراض النفسية.

قد نجد كثيراً من الناس يدعون إلى التفاؤل، ويظنون أنهم أناس متفائلون، وسعيدون، ولكن مشاعرهم غير ذلك، ومن هنا أود الإشارة إلى مجموعة من الأساليب، والتي من شأنها أن تساعدك عزيزي القارئ على الشعور بالتفاؤل وصناعته بشكل فعال وذكي ، وهي كالآتي:

أساليب صناعة التفاؤل هي :

أولاً: أن تكون طريقة تفكيرك إيجابية ،فكن دائماً مفكراً بطريقة إيجابية، وقاوم الأفكار السلبية بأفكار إيجابية وسليمة، صاحب التفكير التفاؤلي بعيد عن الاكتئاب والتوتر والعدوانية، هو قادر على تحويل المواقف أياً كانت إلى مواقف إيجابية، فمثلاً:

لو ضاع على شخص منه مفتاح البيت، يقول لنفسه: لعله خير، فقد أجده في مكان آخر، أو يجعله يتصل بأهله فيطمئن عليهم ويجده عندهم .
ثانياً: مارس القراءة التفاؤلية، وهي في اعتقادي من أهم الأساليب لصناعة التفاؤل، وذلك من خلال الابتعاد، وبالمطلق عن كل الأخبار المقروءة السلبية، والتي تدعوا الى التشاؤم وقراءة فقط الكتب أو الأفكار، أو حتى التعليقات الإيجابية، فهي تشعرك بالتفاؤل، وتجعل عقلك اللا واعي مركزاً عليها.

ثالثاً: كن مع أصدقاء يمارسون التفاؤل، فالأصدقاء لهم أثر كبير على الشخص، فقد أثبتت كافة الدراسات التي تعنى بالموضوع أن للأصدقاء أثر كبير في طبيعة تفكير الشخص إيجابياً أو سلبياً، فالأصدقاء هم أصحاب التأثير الأكبر على الإنسان فليكن لديك أصدقاء متفائلين وإيجابيين وكما جاء في الحديث الشريف « المرء على دين خليله فلينظر أحداً من يُخالل »^(١)، ومعناه: انتقوا واختاروا من تتخذونه خليلاً أي صديقاً، من كان ينفعكم لدينكم فعليكم بمصادقته ومن لا ينفعكم في دينكم بل يضركم فابتعدوا عنه، أي لا تصادقوه .

الإنسان يهلك من طريق الأصدقاء الأشرار. والصديق الحقيقي هو الذي يساعدك على صناعة جو التفاؤل في كل الأمور والمساند لك في الحياة رغم كثرة الصعاب فهو دوماً متفائل معك ويشعرك بالتفاؤل المستمر.

رابعاً: تعلم من المواقف التي تواجهك في الحياة، وقرأها بطريقة

(١) رواه أبو داود، رقم: (٤٨٣٣)، والترمذي، رقم: (٢٣٧٨)، وأحمد، رقم: (٨٣٩٨) واللفظ له ، وقال الألباني حسن غريب كما في مشكاة المصابيح (٥٠١٩) .

تفاؤلية، ومعنى كلامي هنا أن من الممكن الوقوع في المشاكل، أو حتى الصعاب وهذا من طبيعة الحياة ولكن لا بد أن نقرأ الموضوع بطريقة تفاؤلية وإيجابية حتى نستطيع التخلص منه بشكل أفضل ونتعلم بطريقة صحيحة وصحية وتفاؤلية .

خامساً: مارس الرياضة التفاؤلية، وهنا أقصد اجعل لنفسك وقتاً للرياضة، ولكن لتكون هذه الرياضة باسم الرياضة التفاؤلية، فتكن بمكان تحبه ووقت تحبه، ومع أشخاص متفائلين وتحبهم أيضاً، ولا بأس أيضاً أن تتبادلوا الحديث التفاؤلي والإيجابي، والذي يجعلكم أكثر سعادة وتفاؤل .

عزيزي القارئ:

أرجو أنني قدمت لك بعض النصائح التفاؤلية والتي تستطيع من خلالها صناعة التفاؤل على المستوى الشخصي والعيش بسعادة، وجعل حياتك أكثر تفاؤلاً عملاً بالقول المأثور (تفاءلوا بالخير تجدوه) فبرمج عقلك ونفسك على التفاؤل تجده حقيقة واقعية في حياتك .

تقول الحكمة: لا تنظر إلى نصف الكوب الفارغ وانظر إلى نصف الكوب الممتلئ، لكن صديقي المتشائم سيؤكد أن الكوب جف فيه الماء، لا عليك يا قنوط، فقطرات الندى كفيلة بملئه، فقط حرك قدميك تجاه الأغصان في البكور، وهذا هو الأمل الذي نعينه يارفيق، أمل يدفع للحركة لا للسكون.

صناعة الأمل مسؤولية فردية واجتماعية، تستوجب أن تكون أسلوب حياة، من دون التعلل بضغط الواقع وعجز الثقات وسدور الأملين وعزم المريب.

ليت حياتنا كعيون تقع على همسات ضاحكة على أسرة المرض، على أنغام التفاؤل تجري على فم بائع الألبان، على تلك التجاعيد التي بعثرتها بسمه عجوز احدوب ظهرها، وهي تبدأ صباحها ببسم الله.

اليأس سيقتلنا مرات ومرات والواقع كما هو، فلنجرّب أن نعيش على أمل يروي حياتنا، يبيىء الأنفس للعمل، فلنترك أنوفنا تشتم رائحة الغد الأفضل، على طريقة يعقوب، إذ وجد في القميص ريح يوسف، فلم ينقطع منه أمل اللقاء، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حاكياً حاله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾^(١).

من قلب الخندق وفي ظل زلزلة القلوب وتربص الأعداء وسطوة البرد والجوع والخوف كان النبي ﷺ يبشر بالفتح المبين.

والسلطان نور الدين بن زنكي كان يصنع منبره ليعتليه في الأقصى خطيباً، في وقت كان مسرى النبي مكبلاً بأغلال الصليبيين، إنها صناعة الأمل.

وكل الحادثات وإن تناهت فموصول بها الفرج القريب

التفاؤل يقاوم الاكتئاب:

بتضمن التفاؤل ضمن الجهود المبذولة لحماية الصحة العقلية، وأوضحت أن التفاؤل يقلل من الآثار السلبية لأحداث الحياة وتقلباتها.

والحقيقة أن التفاؤل من أقوى مضادات الاكتئاب والتوتر والقلق واليأس والقنوط، فهو مانع قوي للانتحار، ومن يتمسك بالتفاؤل (١) سورة يوسف، الآية ٨٣.

فهو يمسك بالحياة، ولعل هذا ما جعل إحدى المهام الكبرى للأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - هي التبشير، وغرس الأمل والتفاؤل، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في وصفهم: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾^(١) وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في وصف النبي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢) فالأنبياء يصنعون الأمل للضعفاء والمظلومين، ويبشرونهم بالخلاص والعدل.

والتفاؤل نابع من أعماق الإنسان، ومن ثم فهو ذو بُعد معرفي مرتبط بطريقة التفكير التي تدرك المشهد بصورة إجمالية، فتتوقع الخير واليسير والانفراج، حتى في ساعة العسرة والضيق، ولا تقف أمام اللحظة القاسية، كأنها لحظة أبدية لن تزول، ولعل هذا ما أشار إليه القرآن في تعبير بليغ أليس الصبح بقريب فتبشير الصبح لا تأتي إلا بعد شدة العتمة في الليل، ويبقى أن المتفائل هو من لا يعذب نفسه، أما المتشائم فهو من يعذب نفسه باستمرار.

أنصح الشخص الكئيب قبل التفاؤل:

بالالتزام بأداء الصلوات في وقتها وعدم تأخيرها. وتلاوة القرآن الكريم. يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣) أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضيرها أفراحها ولذاتها. ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٤) أي: حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألد للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس

(١) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٥٦.

(٣) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٤) سورة الرعد، الآية ٢٨.

به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

التفأول عند المسلم هو من العقيدة الصحيحة والإيمان بالله

التفأول ليس خواطر عابرة إنها عقيدة راسخة ﴿سَيُوتِنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ حث الشريعة الإسلامية على التفأول، ونبذ التشاؤم واليأس والقنوط، وبيّنت أنّ غياب التفأول نابع من غياب الفقه في الدين، ومن القصور في فهم مقاصد التشريع، وفيما يلي بيان لأهمية التفأول إنه عقيدة لدى المسلم؛ فهو نابع من حسن ظنه بالله وتوكله عليه، ويقينه بأن ربّ الخير لا يأتي إلا بالخير.

يعمل على تقوية الثقة بالله - عَزَّجَلْ - والاعتماد عليه، وغرس معاني اليقين به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأنّ كلّ ما يحصل للإنسان هو تقدير العزيز العليم. إنه أمرٌ مستحسنٌ، لأنّ فيه حفزٌ للهمم على تحقيق الأهداف وتوقع الأفضل دائماً، يغرس الطمأنينة في النفوس، من خلال صدق توكلها على الله، وتوقعها لأفضل الخيارات في كلّ الظروف والأحوال، وذلك بعد الأخذ بالأسباب.

آياتٌ حاثّةٌ على التفأول والاستبشار جاءت آياتٌ كثيرةٌ في القرآن الكريم تدعو المسلم ليكون من المتفائلين المستبشرين، ومنها ما يأتي: قول الحقّ - عَزَّجَلْ - في سورة يوسف: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) ﴿١﴾، فقد حرّم القرآن اليأس، وبيّن أنّه قرينٌ للكفر، أمّا المسلم فيحمل من اليقين بالله ما يجعله يستبشر دائماً بما (١) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

وفي سياق نبد التشاؤم وترك الخوف وتوقع الشر والنتائج السيئة؛ جاء على لسان الحبيب المصطفى ﷺ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنِّي أَنزَلْتُ اللَّهُ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ (١) وفي هذا تربية للمسلمين على توقع أفضل النتائج بعد التوكل على الله، والأخذ بالأسباب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من استمسك بعُرْوَةِ التَّوْحِيدِ الوثقى، واعتصم بحبله المتين وتوكل على الله: قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها .

وَقَالَ عِكْرَمَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَمَرَّ طَائِرٌ يَصِيحُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : خَيْرٌ ! خَيْرٌ ! فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : (لَا خَيْرَ وَلَا شَرٍّ !) .
مبادرةً بالإنكار عَلَيْهِ، لئلاَّ يعتقد لَهُ تأثيراً في الخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ . وَخَرَجَ طَاوُوسٌ مَعَ صَاحِبٍ لَهُ فِي سَفَرٍ ، فَصَاحَ غَرَابٌ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : خَيْرٌ ! فَقَالَ طَاوُوسٌ : وَأَيُّ خَيْرٍ عِنْدَهُ ؟ ! وَاللَّهِ لَا تَصْحَبْنِي » (٢)

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قال: أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ). (٣)

(١) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .
(٢) مفتاح دار السعادة، (٢/ ٢٣٥).
(٣) رواه أحمد، رقم: (٧٠٤٥)، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة، رقم: (٣ / ٥٣) تحت الحديث (١٠٥٦) .

التفاؤل والبسمة والابتسامة :

تُعتبر الابتسامة الدائمة أولى خطوات التفاؤل، فعندما يُقنع الفرد نفسه بأنه سعيد، سيحصل السعادة الحقيقية بسبب هذه التوقعات، وعندما يتسم الفرد دائماً، سيحظى بابتسامة كل من حوله، وسيكون سبباً بابتسامة كل من يراه، فيكون عنواناً للتفاؤل والمحبة.

فمن طبيعة النفس البشرية أنها تحب كل ما هو جميل ولا شك أن من أروع ما تعشقه النفس هو الابتسامة، وكما قال النبي ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(١) وهو تأكيد على أهمية الابتسامة بكونها وسيلة للتواصل، وما تبعثه في النفس عندما يقابلك إنسان مبتسم. ما نحتاج إليه في ظل ضغوط حياتنا اليومية هو ممارسة ثقافة التفاؤل والابتسامة والنظر ليومنا بمحبة منذ مطلعته، وتعزيز نظرتنا الايجابية لما حولنا لنصل إلى الرضا والسعادة، وسيبقى الصباح سراً من أسرار هذه الحياة.

اغرس الأمل، وارسم البسمة، ووزّع التفاؤل، واصنع المعروف، واخدم الناس، فإنما أنت عابر وغداً مسافر.

فوائد الابتسامة؟

وتزيد الابتسامة من نشاط الذهن ومردوده، وتقوي القدرة على تثبيت الذكريات وتوسيع ساحة الانتباه والتعمق الفكري، وبالتالي يصبح المرء أقدر على التخيل والإبداع ودقة التفكير، وتبعث الابتسامة فينا السعادة الداخلية وبالتالي يزداد إشراق الوجه من جديد بالحيوية والنشاط.

(١) رواه الترمذي، رقم: (١٩٥٦)، واللفظ له، وابن حبان، رقم: (٥٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨).

البسمة سنة نبوية:

قال المناوي: «تبسمك في وجه أخيك»، أي: في الإسلام، (لك صدقة) يعني: إظهارك له البشاشة والبشر إذا لقيته، تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة»^(١).

وقال ابن بطال: «فيه أن لقاء الناس بالتبسم، وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو منافٍ للتكبر، وجالب للمودة»^(٢).

ابتسامة الرسول ﷺ .. حقائق وأسرار:

حينما يقرب المسلم سيرة النبي - ﷺ - لا ينقضي عجبه من جوانب العظمة والكمال في شخصيته العظيمة صلوات ربي وسلامه عليه، ومن جوانب تلك العظمة ذلك التوازن والتكامل في أحواله كلها، واستعماله لكل وسائل تأليف القلوب وفي جميع الظروف، ومن أكبر تلك الوسائل التي استعملها الرسول ﷺ في دعوته، هي تلك الحركة التي لا تكلف شيئاً، ولا تستغرق أكثر من لمحة بصر، تنطلق من الشفتين، لتصل إلى القلوب، عبر بوابة العين، فلا تسل عن أثرها في سلب العقول، وذهاب الأحزان، وتصفية النفوس، وكسر الحواجز مع بني الإنسان! تلك هي الصدقة التي كانت تجري على شفثيه الطاهرتين، إنها الابتسامة! الابتسامة التي أثبتها القرآن الكريم عن نبي من أنبيائه، وهو سليمان عليه السلام حينما قالت النملة ما قالت!.

إنها الابتسامة التي لم تكن تفارق محيا رسولنا - ﷺ - في جميع أحواله، فلقد كان يتبسم حينما يلاقي أصحابه، ويتبسم في مقام إن كتم

(١) فيض القدير، (٣ / ٢٢٦).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال، (٥ / ١٩٣).

الإنسان فيه غيظه فهو ممدوح فكيف به إذا تبسم؟! وإن وقع من بعضهم خطأ يستحق التأديب، بل ويتبسم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى في مقام القضاء! .
فهذا جرير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول - كما في الصحيحين -: «ما حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - منذُ أسملتُ، ولا رَأَى إِلَّا تَبَسَّمَ في وجهي»^(١).

ويأتي إليه الأعرابي بكل جفاء وغلظة، ويجذبه جذبة أثرت في صفحة عنقه، ويقول: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ! فَالْتَمَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ^(٢).

ومع شدة عتابه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للذين تخلفوا عن غزوة تبوك، لم تغب هذه الابتسامة عنه وهو يسمع منهم، يقول كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن ذكر اعتذار المنافقين وحلفهم الكاذب: فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ «تَعَالَ». فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ^(٣).

ويسمع أصحابه يتحدثون في أمور الجاهلية وهم في المسجد، فيمر بهم ويتبسم!، بل لم تنطفئ هذه الابتسامة عن محياه الشريف، وثغره الطاهر حتى في آخر لحظات حياته، وهو يودع الدنيا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول أنس - كما في الصحيحين -: «بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةٍ عَائِشَةَ، فنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ. ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ!»^(٤) ولهذا لم يكن عجباً أن يملك قلوب أصحابه، وزوجاته، ومن لقيه من الناس! .

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٨٢٢)، ومسلم، رقم: (٢٤٧٥).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣١٤٩) (٥٨٠٩)، ومسلم، رقم: (١٠٥٧).

(٣) رواه البخاري، رقم: (٤٤١٨)، ومسلم، رقم: (٢٧٦٩).

(٤) رواه البخاري، رقم: (٤٤٤٨).

الطريق إلى القلوب ! :

لقد شقَّ النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - طريقه إلى القلوب بالابتسامة، فأذاب جليدها، وبث الأمل فيها، وأزال الوحشة منها، بل سنَّ لأُمَّته وشرع لها هذا الخلق الجميل، وجعله من ميادين التنافس في الخير، فقال: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة»^(١).

ومع وضوح هذا الهدى النبوي ونصاعته، إلا أنك ترى بعض الناس يجلب إلى نفسه وإلى أهل بيته ومن حوله الشقاء بحبس هذه الابتسامة في فمه ونفسه.

إنك تشعر أن بعض الناس من شدة عبوسه وتقطيعه - يظن أن أسنانه عورةٌ من قلة ما يتبسم! فأين هؤلاء عن هذا الهدى النبوي العظيم!.

نعم.. قد تمر بالإنسان ساعات يحزن فيها، أو يكون مشغول البال، أو تمر به ظروف خاصة تجعله مغتمًا، لكن أن تكون الغالب على حياة الإنسان «التكشير»، والانتقباض، وحبس هذه الصدقة العظيمة، فهذا والله من الشقاء المعجل لصاحبه والعياذ بالله.

ابتسامة ثنائية الأبعاد! :

إن بعض الناس حينما يتحدث عن الابتسامة يربط ذلك ببعض الآثار النفسية الجيدة على المبتسم، وهذا حسن، وهو قدر يشترك فيه بنو آدم، إلا أن المسلم يحدوه في ذلك أمرٌ آخر، وهو التأسي به - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - والافتداء به، وستأتي الآثار النفسية والصحية التي تذكر في هذا المجال.

(١) رواه الترمذي، رقم: (١٩٥٦) البيهقي شعب الإيمان، رقم: (٣١٠٥) والبخاري في الأدب المفرد، رقم: (٨٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨)

لقد أدرك العقلاء أهمية هذه الابتسامة، وعظيم أثرها في الحياة!

يقول ديل كارنيجي في كتابه المشهور (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس): إن قسمات الوجه خير معبر عن مشاعر صاحبه، فالوجه الصبوح ذو الابتسامة الطبيعية الصادقة خير وسيلة لكسب الصداقة والتعاون مع الآخرين، إنها أفضل من منحة يقدمها الرجل، ومن أرطال كثيرة من المساحيق على وجه المرأة، فهي رمز المحبة الخالصة والوداد الصافي.

ويقول: لقد طلبت من تلاميذي أن يتسم كل منهم لشخص معين كل يوم في أسبوع واحد؛ فجاءه أحد التلاميذ من التجار، وقال له: اخترت زوجتي للابتسامة، ولم تكن تعرفها مني قط، فكانت النتيجة أنني اكتشفت سعادة جديدة لم أذق مثلها طوال الأعوام الأخيرة! فحفزني ذلك إلى الابتسام لكل من يتصل بي، فصار الناس يبادلونني التحية ويسارعون إلى خدمتي، وشعرت بأن الحياة صارت أكثر إشراقاً وأيسر منالاً، وقد زادت أرباحي الحقيقية بفضل تلك الابتسامة إلى أن قال ديل كارنيجي: تذكر أن الابتسامة لا تكلف شيئاً، ولكنها تعود بخير كثير، وهي لا تفقر من يمنحها مع أنها تغني آخذها، ولا تنس أنها لا تستغرق لحظة، ولكنها تبقى ذكرى حلوة إلى آخر العمر. وليس أحد فقير لا يملكها، ولا أحد غني مستغن عنها.

كم نحتاج إلى إشاعة هذا الهدى النبوي الشريف، والتعبد لله به في ذواتنا، وبيوتنا، مع أزواجنا، وأولادنا، وزملائنا في العمل، فلن نخسر شيئاً! بل إننا سنخسر خيراً كثيراً -دينياً ودينوياً- حينما نحبس هذه الصدقة عن الخروج إلى واقعنا المليء بضغوط الحياة.

إن التجارب تثبت الأثر الحسن والفعال لهذه الابتسامة حينما تسبق تصحيح الخطأ، وإنكار المنكر، وبعد: فإن العابس لا يؤذي إلا نفسه، وهو بعبوسه يحرمها من الاستمتاع بهذه الحياة، بينما ترى صاحب الابتسامة دائماً في ربح وفرح.

أجمل ما قال الشعراء عن الابتسامة:

قلتُ: ابتسمْ يكفي التجهُمُ في السما! .

قال: الصِّبا وَلِي! .

فقلتُ له: ابتسمْ لن يُرجَعَ الأسفُ الصِّبَا المتصرِّماً ! .

أجمل ما قيل عن الابتسامة:

لنبتسم، ونجعل الأمل أقرب إلينا. الابتسامة أمرها عجيب للغاية، إن رسمتها لحبيب شعر بالراحة، وإن رسمتها لعدو شعر بالندم، وإن رسمتها لمن لا تعرف أصبحت صدقةً لك، وإن رسمتها لنفسك ازدادت قوة. ابتسامتك البريئة تكسبك المزيد من الأصدقاء. الابتسامة لا تكلف شيئاً ولكنها تعني الكثير.

التفأول سؤال نريد الإجابة: حساً وشعوراً جواباً قليلاً واقعائياً عملياً بصدق وصراحة.

هل مرَّ عليكم شخص دائم التفأول، مشرق الوجه، محب الحياة، لا يضيق بمشكلاتها وأحزانها؟.

قد توكلَّ على ربه، ومضى على صراطه، وعاش على بيناته، ومدرِك أن الحياة لا تستحق الحزن والتضجر، فرسولنا الكريم كان دائم التفأول،

منشرح الخاطر، فكن أنت ذلك المتفائل، ولا تقم للحزن وزناً، ولا للغم بالاً، وامض متوكلاً على ربك.

استعن بالله وتوكل عليه:

فكن أنت ذلك المتفائل، ولا تقم للحزن وزناً، ولا للغم بالاً، وامض متوكلاً على ربك، ساعياً في رزقك، خادماً لدينك؛ فهذا هو **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في أتون محنة الطائف يقول: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»^(١)، ويوم الأحزاب لما انصرفوا، قال: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم»^(٢).

وهديه الدائم: «ويعجبني الفأل»؛ الكلمة الطيبة. فطيبوا كلامكم، وحسنوا فعالكم، واستحضروا أن دين الله غالب، وأن أمره نافذ، وأن جنده هم الغالبون.

التفائل بيوم عاشوراء:

خرجت لصلاة العصر في هذا اليوم، فتذكرت في طريقي يومين عظيمين يوماً نجى الله فيه موسى وقومه، من فرعون الطاغية وبطشه بهم، فأهلكه الله في مثل هذا اليوم ففيه تفريج هموم، وتنفيس كرب، ويوماً صام فيه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يومه عاشوراء هو والصحابة، وكان مفروضاً قبل فرض شهر رمضان شكراً لله وأنا في صدد كتابة مبحث التفائل بوابة النجاح الكبرى فقلت: لابد من عقد مبحث حول عاشوراء وأنه ينبغي لنا معشر المسلمين التفائل، بنصر الله **عَزَّ وَجَلَّ** للمؤمنين، وهلاك

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١) ومسلم، رقم: (١٧٩٥).

(٢) رواه البخاري، رقم: (٤١١٠).

الظالمين وشكر رب العالمين .

وفي ذكرى عاشوراء مدرسة للتفأول وبناء الأمل ، وموعظة للمتقين ، ولا تجعلوا الأحزان تطغى عليكم ، أو المآسي تشكّل حياتكم ، فهذا هي الحياة فيها أشياء جميلة ، والإسلام ينتشر ، والخير في كل المعمورة ، وتمددت الحسنات في الآفاق .

إن عاشوراء هو يوم فرح وسرور بنصر الله **عَزَّوَجَلَّ** ، لكن المبتدعة جعلوا منه يوم حزن وبكاء وألم ، ليخالفوا بذلك سُنَّة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويشوهوا تاريخ الإسلام .

وهذا موسى - **عَلَيْهِ السَّلَام** - يُبْتَلَى من آل فرعون ، ويلاقي قومه بني إسرائيل المَلَاقِي ، وَيَصْطَلُونَ بالنكبات ، وتخالطهم كل مواد العنف والشدة ؛ **﴿ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾** (٤) .^(١)

ويقَيِّضُ الله لهم موسى **عَلَيْهِ السَّلَام** فيستنقذهم ، ويخرج بهم في القصة المشهورة ، حتى يصل ساحل البحر ، فيتبعه المجرمون ، يبغون النِّيل منهم ، فينجيهم الله ويغرق آل فرعون ؛ **﴿ فَلَمَّا تَرَأَّى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾** (٦١) **﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾** (٦٢) .^(٢)

هداه الله ، وذلل له طريقه ، وجعل له البحر يساً يمشي بلا خوف ولا تردد ، ثم أطبقه على القوم المعتدين ؛ **﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾** (٦٧) **﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾** (٦٨) .^(٣)

(١) سورة القصص ، الآية ٤ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات ٦١-٦٢ .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات ٦٧-٦٨ .

فتفاءلوا ولا تياسوا من روح الله، واجعلوا من موسم عاشوراء مصدرًا للنصر والسرور والانشراح، وأن اسوداد الحياة لن يطول، والبغي قصير، والكذب زائل، والمكر والخديعة في النار، وما ربك بغافل عما يعملون. ولذلك كان من حق هذا اليوم المجيد أن صامه موسى، وصامه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تخليدًا لتلك الذكرى، فقد صح في الحديث أنه لما وصل المدينة، وجد اليهود تصوم عاشوراء وتعظمه؛ فسألهم فقالوا: ذاك يوم نجى الله موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه، فقال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: «نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه»^(١). فصامه رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -، وأمر بصيامه. والسنة أن يصام يوم قبله أو بعده؛ مخالفة لليهود.

ومن أعظم دروس القصة: أن نعيش متفائلين منشرحين، فقدرة الله غالبية، ودينه منصور، ورسالته الخالدة، وذكره تصنع ذلك، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا. وكون المسلم يصومه كل سنة، فهو يجدد عنده الإيمان، ويبعث الأمل، ويشرح الفؤاد، وأن الحق سيتنصر، مهما كانت الظروف. قال - **عَزَّجَلَّ** -: **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ** **﴿٥١﴾** **﴿٢﴾**. والتفائل منهج نبوي معهود، يمر - عليه الصلاة والسلام - على آل ياسر، وهم في شدائد المحنة والتنكيل فيصبرهم: «صبرا آل ياسر فإن

(١) رواه البخاري، رقم: (٤٦٨٠)، ومسلم، رقم: (١١٣٠) واللفظ له.

(٢) سورة غافر، الآية ٥٠.

موعدكم الجنة»^(١).

والتفأول شعاع إيجابي يسري في الروح، فيجعلها سعيدة، فتنشط للتحرك والانطلاق. ولكن هذا التفأول، يسبقه إيمان بقطعيات الكتاب والسنة، وعقيدة راسخة تستعصي على الذوبان والانهار من عوادي الدهر ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٢). وفي رحلة الهجرة، يهمس في أذن أبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بعد الحالة التخويفية الحزينة التي اعترته ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣)، وفي الحديث المشهور: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(٤).

لا تحزن اليوم فالرحمن ناصرنا ومُظهر الحق، رغم الهون والتعب
تلك البصائر أنوار نُرتلها إن تنصروا الله ينصركم بلا عجب

وما ضاقت أبواب إلا فتح الله من الخير أضعافاً؛ فثقوا بالله ووعدته، واستعصموا بدينه، واذكروه على الدوام، واستعينوا به من الهم والحزن، والعجز والكسل، واعمروا بالحياة الحب والأدب ومكارم الأخلاق، وصدق الله ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٥).

(١) رواه الحاكم في المستدرک، رقم: (٥٦٤٦) وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه «والبیهقي في شعب الإيمان (١٥١٥) وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص: ١٥٤)

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٤) رواه البخاري، رقم: (٤٦٦٣) ومسلم، رقم: (٢٣٨١).

(٥) سورة فصلت، الآية ٣٤.

وذروا عنكم الغضب والاشمئزاز، وكثرة التشكي والضجر، فالرزق مكتوب، والأجل محدود، والحياة هيّنة، والآخرة هي الحقيقة المرتقبة ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٤) (١).

وقد تبلغها بذكر طيب، أو عمل صالح أو إحسان رطيب، ف «كل معروف صدقة»، وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « مَنْ قال سبحانَ الله العظيم وبحمده غُرِسَتْ لَهُ نخلةٌ في الجنة » (٢).

وفي حديث عظيم جميل يقول -عليه الصلاة والسلام-: عن الله عَزَّوَجَلَّ أنه قال: «ابن آدم اركع لي أربع ركعاتٍ من أولِ النهارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ». (٣)
فاللهم اكفنا شر البلاء والأنكاد والأحزان، واملاً قلوبنا بالتفاؤل المستمر والثقة بك يا ذا الجلال والإكرام.

التفاؤل والسعادة:

قليل من التفاؤل قد يصنع ألف طريق للسعادة .
إذا ركزت على التفاؤل والسعادة واليسير والشكر، فإن عقلك يتحفز للحصول على المزيد منها.

وعندما تركز على الألم والتشكي والخوف وصعوبة الحياة .. فإن عقلك

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٦٤ .

(٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٤٦٤) واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى، رقم: (١٠٦٦٣) باختلاف يسير وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٣٠٤) .

(٣) رواه الترمذي، رقم: (٤٧٥)، وأبو داود، رقم: (١٢٨٩) وأحمد، رقم: (٢٢٤٦٩) والنسائي في السنن الكبرى (٤٦٦) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٣١٣) وصحيح الجامع (٤٣٣٩) .

يشعر بالعجز عن التفكير فيما يسعدك ولا يرى إلا ما يجلب الهم والتعاسة..
لأنك أعطيت عقلك رسالة ، بأنه لن يجد غيرها ، لذا قليلاً من التفاؤل
قد يصنع ألف طريقاً للسعادة .

إذا أردت أن تعيش حياة مليئة بالفرح والرضى ، فما عليك إلا أن تجعل
التفاؤل والسعادة منهج وهدف تسير عليه، فبالتفاؤل تتحقق السعادة،
وبالسعادة يتحقق الرضى، فهما من أساسيات الحياة المثالية التي يتمناها
كل إنسان، لذلك نورد لكم هنا أجمل وأروع الكلمات التي تدل على
السعادة والتفاؤل وبعض العبارات عن الأمل: إذا كان الأمل ضاع،
فبين يديك اليوم وإذا كان اليوم سوف يجمع أوراقه ويرحل فلديك الغد،
لا تحزن على الأمل فهو لن يعود ولا تأسف على اليوم فهو راحل واحلم
بشمس مضيئة في غد جميل. لولا التفاؤل والأمل في الغد لما عاش المظلوم
حتى اليوم. إن السعداء بالدنيا غداً، هم الهاربون منها اليوم. إذا نظرت
بعين التفاؤل إلى الوجود، لرأيت الجمال شائعاً في كل ذراته.

لو كانت السعادة تعني الحياة بلا قلق، لكان المجانين هم أسعد الناس.
قد يتحول كل شيء ضدك ويبقى الله معك، فكن مع الله يكن كل شيء
معك. الناس تبحث عن السعادة، أما السعادة فتبحث عن يستحقها.
التفاؤل هي تلك النافذة الصغيرة، التي مهما صغر حجمها، إلا أنها
تفتح آفاقاً واسعة في الحياة.

إننا نبحت عن السعادة غالباً وهي قريبة منا كما نبحت في كثير من
الأحيان عن النظارة وهي فوق عيوننا.

لا أحد يستطيع العودة إلى الوراء ويبدأ بداية جديدة، لكن أي شخص يستطيع أن يبدأ من الآن ويصنع حياة جديدة.

إذا كانت سعادة الإنسان مرهونة بوجود شخص معين، أو بامتلاك شيء محدد فما هي بسعادة، أمّا إذا عرف الإنسان كيف يقف وحده في موقف عصيب، مؤدياً ما يجب عليه من عمل بكل ما في قلبه من حب وإخلاص فهذا الإنسان قد وجد إلى السعادة سبيلاً.

يرى المتشائم الصعوبة في كل فرصة، أما المتفائل فيرى الفرصة في كل صعوبة .

إن أحببت أن تكون أسعد الناس بما عملت فأعمل. لا تحاول البحث عن حلم خذلك وحاول أن تجعل من حالة الانكسار بداية حلم جديد. لقد وجدت أن نصيب الإنسان من السعادة يتوقف غالباً على رغبته الصادقة في أن يكون سعيداً.

لا تنتظر حبیباً باعك ولكن انتظر من يضيء لك الحياة من جديد. كل شيء ينقص إذا قسمناه على اثنين، إلا السعادة فإنّها تزيد.

لا تضع كل أحلامك في شخص واحد، ولا تجعل رحلة عمرك كلها لشخص واحد تحبه مهما كانت صفاته، ولا تعتقد أن نهاية الأشياء هي نهاية العالم فليس الكون هو ما ترى عيناك.

التعساء يتخيلون مشاكل لا حقيقة لها، ويناطحون مع أعداء لا وجود لهم، بينما السعداء يتعاملون مع المشاكل الموجودة وكأنهم من عالم الخيال، ومع الأعداء وكأنهم محايدون.

لا تحزن إذا غدرك أقرب الناس إليك، فسوف تجد من يخرجك من الحزن ويعيد لك الحياة والابتسامة، تتوقف السعادة على ما تستطيع إعطائه، لا على ما تستطيع الحصول عليه.

لا تيأس إذا تعثرت أقدامك وسقطت في حفرة واسعة، فسوف تخرج منها وأنت أكثر تماسكاً وقوة والله مع الصابرين.
عروس السعادة لا تُزف إلا إلى من يدفع مهرها من كد يمينه وعرق جبينه .

إذا أردت أن تسعد رجلاً فلا تعمل على زيادة ثروته، ولكن حاول أن تقلل من رغباته.

لا تجعل الحزن عنوان يومك حزينة، لا تيأس عند حدوث مشكلة أو عارض في حياتك، فثق تماماً بزواله عند تفاؤلك وهدوء أنفاسك وعند لجؤك إلى خالقك.

أنت لا تحتاج إلى البحث عن السعادة، فهي ستأتيك حينما تكون قد هيأت لها موقعا في قلبك. التفت إلى ما حولك وانظر له بنظرة مشرقة ومتفائلة، حتماً ستجد الجمال والرضى والسعادة.

لا تقلق بشأن صغائر الأمور، فكل الأمور صغائر؛

ما أجمل الحياة عندما ننظر لها بجانب مشرق، وما أجمل شعاع الشمس عندما تشرق أشعته الذهبية بالتفاؤل.

نشأ وفي اعتقادنا أن السعادة في الأخذ، ثم نكتشف أنها في العطاء.
السعادة لا تُباع ولا تُشترى، السعادة مفتاح الحياة الجميلة، فلنؤمن

بأقدارنا، ولنؤمن بأرزاقنا، فحياتنا ملك لنا بأيدينا نجعلها شقية حزينة، وبأيدينا نجعلها سعيدة عفيه.

ابتسم في وجه صغير، ولتستمد من عينيه السعادة، أربط على يد طفل يتيم أحنو عليه بدون تكبر ولا إظهار شفقة، وسترى في عينيه كل الحب وكل السعادة، ساعد امرأة نال العجز منها في عبور الطريق، أو الصعود في المواصلات وعندما تدعو لك دعوة من قلبها ستشعر حتما وقتها بالسعادة.

قل يا رب يا مفرج الهموم والكروب وأدعى لأخيك ولكل مسلم عن ظهر قلب حتماً ستشعر وقتها بالسعادة.

سعادة الناس في أن يستريحوا، وراحتهم في أن يعملوا.

السعادة فيك وأنت تبحث عنها في الناس، والحلول عندك وأنت تبحث عنها عند الآخرين.

السعادة كالشمس، كلما تقدمنا منها ألقى بظل متاعبها خلفنا.

السعادة أن تملك ضميراً نقياً، يلتقط ما يسعدك ليس في هذه الحياة فحسب بل وفيما بعدها أيضاً. إذا أسعدت نفسك أسعدت من حولك. سعادتك في ذاكرتك، وذاكرتك في ذكرياتك، فاجعلها جميلة تعش سعيداً.

الحياة باختصار شروق شمس وغروبها، فما أجمل أن تجعل الشروق للبسمة والعمل والغروب للراحة والهدوء.

السعادة هي الاستمتاع بما تجده مع البحث عما لا تجده، أما الشقاء فهو البحث عما لا تجده، من دون الاستمتاع بما تجده.

نحن لا نصنع التفاؤل فحسب بل نصنع الإنسانية وبنينا الحضارة والمجد.

تذكر لحظات فرحك في ساعة الكارثة حتى لا تيأس، وتذكر ساعات شقائك في لحظات الفرح حتى لا تغتر.

إذا أفلت شمس يومك وحلّ الظلام، فلا تنس أن تشعل شمسك الداخلية.

كل شيء في الحياة يتبدد ويزول إلاّ النور فإنه يسعى ليتعرف على جمال الحياة.

شيان في حياتك لا ثالث لهما، إمّا أن تكون متفائلاً دوماً، وإمّا أن تكون متشائماً لك الخيار.

في العبادة سعادة، فالتفائل هو الشخص الوحيد الذي يعيش في كل مكان سعيداً.

كن قانعاً بما عندك وراضياً عن ما أنت عليه، وأنظر إلى من هو أقل منك في النعم، ومن هو أكثر منك في البلاء، وبذلك تنعم بالسعادة والهناء.

الشدة أكبر باب تلجأ فيه إلى طريق السعادة.

كن سعيداً وأنت في الطريق إلى السعادة، فالسعادة الحقيقية هي في المحاولة وليست في محطة الوصول.

في أفق الحياة آمال وآلام ومن بينها تولد عصافير الجمال.

عش في حدود يومك فلا الماضي بآلامه وأفراحه يعيد لك البسمة أو

الدمعة، ولا المستقبل في جفوته أو بسمته يسعدك فاسعد في لحظتك الآن.
ليست السعادة أن لا تمر بالآلام، وأن لا تواجه الصعاب، بل السعادة
أن تحفظ على رباطة جأشك وهدوء أعصابك، وتفاؤل قلبك وأنت تواجه
الصعاب والآلام.

صديقي أنا لست مسؤولاً عن إضفاء السعادة للآخرين أنت من تسعد
نفسك أو تشقيها.

أفضل حالات السعادة هي ما تنسجم مع عقلك وقلبك وجوارحك.
التغيير لا يبدأ من الداخل فحسب، إنما يبدأ من القناعة وقوة الإرادة.
كن قنوعاً بما عندك تكن سعيداً.

إذا كنت لا تستطيع أن تتفائل في حياتك وتحسن الظن بربك، فأرجوك
لا تكن إنساناً.

من كان ينتظر الحصول على كل شيء ليصبح سعيداً، لن يحصل على
السعادة في أي شيء. هنالك صفات كثيرة تأتي ضد السعادة، وعلى رأسها
تقف الأنانية وحب الذات.

كل يوم يشرق الإنسان بوجه جديد وفكر جديد وعقل جديد فلم
يجزن إذن.

السعادة لا تهبط عليك من السماء، بل أنت من يزرعها في الأرض.
سافر في كل مكان فلن تجد سفيراً هائلاً كسفرك إلى نفسك.
التفائل والاستبشار من علامات اليقين برب العالمين.

التفاؤل: هو الإيمان الذي يؤدي إلى الإنجاز، لا يمكن إنجاز شيء دون الأمل والثقة.

التفاؤل بالحياة واليقين بأن الأيام الجميلة قادمة، يزيدك ثقة بنفسك، فافتح قلبك واقرب من كل شيء يجعلك ترى الحياة جميلة، ومُفعمه بالأمل.

في التفاؤل بأقدار الله، واليقين في أن الأيام تُخبئ لك ما هو أجمل وأكمل، سرٌ عظيم لا يعلمه إلا من كان قلبه يعرف بأن الله أكرم وأكثر جوداً مما يعتقد ويتخيل، اصبر على ما أصابك واعلم أن فيه من الخير والحكمة فوق ما يستوعبه تفكيرك الإنساني البسيط، تأمل الخير دائماً وتوكل على الله.

اليأس محطم للآمال ومثبط للعزائم، وهو حالة نفسية تعترى الإنسان تحت شدة الفتن والمحن، وكثرة الابتلاء، وتسلب الأعداء والظالمين، وقد يصل اليأس بصاحبه إلى القنوط وانقطاع الأمل، وفي ذلك سوء ظن بالله عزَّجَل، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) (١).

سيأتي ما يُفرح قلوبنا، ليس رجماً بالغيب، ولكن ثقةً برب رحيم، فلا يعقب الأحزان إلا سعادة، ولا يعقب الوجدع إلا راحة، كما لا يعقب الظلم إلا عدالة السماء، ولا يعقب الانكسار إلا جبر الخواطر.. هذا يقيني الذي لا يتزعزع برب العالمين الذي يحنو تَبَارَكَ وَتَعَالَى على عباده، ويهيئ لهم مداخل الفرح والسرور والسعادة رغم أي ملهات تحل بهم.

ومن هنا، وجب على الإنسان دائماً أن يتوقع الخير والتوفيق في أموره،
(١) سورة يوسف، الآية ٨٧.

وأن يلزم التفأول، فهذا باب من أبواب التوكل على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وإحسان الظن به، كما أن التشاؤم من أخلاق الجاهلية، وفيه ما فيه من إساءة الظن بالله **جَلَّ وَعَلَا**.

وقد جاء هذا المعنى في قول رسولنا الكريم - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - من حديث أنس: « والطيبة على من تطير^(١) »، والطيبة في الإسلام معناها التشاؤم. يقول ابن القيم الجوزية - **رَحْمَةُ اللَّهِ** - في تعليقه على هذا الحديث في كتاب مفتاح دار السعادة ما يلي: (وقد يجعل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تطير العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه به، كما يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به، وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به.. وكل من خاف شيئاً غير الله سُلط عليه، كما أن من أحب مع الله غيره عُدب به، ومن رجا مع الله غيره خُذل من جهته، وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها)^(٢)

و من تفاعل بالخير يجده بأمر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فقد كان النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يحب الفأل الحسن، ويكره التشاؤم والطيبة، فعن صهيب - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٣).

فالتفأول إذا هو الذي يبعث بالنفس الأمل ويحفز على الإيجابية والعمل،

(١) تقدم تخريجه صفحة ١٤٣ .

(٢) مفتاح دار السعادة (٢ / ٢٥٦) .

(٣) تقدم تخريجه صفحة ١٤٣ .

ومن الأحاديث التي تدعم التفاؤل قول الرسول الكريم - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - : « يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنْفِرُوا » ^(١) كما قال - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قبيل موته بثلاثة أيام بحسب رواية جابر بن عبد الله: « لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحَسِّنُ الظن بالله » ^(٢) . وهذه من أجل الصور في محبة الله والثقة به وحسن التوكل عليه.

والتأمل في آيات القرآن الكريم يجدها تبث النور والأمل والبشر والتفاؤل في نفس قارئها، وتدعوه إلى انتظار الفرج، وتُعينه على الصبر أثناء رحلة الحياة بذكر جزاء ومكانة الصابرين، ومن هذه الآيات الكريمة قوله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ^(٣) .

وكذلك قوله - **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** - : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ^(١٧٣) **فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** ^(١٧٤) ^(٤) .

وأيضاً قوله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ ^(٨٣) **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ** ﴾ ^(٨٤) ^(٥) .

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٩) ومسلم، رقم: (١٧٣٤) .

(٢) رواه مسلم، رقم: (٢٨٧٧) .

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٤ .

(٤) سورة آل عمران، الآيات ١٧٣-١٧٤ .

(٥) سورة الأنبياء، الآيات ٨٣-٨٤ .

وكذلك قول الحق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ (١).

وأخيراً.. إن لطف الله يجري، وعبده لا يدري. يأت بها الله، وإن كانت مخبأة، فالصبر باب لها، والفتاح هو الله. اللهم دبر لنا المستقبل الذي نجهله، ويسر الغد الذي يقلقنا، وقرب الحلم الذي نرقبه، وهب لنا أملاً يملأ قلوبنا، وتول اللهم أمرنا.

كيف تزرع التفأول بحياتك؟

يسيطر التشاؤم على حياة الكثير من الناس عندما يواجهون مصاعب الحياة المختلفة وتحدياتها، وتراهم يقفون في محطات كثيرة من محطات الحياة ليسيطر عليهم التشاؤم، فترى عزيمتهم قد فترت، وقواهم قد ضعفت، وسيطر اليأس على قلوبهم ونفوسهم، وإن علاج ذلك التشاؤم يكون بعلاج أسبابه، وبزرع روح التفأول في حياة الإنسان، فالتفأول هو نقيض التشاؤم، فهو الحالة التي تجعل من الإنسان شخصاً محباً للحياة، يتطلع إليها من منظور إيجابي، ولا يرى الفشل في الحياة، ولكنه دائماً يرى الأمل والنجاح مهما خفت نوره، فكيف للإنسان أن يزرع التفأول في حياته حتى لا يجد التشاؤم حالة من الفراغ في قلبه فيستولي عليه، ولا شك بأن لزرع التفأول في نفس الإنسان أساليب تنطلق من إرادة الإنسان في الحياة نذكر منها:

أن ينطلق الإنسان في صباح كل يوم وهو مفعمٌ بالحيوية والنشاط، وأن لا يجعل روح التشاؤم تسيطر عليه، بل يمد نفسه بروح التفأول فتكون

خير قوة له وزاد لتحقيق طموحاته وتطلعاته، وإذا واجهته الصّعاب فلا يستسلم لذلك لعلمه بأنّ هذا من سنّة الحياة، وأنّ الحياة تستدعي من الإنسان الصّبر في أحيان كثيرة، كما أنّ بعض المواقف قد تستدعي قوّة النفس وإرادتها لمواجهةها .

ومن الأمور التي تجعل الإنسان أكثر تفاؤلاً بالحياة أن يعيش سلاماً داخلياً مع نفسه، فمن تصالح مع نفسه قبل أن يتصالح مع النّاس سرت روح التّفاؤل في جسده وقلبه، فتراه إذا خرج من بيته وواجهته مصيبةٌ أو مشكلة قال بلسان المتفائل لعلّه خير، وهو بذلك يعبر عن التّصالح والسّلام الدّاخلي الذي يعيشه في قلبه، كما يعبر عن الإيمان بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** الذي بين حقيقة هذه الحياة الدّنيا، وأنّه سوف يكون فيها ابتلاءات ومنغّصات، وأنّ الصّبر على ذلك كلّه ممّا يعين الإنسان على تجاوز تلك الابتلاءات .

وأخيراً على من يريد أن يزرع التّفاؤل في حياته أن يتعد عن الكلمات السّلبية التي تزرع التّشاؤم في القلب وقد يتداولها الكثير من النّاس مثل كلمة مستحيل، ولا يمكن، لن يحدث ذلك، ولن أرى خيراً، بل يعود نفسه على سماع الكلمات التي تحمل البشري والتّفاؤل للنفس، والتي تكون دافعاً للبذل والعطاء في هذه الحياة.

التفاؤل ما تزرعه بعقلك تحصده في حياتك!

أكدت رهف تسابحي خبيرة التنمية البشرية في حديث لنشرة سانا الشبابية أن منظمة الصحة العالمية عرفت التفاؤل على أنه عملية نفسية إرادية تولد أفكار الرضا والأمل والثقة وتبعد مشاعر اليأس والانهمامية والعجز وهو يولد بالفطرة عند الإنسان فالأطفال يولدون مفعمين

بالتفاؤل بطاقة الحياة الإيجابية الموجهة للنماء ويتعلمون التفاؤل أو التشاؤم من خلال علاقتهم بوالديهم خاصة الأم فإما أن تتأصل فيهم هذه الفطرة وتقوى وإما أن تتكس وتضعف.

التفاؤل بالله رسالة من رسائل الأمل للقلب والروح والعقل رسالة تدعونا للحياة شعلة تبقى مضيئة داخل كل إنسان .

التفاؤل وقود الحياة:

ابتسموا وافتحوا أبواب الأمل وانثروا عير التفاؤل، واملوا قلوبكم بالمحبة، تنفسوا الحياة حباً ورضاً فلا شيء أجمل من قلوب باتت راضية وأصبحت متفائلة ومبتسمة، رضيت بما كتب لها واستمرت في الحياة بكل تفاؤل ويقين وطمأنينة.

قال نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام متفائلاً بالخير : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۚ ﴾^(١) ، من يُحسِن الظن بالله؛ وهو على يقين بذلك؛ يشم رائحة العطاء والكرم من الله رغم بُعد المسافات، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الفأل الحسن الكلمة الطيبة، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(٢) فربّ كلمة طيبة لا تلقون لها بالاً، أيقظت أملاً في نفوس غيركم، وأنتم لا تدرون فلا تحتقروا من الطيبات شيئاً.

فنحن نعيش بين يسر وعسر، وكلاهما نعمة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ففي اليسر يكون الشكر، يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾^(٣) .

(١) سورة يوسف ، الآية ٩٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٨٤ .

(٣) سورة ال عمران ، الآية ١٤٤ .

وفي العسر يكون الصبر، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١) وكلما اتسعت مساحة التفاؤل في أعينكم، رأيتم نعيماً لا يبصره إلا من أحسن ظنه بالله.

فمارسوا التفاؤل والأمل لتتقنوا راحة البال، وكونوا لمن حولكم كالسحابة إن لم تمطر غيثاً أمطرت تفاعلاً وأملاً.

سيأتيك الذي تَرْجوه يوماً فلا تعجلْ عليه وإن تأخر
ولا تجزعْ وقُلْ يا نفسُ صبراً فرحمَنُ السَّماِ قُضى وقدر
سيلطفُ بالقلوبِ ويحتويها فلا تعجلْ عليه وإن تأخر

والتفاؤل والأمل بالله عبادة عظيمة:

فحلّقوا في عالم التفاؤل والأمل، وثقوا بالله في كل خطوة تخطونها، وستجدون النتائج والثمرات الجميلة والرائعة، ففي الحديث: الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عند ظن عبده به، فإن ظن خيراً فله ذلك، وإن ظن غير ذلك فله ذلك، التفاؤل لا يعني أنكم لن تفشلوا، لن تمرضوا، لن تتعبوا، لن تبكوا، لن تحزنوا، التفاؤل يعني أن تملكوا الرضى عن كل أقدار الله، وتعيشوا حامدين شاكرين لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الحزن لا يردُّ مفقوداً، ولا يبعث ميتاً، ولا يردُّ قدراً ولا يجلب نفعا، بل ربما يجعل منك ميتاً على قيد الحياة، فتناسوا الحزن وأسعدوا أنفسكم، السعادة لا تحتاج إلى إمكانيات كبيرة؛ وإنما تحتاج إلى نفس متعلقة بالله وراضية وقنوعة.

فعيشوا على التفاؤل، واغرسوا الأمل، حتى تفوزوا بحسن ظنكم بربكم، وتكسبوا الخير العظيم، وكلما اتسعت مساحة التفاؤل في أعينكم، اتسعت مساحة السعادة في حياتكم وعشتم النعيم الكبير.

أطمئنوا فأنتم تملكون الكثير، الدنيا حين تضيق بكم من جانب فإن الله يُوسّعها لكم من جانب آخر؛ فلا تيأسوا تشبثوا بخيوط الأمل مهما ازداد حجم الألم، فإنّ مع العسر يسراً.

كلمة الحمد لله وحدها قادرة على أن تجعل في قلوبنا رضا كامل عن كل شيء في حياتنا، فلك الحمد يا رب على كل شيء.

وإذا وقعتُم في مشكلة فابحثوا عن حلها، وإذا شعرتُم بمرض فتظاهروا بالعافية، وإذا مررتُم بعسر فتأملوا اليسر، وجهوا تفكيركم وعقولكم دائماً نحو الإيجابية والتفاؤل.

بالرضا تحلو الحياة، وبالاتسامة تهون المشكلات، وبحسن الظن بالله تتحقق المستحيلات.

لنبحث عن قيمة الأشياء ولا يغرنّا ثمنها، الذهب غال جداً ولكن نعيش دونه، الماء لا ثمن له ولا نستطيع العيش دونه.

لن تستطيعوا تبديل الماضي لذلك ركّزوا على صنع مستقبل عظيم، وإذا لم تستطيعوا أن تعيشوا التفاؤل وتمنحوه غيركم، فلا تجبروا من حولكم أن يعيشوا إحباطاتكم.

لم تكن الحياة سيئة يوماً، بل نحن من أسأنا التعامل معها، فالصلاة والدعاء، والأهل، والأصدقاء أربعة أشياء كفيلة بإسعادنا.

وحين تعتقدوا أن حلمكم مستحيل تحقيقه فسوف يصبح مستحيلاً، أما حين تؤمنوا أن حلمكم قابل للتحقيق فإنكم تصبحون أكثر قدرة وتصميماً على تحقيقه.

عيشوا حياتكم وأسعدوا أنفسكم واستمتعوا بوقتكم؛ فهناك أشياء حلها عند الله، فلا ترهقوا أنفسكم بالتفكير فيها والله عنده حسن التدبير. وتذكروا دائماً أن الحياة واسعة جداً، لكن يضيّقها الإنسان على نفسه عندما يظن أن سعادته مُرتبطة بأشياء مُعيّنة، غير مكانك قليلاً لترى النور من مكان آخر، وتفاؤل بكل خير، فالتفاؤل وقود الحياة.

التفاؤل والأمل في الاسلام:

إن الإسلام هو دين التفاؤل، هو دين الظن الحسن بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، دين الطموح، دين الأمل، دين الفرح، دين الرضا، دين من أكرمه الله به انتظر الخير وتوقع الخير من رب الخير **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** القرآن اهتم ودعا إلى وجوب التحلي بروح الأمل وجعله الله من علامات الايمان الصحيح، الأمل مهم لحياة الناس جميعاً فلولا الأمل ما نجح أحد ولا تقدم أحد وما قام بناء آيات قرآنية تبعث على الأمل يقول الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ (١).

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) (١).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) (٢).

ويقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧) (٣).

ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) (٤).

وَقَالَ نَبِيُّنَا: ﴿وَأَسْمِعِيْلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَنِاتٍ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٢) سورة الأنعام، الآيات ١٧ - ١٨.

(٣) سورة يونس، الآية ١٠٧.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٨٣ - ٨٤.

خَشِيعِينَ ﴿١٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُونِ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾ .

ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا
أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٢﴾ .

ويقول المولى جَلَّ وَعَلَا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ
اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ
مَثَابٍ ﴿٢٩﴾ ﴿٣﴾ .

ويقول الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ
الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا
وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴿٤﴾ .

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٥﴾ .

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بُئْسَ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضُ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ
مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا
وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿٦﴾ .

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٨٥ - ٩٢ .

(٢) سور الحج ، الآية ٣٥ .

(٣) سورة الرعد ، الآيات ٢٨ - ٢٩ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآيات ٥٨ - ٥٩ .

(٥) سورة الزمر ، الآية ١٠ .

(٦) سورة ص ، الآية ٤١ - ٤٤ .

ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي (٢٩) وَأَدْخِلِي جَنِّي (٣٠)﴾ (١)، ومن هنا فقد اهتم القرآن بروح الأمل ودعا إلى وجوب التحلي به وجعله الله علامة من علامات الايمان الصحيح، وجعله علامة قوية لثقة الانسان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وحسن توكله عليه وتفويض كل أوامره له جل علاه، وهذه حقيقة لا مرية فيها، لأن الحركة والسكون بيده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإذا ادرك الإنسان هذه المعاني عاش مطمئناً مرتاحاً متوكلاً على الله مؤملاً كل الخير فيه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، واثقاً أن يومه سعيداً وغداه أسعد.

دور الأمل في حياة الانسان:

يدفع الأمل صاحبه الى الابداع والبناء يجعل حياته غاية بمعنى هادفة، ويجعل الأمل شخصية الانسان سليمة لا خلل ولا صراعات فيها، وبالأمل تتجدد ثقة الانسان بخالقه ثم تزداد ثقته بنفسه وهكذا يتسلح بالصبر والايان، ويندفع الى الارتقاء بنفسه، والتشبث بالأمل هو الراحة النفسية والشعور بالسعادة.

إن الأمل في الحياة، يزرع في النفس الامن والطمأنينة، والتطلع الى حياة أفضل خالية من الامراض والأحزان والمصائب والحرمان، ويتحقق العدل الإلهي المطلق، وبالأمل ينطلق الإنسان إلى السعي على عيشه وكسبه فلا يقصر في عمله، ولا يتهاون في القيام بواجبه، وبالأمل لا يمني أحد الموت لضر نزل به، بل يأمل أشد الناس مرضاً أن الشفاء العاجل التام قادم قائم بإذن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)﴾ (٢).

(١) سورة الفجر، الآية ٢٧ - ٣٠.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٨٠.

وبالجملة فالأمل مهم لحياة الناس جميعاً فلولا الأمل ما نجح أحد، ولا تقدم أحد، وما قام بناء، فالأمل بالنسبة للإنسان كالماء بالنسبة للسماك، وكالوقود بالنسبة للمركبات، فلنعش بالأمل ولنحيا بالأمل.

التفاؤل والإيمان:

مهما تكاثرت البلايا، مهما تزاومت النوازل، مهما تتابعت العقبات، المؤمن لا يسمح لنوائب الدهر أن تأخذه إلى اليأس، ليس في القرآن الكريم آية واحدة تشتم منها رائحة اليأس من روح الله، أو تجد منها رائحة القنوط من رحمة الله، مهما كانت العراقيل والمعوقات، لن تجد في القرآن الكريم آية واحدة تفهم منها أنها دعوة إلى الإحباط أو التشاؤم... في حين تجد قول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لَبْنِيهِ ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١) وفي نفس السياق يأتيك قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٢).

ولرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضائق فلما استحسنت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تُفرجُ

الإسلام يربي الناس على الأمل في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

(١) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٢) سورة الحجر، الآية ٥٦.

(٣) سورة الزمر، الآية ٨٣.

التفأول : هو ثمرة الإيمان : التفأول هو نتيجة الإيمان بأن الله عز وجل بيده مقاليد كل شيء ، وأن كل صغير أو كبير وقع أو سوف يقع في هذه الدنيا إنما أرادته الله سبحانه وتعالى ، وقدّره تقديراً ، وسمح به ، وكل شيء أرادته الله وسمح به إن لم يكن وقع فسوف يقع ، وإرادة الله تبارك وتعالى تتعلق بالحكمة البالغة لله رب العالمين ، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، لا يوجد بالكون شر مطلق أبداً ، هناك شر موظف للخير ، شر يتبعه خير ، وأمل يولد من رحم ألم ، ومنحة تولد من رحم محن .. قال تبارك وتعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۚ وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

القرآن الكريم : دعا في عموم الآيات البينات إلى التفأول ، إلى الاستبشار ، دعا القرآن الكريم إلى التعلق بالأمل مهما كانت الأحوال سيئة ... قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٢) ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥) ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (٣٤) ، ما بعث الله نبياً إلا وبعثه للناس مبشراً ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ (٥) ، وما أرسل الله رسولا إلا أرسله للناس مبشراً قال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ (٦) .

(١) سورة القصص ، الآية ٥ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١١٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٥٥ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٣٤ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ٢١٣ .

(٦) سورة الكهف ، الآية ٥٦ .

وقالت الملائكة لمريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ ﴿ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ ﴾** ^(١).

وقالت الملائكة لزكريا - **عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿ إِنَّا نَبْشُرُكَ ﴾** ^(٢).

وقال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في شأن إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾** ^(٣)،
وفي موضع ثان قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾** ^(٤) ، وفي
موضع آخر قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾** ^(٥).

فالإسلام دين التفاؤل، الإسلام دين الظن الحسن بالله رب العالمين ،
الإسلام دين الطموح، دين الأمل، دين البشر، دين توقع الخير من الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، دين ينادي في آذان العالمين أن الأمور كلها بيد الله وحده، ولا
أحد يبدل ولا أحد يغير إلا الله، رفعت الأقلام وجفت الصحف على ذلك.

وكم أمرٌ تُساء به صباحاً وتأتيك المسرة بالعشيِّ
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الفرد العليِّ

قال النبي عليه الصلاة والسلام: « لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحْسِنُ
الظن بالله **عَزَّ وَجَلَّ** » ^(٦).

أيها الإخوة الكرام: من حياة النبي عليه الصلاة والسلام نضرب
المثل في البشر والتفاؤل وحضور الأمل: النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مرّ في دعوته

(١) سورة آل عمران ، الآية ٤٥ .

(٢) سورة مريم ، الآية ٧ .

(٣) سورة الحجر ، الآية ٥٣ .

(٤) سورة الصافات ، الآية ١٠١ .

(٥) سورة الصافات، الآية: ١١٢ .

(٦) (رواه مسلم (٢٨٧٧) .

بظروف عصبية قاسية ، ورغمما عن ذلك لم يغب التفأول عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** طرفة عين.

نظروا فرأوه ساجداً عند الكعبة، فقال شقي من ذا الذي يأتي بسلا جزور بني فلان فيجعله على ظهر محمد وهو ساجد ؟.

فقال عدو الله عقبة بن أبي معيط: أنا آتيكم به فذهب فجاء بسلا الجزور فجعله على ظهر النبي عليه الصلاة والسلام فجاءت فاطمة بنت رسول الله تزيح النجاسة عن ظهر النبي عليه الصلاة والسلام وهى تبكي وهو يبشرها ويقول يا بنية لا تحزني لا تجزعي إن الله مانع أباك ^(١).

وفي حادث الهجرة كان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إنسان ملاحق ، وضعت مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، وتبعه سراقة بن مالك ، طمع سراقة بمائة ناقة ، أراد أن يقتل محمداً صلى الله وسلم على نبينا محمد ، أراد سراقة أن يقتله ليأخذ هذه المكافأة الكبيرة ، تعثرت به الفرس ، فنادى رسول الله ونادى أبابكر وكان بينهما كلام ، في نهاية اللقاء قال ذلك الملاحق المطارد في ذلك الوقت : قال النبي عليه الصلاة والسلام يا سراقة كيف بك إن لبست سوارى كسرى ؟! إنسان ملاحق مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، ورغم ذلك يقول لمن أدركه في الطريق : يا سراقة كيف بك إن لبست سوارى كسرى ^(٢) ؟ ، المعنى : أنني على يقين أنني سأصل المدينة سالماً ، وسأنشئ بالمدينة دولة ، وسأعد جيشاً ، وسأحارب أكبر دولتين في العالم ، وسأنتصر عليهما بإذن الله ، وسوف تأتيني غنائم كسرى ملك الفرس إلى المدينة ، ولك يا سراقة سوار كسرى ..

(١) رواه البخاري، رقم: (٢٤٠).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: (١٣٠٣٣).

وهذا وقع في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جاءت الغنائم من بلاد الفرس ، وقف صحابيان جليان كل صحابي في جهة ورفع كل منهما رمح أقصى ما يستطيع ، فلم ير الأول رمح الثاني ، خير واسع ، وأموال كثيرة ، وغنائم كبيرة .

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إن الذي أدى هذا كله لأمين ، فقال له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أعجبت من أمانتهم يا أمير المؤمنين ؟! «لقد عفت ففعوا ولو رتعت لرتعوا» .

والمعنى أن الرأس إن استقام استقام كل من تحته : «لقد عفت ففعوا ولو رتعت لرتعوا» التفاؤل : أن ترى أن يد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هي اليد الوحيدة العاملة في هذا العالم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له في تدبير شؤون عباده ، الأمر كله بيد الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

هب أخي : أن وحوشاً كاسرة ، وحوشاً جائعة وحوشاً مسعورة مفترسة .. لكنها مربوطة ومقيدة بسلاسل وأغلال والسلاسل والأغلال موضوعة بيد مالك لها حكيم عليم قادر عادل ترى مع من تكون علاقتي مع الوحوش أم مع الحكيم العليم العادل القادر الذي يملكها ؟ طبعاً علاقتي مع من يملكها لذلك سيدنا هود عَلَيْهِ السَّلَام : ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) (١) .

ليس هناك حركة في هذا العالم إلا بمشيئة الله : أخذ يوسف عَلَيْهِ السَّلَام من أبيه بـ (الحيلة) ثم جرد من ملابسه وألقى في الحب وتم (بيعه) بثمن بخس على أنه عبد ، وغيب يوسف عن أبيه لعشرات السنين ، ثم تبعه أخوه

بنيامين (تم احتجازه بمصر) بتهمة أنه سرق ورغم ذلك لم يفقد يعقوب الأمل ولم ييأس من رحمة الله لحظة واحدة .. ﴿ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ (٨١) وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُنِي عَلَى يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ (١) .

ثم إن الآيات تمضي حتى تأتي إلى وقت بلوغ الأمل .. ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ (٢) .

الإنسان المتفائل:

الإنسان حُسن الظن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، الإنسان الذي ملأ قلبه آملا في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وملأ يده عملا ، هو أحد الذين يدخلون الجنة يوم القيامة بلا سابقة حساب ولا عذاب ، قال النبي عليه الصلاة والسلام «عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ

(١) سورة يوسف ، الآيات ٨١-٨٦ .

(٢) سورة يوسف ، الآيات ٩٤-٩٦ .

عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

قال ابن عباس راوي هذا الحديث : ثم دخل رسول الله ﷺ ولم يبين لهم فأفاض القوم في (أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب) من هم ؟ فقالوا نحن الذين آمنّا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنّا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال (هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن أمنهم أنا يا رسول الله قال نعم فقام آخر فقال أمنهم أنا قال سبقك بها عكاشة) (١).

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يُقر أعيننا بنصرة الإسلام والمسلمين وأن يعلى بفضله كلمة الحق والدين، إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير .

في ظل الأحداث الجارية ، وما تقاسيه الأمة هذه الأيام من التنكيل بها ومن الاستخفاف بها أصبح مخاضها عسير ووضعتها صعب وفي ظل هذا الحال أود أن أقول: إن خلاص الأمة مما تعانيه يكمن في كلمتين اثنتين من القرآن الكريم: ﴿وَأِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (٢)، النصر يأتي بالصبر ، لكن لا بد مع الصبر من عمل ولا بد للعمل أن يكون صالحاً خالصاً لله رب العالمين ، الصبر مع المعصية ما بعده إلا القبر ، الصبر مع المخالفة ما جزاؤه إلا الهزيمة ، لكن الصبر مع الطاعة بعده النصر ﴿وَأِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ نحن الآن كأمة

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ له.

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٢٠.

عربية وإسلامية في مصيبة ، لكن علينا أن نفهم ما نحن فيه حتى لا تصبح المصيبة مصيبتين ، قد يكون للمصائب جانباً إيجابياً ، قد يكون للمصيبة هدفاً تربوياً ، هو أن نتبه لأنفسنا ، هو أن نعلم العدو من الصديق ، نحن أمام عدو غادر ، عدو غاشم ، عدو مغتصب خائن ، هو لا يعاملنا كبشر ، إنما يعاملنا كعرب ، هو لا يرانا أصلاً ، هو لا يريد إلا إذلالنا والخط من شأننا ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

عدونا جهول لا يعرف شيئاً عن المروءة ، ولا يعرف عن الشهامة شيئاً ، ولا يؤمن بالأخلاق ، وهو مع كل ذلك عدو ذكي وقوي وغني ، فلا بد في التعامل معه من قدر كبير من الإيمان ، وبقدر مماثل من الذكاء والغنى والقوة والدهاء حتى نفسد عليه مكره وخداعه وفساد نيته ، ﴿ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١١٨) هَاتِسْتُمْ أَوْلَاءَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١١٩) (٢) .

من الأهداف الإيجابية لمصيبة الأمة هذه الأيام أن نعود إلى ديننا ، إلى طاعة ربنا ، فنحن بحاجة لأن نجدد الإيمان في قلوبنا ، نحن بحاجة لأن نطهر قلوبنا ، وننقي سرائرنا ، ونلملم شتاتنا ، ونأخذ بجميع أسباب

(١) سورة آل عمران ، الآية ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران الآيات ١١٨ - ١١٩ .

القوة ، ونحسن في الظن والاعتماد والتوكل على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ، عندها وعندها فقط ننتظر نصراً قريباً، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ (١) .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يكتب للمسلمين نصراً قريباً تقر به العيود وتسعد به النفوس ويشف الله به صدور قوم مؤمنين .

التفاؤل والقرآن الكريم:

* القرآن يدعو للتفاؤل ويبيث روح الأمل بين المؤمنين.

* القرآن الكريم مفتاح لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، وهو أعظم مصدر للتفاؤل وانسراح الصدر وطمأنينته، ومن أقبل عليه؛ تلاوة، وتدبراً، وعملاً مخلصاً لله - نال تلکم البركات.

* القرآن فيه تسلية وعزاء للمنكوب والمهموم، والمحزون والمديون، والمريض والبائس، والفقير واليتيم.

إنَّ ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة عن قدرة الله على كل شيء، وأنه يحيي الموتى، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء - باعث عظيم على الطمأنينة والتفاؤل.

جاء في القرآن ما تقر به أعين الصابرين، ويهونه عليهم، ويجدد لهم الأمل والتفاؤل.

مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ مَا أَهَمُّهُ وَلَوْ كَادَتْهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ.
قصص الأنبياء في القرآن دعوة للتفأول، وتوقع العاقبة الحميدة مهما
عظم البلاء.

التوبة والاستغفار يصنعان التفأول بحياة جديدة سعيدة مباركة عاجلاً،
وبنعيم وفوز كبير في الآخرة. أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لها معانٍ عظيمة مباركة
تفتح أبواب التفأول لكل مَنْ تأملها.

القرآن يدعو للتفأول ويبث روح الأمل بين المؤمنين:

لقد جعل الله هذه الحياة الدنيا كثيرة القلب، لا تستقيم على حال، ولا
تصفو لمخلوق من الكدر، فالتأمل في هذه الدنيا بعين البصيرة، يجد فيها
الخير والشر، الصلاح والفساد، السرور والحزن، ويجد الأمل واليأس، وهنا
يأتي دور الأمل والتفأول كشعاع يضيئ للمؤمن دروب الظلام، ويبعث في
النفس البشرية الجد والصبر، والسعي نحو الفوز بسعادة الدارين.

في إطلالة نحو دعوات التفأول القرآنية المباركة، التي يتفياً الناس
ظلالها كل حين، أن القرآن يزخر بالآيات والقصص التي تدعو للتفأول
وتعلم المسلمين الاستبشار بالخير، وانتظار الأفضل، فالذي يغري التاجر
في الأسفار والمخاطرة هو أمله في الأرباح، والذي يحفز الطالب على الجد
والمثابرة هو أمله في النجاح، والذي يدعو المؤمن أن يخالف هواه ويطيع
مولاه، هو أمله في نيل رضا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والفوز بجنته، فالإنسان
المتفائل يقابل شدائد الحياة بقلب مطمئن، ووجه مستبشر، لا ينقطع أمله
في تبديل حال العسر إلى يسر بأمر الله، وإذا اقترف ذنباً لم ييأس من رحمة
الله ومغفرته، تعلقاً وأملاً بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾^(١) ، هذه الآية العظيمة دعوة ألا ييأس الإنسان من رحمته جَلَّ وَعَلَا ، من بسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، وبسطها بالليل ليتوب مسيء النهار ، حتى ولو تجاوز الحد في الخطايا والإسراف ، فكيف تقنط أنت من رحمة الله بعد هذه الآية ؟ ما أجمل الآيات الكريمة التي تبشر بالأمل ، وتبث روح التفاؤل بين المؤمنين .

إن التفاؤل هو شعور داخلي بالرضا ، وثقة تتحول إلى راحة نفسية لدى ذلك الإنسان الذي علق أمله بالله ولم يقنط ، والتفاؤل أيضا هو النظرة الإيجابية عندما توصلد الأبواب ، وهو طوق النجاة عند الملمات .

فالمسلم المتفائل هو إنسان سعيد في دنياه ، متوكل على مولاه ، تجده طموحاً ومبادراً لكل جميل ، والقرآن يحدثنا عن التفاؤل في ثانيا سورة آل عمران: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٣٩﴾^(٢) .

ومن صور التفاؤل في حياة الأنبياء ، ما قصه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في التنزيل عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام الذي ظل يرسل أبناءه يبحثون عن يوسف وأخيه دون يأس ، يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ يَبْقَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٨٧﴾^(٣) ، وموسى عَلَيْهِ السَّلَام الذي خرج فقيراً مطارداً ينجي ربه ، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ﴿٢٤﴾^(٤) .

(١) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٣٩ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٤) سورة القصص ، الآية ٢٤ .

فتأتيه الإجابة، وتفتح له الأبواب، ويكلل بالنبوة، ويخص بأنه كريم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا أيوب **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، أقعده المرض، وانقطعت عنه أسباب الشفاء من البشر، يرفع يديه ويتضرع لله، قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿٨٣﴾ وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ﴿٨٤﴾**^(١)، فجاء الجواب وجاء الفرج المتتابع من رب الكون.

إذا أردنا أن نصلح المجتمع، ينبغي أن ندرك أن أي واقع لا يخلو من عناصر إيجابية وفي مقابلها عناصر أخرى سلبية، ومهمة المصلح في خضم الأحداث وتقلبات الحياة تبدأ من تنبيه الناس إلى الإيجابيات الموجودة في حياتهم، وتقويتها، والسعي نحو محاصرة السلبيات وتجاوزها والتغلب عليها، إتباعا لمنهج القرآن الكريم الذي يبدأ دوماً بذكر الإيجابيات، وإن قلت ويؤخر ذكر السلبيات، وإن كثرت، ليعلم الناس أن الصورة العامة للحياة ينبغي أن تكون ناصعة مشرقة وباعثة على الأمل.

إن الإسلام يريد أن يطهر قلوب أتباعه من التصورات السلبية، و يدعوهم أن ينشغلوا بالعمل الإيجابي المثمر الذي يجلب لهم النفع والخير، وسعادة الدنيا والآخرة، والناس اليوم في أمس الحاجة إلى سماع من يث في نفوسهم الأمل، ويدعوهم إلى التفاؤل، ويسر لهم طريق الخير، واستحضار النماذج المشرقة ليتخذوها أسوة وقدوة ترشدهم للطريق، فهذا هو التطبيق العملي الأمثل لمنهج التفاؤل في سيرة رسولنا الكريم - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أما فقه زمن الفتن، فيرى الشيخ أنه لن يساهم في أي رفعة ولا منفعة في ظل هذه الظروف التي تعيشها الأمة، وسيؤدي لاعتزال المخلصين لمعترك الحياة، مخافة التورط في الفتنة، وترك الساحة لأصحاب

الدعوات الهدامة وما أكثرهم في زمننا الحاضر.

التفاؤل في الحياة له معنى آخر :

تفاءلوا في حياتكم سيروا دون إحباط دون ملل دون عتب دون قهر فالحياة لا تستحق ذلك، فهي تستحق كل الحب والاحترام كل الشكر والعرفان كل التقدير والمودة، هنا أقف واسالك هل فكرت وشعرت بالتفاؤل؟! أم غلبت عليك نفسك! لذلك أود أن اقترح عليكم قانون جذب التفاؤل هو كلما ارتفع عدد الشحنات الموجبة لديك نحو القمة في التفاؤل كلما قل عندك عدد الشحنات السالبة التي تجعلك محبط في حياتك.

النتيجة تفاؤلك في حياتك يجعلك شخص لائقاً ولبقاً في كلامك وعبقري أثناء تحدثك، ومبدعاً أثناء قدراتك، ومسيطرّاً على أفكارك، باعثاً لنفسك الضياء، باغياً للخير، متعاوناً للغير، حاملاً هدفاً واضحاً.

تفاءل مهما كبر همك ومهما قلت قيمتك ومهما تعبت من الآراء السلبية، تفاءلوا بحجم السعادة لديكم، وبكل حب وعزم، فالتفاؤل هو سر الناجحين في حياتهم، سر المبدعين، سر البارعين لأنه كمية إيجابية في حياتك أنت كشخص لأنك تعطي للتفاؤل عنوان في كل صفحة تعيشها طالما كنت أنت متوازناً بين أحلامك وبين طموحك وبين مستقبلك، فلماذا لا تجعل التفاؤل إشراقاً لصباحك؟!، فالتفاؤل جعل للحياة نور، وللصباح إشراقاً يهّل علينا من جميع النواحي ومن جميع الجهات.

فتفاؤلنا سيعكس على حياتنا الأثر الجميل، وقد قيل تفاءلوا بالخير، تجدوه، تحصدونه، في حياتكم تبصرونه، وتنجحون به، لتحقيقون كل

احلامكم، تفاءلوا عيشوا حياتكم بالتفاؤل.

جميعنا نعلم أنّ الحياة مليئة بالتقلّبات، والقدرة على البقاء متفائلاً على الدوام ستساعدك على تجاوز الكثير من الأوقات الصعبة، لكن كثيرون من يجهل ما يعنيه التفاؤل حقاً.

إنّهُ في الواقع لا يتعلّق برؤية أقواس قزح أو فراشات ملوّنة في كلّ مكان حولك، وإنما يتيح لنا التعلّم من المواقف حولنا، والعثور على الإيجابيات مهما كانت بسيطة، ورؤية الفرص الجديدة في كلّ الأوقات مهما كانت صعبة.

قانون التفاؤل والأمل عند المتفائلين :

قانون المتفائلين هو: حُسن الظن برب العالمين فمن أحسن ظنه بربه نال أعلى درجات التفاؤل ووفقه الله لكل خير .

ومن الخطأ أن نفهم التفاؤل على أنه مجرد كلمات، أو صورة شكلية، نتجمل بها في مواجهة الحياة، ولا أثر لها في تحقيق النجاح، لأن التفاؤل أكبر من ذلك لأنه حالة نفسية وجدانية قوامها الثقة بالله، وطاقة روحية تشكل قوة جاذبة للنجاح.

يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في حديث قدسي: «أنا عند ظن عبدي بي؛ فليظن بي ما شاء»^(١) فإذا ظن العبد بربه خيراً فهو يحوز نظرة إيجابية تقربه من النجاح وذلك لأنه يشعر أنه معان وقادر على الفعل ويتنظر عطاء الكريم فيصّل إلى غرضه بإذن ربه، أما إذا تشاءم فهو يشعر بالضعف والعجز وانعدام الثقة بالنفس، وبالتالي لا يسعى السعي المطلوب، ويقصر في الفعل فيكون الفشل أقرب إليه من النجاح.

(١) تقدم تخريجه صفحة ١٥ .

كذلك حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم القائل: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ»^(١).

فيه أيضاً ربط بين الحالة النفسية للمتفائل الذي يوقن باستجابة الله لدعائه، ولذلك فهو يتحرك من هذا المنطلق ويسعى ويجتهد ويصل بتوفيق الله لغرضه، وهو بهذا يختلف عن المتشائم الذي يقل حماسه ويخبو أمله، ويقل عمله ويترك داعي الرحمن، ويستجيب لداعي الشيطان الذي يعده الفقر، وبئس الوعد هو، ويأمره بالفحشاء، بينما المؤمن يستجيب لداعي الرحمن الذي يعده بالمغفرة والفضل، فشتان شتان.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن الفقر في حقيقته لا يعني قلة المال فحسب بل هو أكبر وأعم، ومن أشكاله الفقر النفسي الذي يتمثل في النظرة المتشائمة وتحكم عقلية الشح التي ترى أن الكون ليس فسيح الأركان، واسع الرحاب يسع الجميع، بل هو ضيق شحيح الموارد والناس يتنافسون للحصول على ما يستطيعون، وما تحصل عليه أنت يكون خصماً على نصيبي أنا لأن الخير لا يسعنا معاً.

هذه صورة من الفقر النفسي المدقع وهي التي يشيعها الشيطان في أوليائه ويدخلهم في دوامة التشاؤم من خلالها، ويبقيهم بها في دائرة الفقر والبخل ولو حازوا المليارات.

التفاؤل كذلك له تعلق كبير بكلماتنا التي نستعملها، ولغتنا التي نستخدمها، لأن الكلمات هي انعكاس لما في النفس، فالمتفائل يكثر من

(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٤٧٩) واللفظ له، والبخاري، رقم: (١٠٠٦١)، والطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٥١٠٩) والحاكم في المستدرک (١٨١٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

قول: أستطيع، وأفضل، وسأفعل ونحوه، بينما المتشائم يكثر من لا يمكن، ولا أستطيع، وفقط لو، ونحوه.

أركب سيارة الأمل وأسرع نحو طريق التفاؤل:

التفاؤل أول طريق النجاح، والأمل أهم دوافع العمل، انظر إلى الجانب المشرق من الحياة وكن إيجابياً.

التفاؤل هو السلاح الأساسي الذي يجب على كل إنسان أن يتمسك به ليتمتع بسعادة كبيرة في الحياة، وليبعد عنه كل آثار الحقد والاستسلام والتشاؤم الذي يُدمر نفسيته ويتسبب في تراجعها يوماً بعد يوم، فيما يلي سنقدم لك مجموعة من النصائح الفعّالة التي يجب أن تتقيد بها لتزرع التفاؤل في حياتك.

أولاً: التركيز على الأشياء الإيجابية:

لتزرع التفاؤل في حياتك اليومية عليك أن تُركّز نظرك على الأشياء الإيجابية الموجودة في الحياة، وأن تسلط كل اهتمامك عليها فقط، دون التركيز على الأشياء المزعجة، وحاول قدر المستطاع أن تدوّن هذه الأشياء الإيجابية، وأن تستمتع وتركّز عليها بشكل جيد.

ثانياً: التخلص من السلبية:

في حال واجهت بعض المواقف والأحداث السلبية في حياتك، عليك أن تتخلص منها بشكل سريع، وأن تقطع الطريق الذي يؤدي إلى تفشيها وانتشارها في حياتك، كأن تقوم بالاستماع إلى صوت شجي للقران الكريم، أو الخروج في نزهة خارج المنزل مع أحد الأصدقاء أو المقربين.

ثالثاً: المشاركة في الأعمال الخيرية:

إنَّ العمل في المجال الخيري والإنساني يُساهم وبشكل كبير بزرع الإيجابية والتفاؤل في حياة الإنسان، لهذا ننصحك بأن تسعى وبجدية كبيرة في المشاركة بالأعمال الخيرية المحلية التي تقام في مجتمعك، وأن تسارع كذلك في الأعمال التطوعية التي تهدف لمساعدة الآخرين والحفاظ على نظافة المدينة، كزراعة الأشجار في الحدائق، أو تنظيف الشوارع.

رابعاً: المواظبة على الرياضة:

إنَّ التمارين الرياضية تساهم وبشكل فعال في توليد الإيجابية والتفاؤل لدى الإنسان، لهذا فإننا ننصحك بأن تواظب على ممارسة التمارين الرياضية اليومية، وبشكل خاص في الطبيعة والهواء الطلق.

خامساً: التقرب من الله سُبحانه وتعالى:

إنَّ تقرب الإنسان من الله سُبحانه وتعالى والالتزام بأداء كل العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وقراءة قرآن، يُساهم وبشكل فعال في تحسين نفسية الإنسان، وزرع التفاؤل والسعادة و البهجة في نفس الإنسان بعيداً عن أشكال السلبية والتشاؤم.

سادساً: احتفظ بابتسامة جذابة على وجهك:

حتى إذا لم تكن تشعر أنك تريد أن تبسم فتظاهر بالابتسامة، حيث أنَّ العقل الباطن لا يستطيع أن يفرق بين الشيء الحقيقي والشيء غير الحقيقي، وعلى ذلك فمن الأفضل أن تقرر أن تبسم باستمرار.

قصة ممتعة في باب التفأول

وحسن التوكل على الله



خرج رجل في سفر مع ابنه إلى مدينه تبعد عنهم قرابة يومين وبينهما هما
يسيران كسرت ساق الحصان في منتصف الطريق ..

فقال الرجل : رضيت بقضاك واعلم أنه خير ، فأخذ كل منهما متاعه على
ظهره وتابع السير ، و بعد مدة تعثر الرجل بحجر أصاب قدمه فأصبح
يجر ساقه جراً فقال : ما حجه الله عنا كان أعظم ! فقام الابن وحمل متاعه
ومتاع أبيه على ظهره ، وانطلقا يكملان سيرهما وفي الطريق لدغت الابن
أفعى ، فوقع على الأرض وهو يتألم ..

فقال الرجل لعله خير إن شاء الله ، وهنا غضب الابن وقال لأبيه : أين
هو الخير؟ وعندما شفي الابن أكمل سيرهما فوصلا إلى المدينة فإذا بها قد
أزيلت عن بكرة أبيها بسبب زلزال أبادها بمن فيها .

فنظر الرجل لابنه ، وقال له : هذا هو الخير لو لم يُصبنا ما أصابنا في
رحلتنا لكنا وصلنا في ذلك اليوم وكنا مع من هلك في هذه المدينة !

ليكن هذا منهجاً لحياتنا اليومية لكي تستريح القلوب من القلق .

أثق يا الله أن كل ما تكتب لي هو الخير كل الخير .

قصة طريفة في التشاؤم :

من مَخَلَّفَات أعداء الرسل التشاؤم بالأشخاص ، فقد تشاءم قوم صالح

بنبيهم عَلَيْهِ السَّلَام حيث قالوا له: ﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ ^(١) ، وكان فرعون وقومه إذا أصابتهم سيئة: ﴿يَطَيِّرُوا يَمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ ^(٢) .

وتطير أصحاب القرية برسل الله عَزَّجَلَّ حيث قالوا لهم: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ ^(٣) .

وقد كان الرد عليهم جميعاً: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَيَّرْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ^(٤) .

أي: أن ما حل بكم من شر وبلاء إنما هو بسبب ذنوبكم وكفركم. أما اليوم، فقد يتطير أحدهم بملاقة شخص في الصباح الباكر، ويقول له بالعامية: أيش من وجه أصبحت عليه.

ومنهم: من يتطير بالبشر ذوي العاهات، فإذا رأى رجلاً أعور قال: هذا عوار في حرفتي ومهنتي، لا أذهب إليها اليوم، وإذا رأى امرأة عجوزاً يقول: هذه عجوز نحس لا يمكن أن أذهب إلى العمل هذا اليوم!

قال العلامة الحافظ الحكيمي رَحِمَهُ اللَّهُ في معارج القبول: (وأما الطيرة، فهي ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها، تشاؤماً بسماع بعض الكلمات القبيحة، كي يا هالك أو يا محقوق ونحوها، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت).

قالوا: إنها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقة الأعور، أو الأعرج أو المهزول، أو الشيخ الهرم، أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو

(١) سورة النمل، الآية ٤٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٣١.

(٣) سورة يس، الآية ١٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٣١.

ذاهب لحاجة ، صده ذلك عنها ، ورجع معتقداً عدم نجاحها ، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار ، حتى يبيع من غيره تشاؤماً به وكراهة له ، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيراً قط^(١) .

وذكر ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه (مفتاح دار السعادة) : أن أحد الولاة خرج لبعض مهماته فاستقبله رجل أعور فتطير به وأمر به إلى الحبس فلما رجع أمر بإطلاقه ، فقال : سألتك بالله ما كان جرمي الذي حبستني لأجله ؟ فقال : تطيرت بك ، فقال : فما أصبت في يومك برؤيتي ؟ فقال : لم ألق إلا خيراً . فقال : أيها الأمير أنا خرجت من منزلي فرأيتك فلقيت في يومي الشر والحبس ، وأنت رأيتني فلقيت الخير والسرور فمن أشأمننا ؟ والطيرة بمن كانت ؟ فاستحيا منه الوالي ووصله^(٢) .

اليأس والقنوط والتشاؤم :

إن حظي كدقيق فوق شوكٍ نثروه ثم قالوا الحفاة يوم ربح اجمعوه
صعب الأمر عليهم فقالوا اتركوه إن من أشقاه ربي كيف أنتم تسعدوه؟^(٣)

نعوذ بالله من الخذلان :

شرح حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ٩٩٠) .

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ٢٣١) .

(٣) هذه الأبيات للشاعر السوداني المرحف إدريس محمد جماع من مواليد مدينة حلفاية الملوك (١٩٢٢م) تخرج من كلية دار العلوم ، وعمل مدرساً في معهد التربية بمدينة شندي شمال الخرطوم ثم ببخت الرضا بمدينة الدويم ، له ديوان شعر تحت اسم (لحظات باقية).. توفي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في عام (١٩٨٠م)

من المؤمن الضعيف ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيفِ وفي كلِّ خيرٍ. احرصْ على ما ينفعُكَ، واستعنْ بالله ولا تعجزْ. وإنَّ أصابَكَ شيءٌ فلا تقلْ: لو أنَّني فعلْتُ كان كذا وكذا، ولكن قلْ: قدرُ الله وما شاءَ فعل، فإنَّ (لو) تفتحُ عملَ الشَّيْطَانِ) (١).

قال العلامة ابنُ عثيمين - رَحِمَهُ اللَّهُ - : قال المؤلف - رَحِمَهُ اللَّهُ - فيما نقله عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضَّعيفِ».

المؤمن القوي: يعني في إيمانه، وليس المراد القوي في بدنه؛ لأن قوة البدن قد تكون ضرراً على الإنسان إذا استعمل هذه القوة في معصية الله، فقوة البدن ليست محمودة ولا مذمومة في ذاتها، إن كان الإنسان استعمل هذه القوة فيما ينفعه في الدنيا والآخرة صارت محمودة، وإن استعان بهذه القوة على معصية الله صارت مذمومة.

لكن (القوة) في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «المؤمن القوي»، تعني قوة الإيمان، لأن كلمة القوي تعود إلى الوصف السابق وهو الإيمان، كما تقول: الرجل القوي، أي في رجولته، كذلك المؤمن القوي يعني في إيمانه؛ لأن المؤمن القوي في إيمانه تحمله قوة إيمانه على أن يقوم بما أوجب الله عليه، وعلى أن يزيد من النوافل ما شاء الله، والضعيف الإيمان يكون إيمانه ضعيفاً لا يحمله على فعل الواجبات، وترك المحرمات فيقصر كثيراً.

وقوله: (خيرٌ) يعني: خير من المؤمن الضعيف، وأحبُّ إلى الله من

المؤمن الضعيف، ثم قال - عليه الصلاة والسلام - : « وفي كل خير »، يعني المؤمن القوي والمؤمن الضعيف كل منهما فيه خير. وإنما قال: « وفي كل خير »؛ لئلا يتوهم أحد من الناس أن المؤمن الضعيف لا خير فيه، بل المؤمن الضعيف فيه خير، فهو خير من الكافر لا شك.

وهذا الأسلوب يسميه البلاغيون الاحتراز، وهو أن يتكلم الإنسان كلاماً يوهم معنى لا يقصده، فيأتي بجملة تبين أنه يقصد المعنى المعين، ومثال ذلك في القرآن قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ (١).

لما كان قوله: ﴿ أُولِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا ﴾ (٢) يوهم أن الآخرين ليس لهم حظ من هذا، قال: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾. ومن ذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٣) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴿ (٤) لما كان هذا يوهم أن داود عنده نقص، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (٤).

ومن ذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٥).

(١) سورة الحديد، الآية ١٠.

(٢) سورة الحديد، الآية ١٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

(٥) سورة النساء، الآية ٩٥.

فهنا قال النبي ﷺ: «وفي كل خير»، أي: المؤمن القوي والمؤمن الضعيف، لكن القوي خير وأحبُّ إلى الله.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «أحرص على ما ينفعك» هذه وصية من الرسول عليه الصلاة والسلام لأمته، وهي وصية جامعة مانعة «أحرص على ما ينفعك» يعني أجتهد في تحصيله ومباشرته، وضد الذي ينفع الذي فيه ضرر، وما لا ينفع فيه ولا ضرر، وذلك لأن الأفعال تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ينفع الإنسان، وقسم يضره، وقسم لا ينفع ولا يضر.

فالإنسان العاقل الذي يقبل وصية النبي ﷺ هو الذي يحرص على ما ينفعه، وما أكثر الذين يضيعون أوقاتهم اليوم في غير فائدة، بل في مضرة على أنفسهم وعلى دينهم، وعلى هذا فيجدر بنا أن نقول لمثل هؤلاء: إنكم لم تعملوا بوصية النبي ﷺ؛ إما جهلاً منكم وإما تهاوناً، لكن المؤمن العاقل الحازم هو الذي يقبل هذه النصيحة، ويحرص على ما ينفعه في دينه ودنياه.

وهذا حديث عظيم ينبغي للإنسان أن يجعله نبراساً له في عمله الديني والدنيوي، لأن النبي ﷺ قال: «أحرص على ما ينفعك»، وهذه الكلمة كلمة جامعة عامة، «على ما ينفعك»، أي: على كل شيء ينفعك، سواء في الدين أو في الدنيا، فإذا تعارضت منفعة الدين ومنفعة الدنيا فقدّم منفعة الدين؛ لأن الدين إذا صلح صلحت الدنيا، أما الدنيا إذا صلحت مع فساد الدين فإنها تفسد.

وفي قوله: «أحرص على ما ينفعك» إشارة إلى أنه إذا تعارضت منفعتان إحداهما أعلى من الأخرى، فإننا نقدم المنفعة العليا؛ لأن المنفعة العليا فيها

المنفعة التي دونها وزيادة، فتدخل في قوله: «احرص على ما ينفعك».

فإذا اجتمع صلة أخ وصلة عم كلاهما سواء في الحاجة، وأنت لا يمكنك أن تصل الرجلين جميعاً، فهنا تقدم صلة الأخ لأنها أفضل وأنفع، وكذلك أيضاً لو أنك بين مسجدين كلاهما في البعد سواء لكن أحدهما أكثر جماعة فإننا نقدم الأكثر جماعة لأنه الأفضل، فقوله: «على ما ينفعك» يشير إلى أنه اجتمعت منفعتان إحداها أعلى من الأخرى فإنها تقدم الأعلى.

وبالعكس إذا كان الإنسان لا بد أن يرتكب منهياً عنه من أمرين منهى عنهما وكان أحدهما أشد، فإنه يرتكب الأخف، فالمناهي يقدم الأخف منها، والأوامر يقدم الأعلى منها.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «واستعن بالله»: ما أروع هذه الكلمة بعد قوله: «احرص على ما ينفعك»؛ لأن الإنسان إذا كان عاقلاً ذكياً فإنه يتتبع المنافع ويأخذ بالأنفع ويجتهد ويحرص، وربما تغره نفسه حتى يعتمد على نفسه وينسى الاستعانة بالله، وهذا يقع لكثير من الناس، حيث يعجب بنفسه ولا يذكر الله **عَزَّوَجَلَّ**، ويستعين به، فإذا رأى من نفسه قوة على الأعمال وحرصاً على النافع وفعلاً له، أعجب بنفسه ونسى الاستعانة بالله، ولهذا قال: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله»، أي: لا تنس الاستعانة بالله ولو على الشيء اليسير، وفي الحديث: «ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع»^(١)، يعني حتى الشيء اليسير لا تنس الاستعانة بالله **عَزَّوَجَلَّ**، حتى ولو أردت أن تتوضأ أو تصلي أو تذهب يميناً أو شمالاً أو تضع شيئاً فاستحضر أنك مستعين بالله

(١) رواه الترمذي، رقم: (٣٦٠٤) وابن حبان، رقم: (٨٩٤)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٢٥١).

عَزَّجَلْ، وأنه لولا عون الله ما حصل لك هذا الشيء.

ثم قال: « ولا تعجز »، يعني استمر في العمل ولا تعجز، وتأخر، وتقول: إن المدى طويل والشغل كثير، فما دمت صممت في أول الأمر أن هذا هو الأنفع لك، واستعنت بالله وشرعت فيه فلا تعجز.

وهذا الحديث في الحقيقة يحتاج إلى مجلدات يتكلم عليه فيها الإنسان؛ لأن له من الصور والمسائل ما لا يحصى، منها مثلاً طالب العلم الذي يشرع في كتاب يرى أن فيه منفعة ومصلحة له، ثم بعد أسبوع أو شهر يمل، وينتقل إلى كتاب آخر، هذا نقول عنه: إنه استعان بالله وحرص على ما ينفعه ولكنه عجز، كيف عجز؟ بكونه لم يستمر، لأن معنى قوله: « لا تعجز »، أي: لا تترك العمل؛ بل ما دمت دخلت فيه على أنه نافع فاستمر فيه، ولذا تجد هذا الرجل يمضي عليه الوقت ولم يحصل شيئاً؛ لأنه أحياناً يقرأ في هذا، وأحياناً في هذا.

حتى في المسألة الجزئية؛ تجد بعض طلبة العلم مثلاً يريد أن يراجع مسألة من المسائل في كتاب، ثم يتصفح الكتاب، يبحث عن هذه المسألة، فيعرض له أثناء تصفح الكتاب مسألة أخرى يقف عندها، ثم مسألة ثانية، فيقف عندها، ثم ثالثة، فيقف، ثم يضع الأصل الذي فتح الكتاب من أجله، فيضيع عليه الوقت، وهذا ما يقع كثيراً في مثل «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ» تجد الإنسان يطالعها ليأخذ مسألة، ثم تمر مسألة أخرى تعجبه وهكذا، وهذا ليس بصحيح؛ بل الصحيح أن تنظر الأصل الذي فتحت الكتاب من أجله.

كذلك أيضًا في تراجم الصحابة، في «الإصابة - مثلاً - لابن حجر رحمته الله» حين يبحث الطالب عن ترجمة صحابي من الصحابة، ثم يفتح الكتاب من أجل أن يصل إلى ترجمته، فتعرض له ترجمة صحابي آخر، فيقف عندها وقرؤها، ثم يفتح الكتاب، يجد صحابيًا آخر، ثم هكذا يضيع عليه الوقت ولا يحصل الترجمة التي من أجلها فتح الكتاب، وهذا فيه ضياع للوقت.

ولهذا كان من هدي الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن يبدأ بالأهم الذي تحرك من أجله، ولذلك لما دعا عتبان بن مالك الرسول صلى الله عليه وسلم، قال له: أريد أن تأتي لتصلي في بيتي؛ لأتخذ من المكان الذي صليت فيه مصلى لي، فخرج النبي - عليه الصلاة والسلام - ومعه نفر من أصحابه، فلما وصلوا، إلى بيت عتبان واستأذنوا ودخلوا، وإذا عتبان قد صنع لهم طعامًا، ولكن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يبدأ بالطعام، بل قال: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟ فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَحِبُّ، فَقَامَ وَصَفَفْنَا خَلْفَهُ، ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا»^(١).

فهذا دليل على أن الإنسان يبدأ بالأهم، وبالذي تحرك من أجله؛ من أجل ألا يضيع عمله سدى.

فقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «لا تعجز»، أي: لا تكسل وتتأخر في العمل إذا شرعت فيه، بل استمر لأنك إذا تركت ثم شرعت في عمل آخر، ثم تركت ثم شرعت ثم تركت، ما تم لك عمل.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «إِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا». ويعني بعد أن تحرص وتبذل الجهد، وتستعين

(١) رواه البخاري، رقم: (٦٨٦)

بالله، وتستمر، ثم يخرج الأمر على خلاف ما تريد، فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، لأن هذا أمر فوق إرادتك، أنت فعلت الذي تؤمر به، ولكن الله - عَزَّجَلَّ - غالب على أمره ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١)، ونضرب مثلاً لذلك: إذا سافر رجل يريد العمرة، ولكنه في أثناء الطريق تعطلت السيارة، ثم رجع فقال: لو أني أخذت السيارة الأخرى لكان أحسن، ولما حصل على التعطل. نقول: لا تقل هكذا؛ لأنك أنت بذلت الجهد، ولو كان الله عَزَّجَلَّ أراد أن تبلغ العمرة ليسر لك الأمر، ولكن الله لم يرد ذلك.

فالإنسان إذا بذل ما يستطيع مما أمر ببذله، وأخلفت الأمور؛ فحينئذ يفوض الأمر إلى الله؛ لأنه فعل ما يقدر عليه، ولهذا قال: «إِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ»، يعني بعد بذل الجهد والاستعانة بالله - عَزَّجَلَّ - «فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا».

وجزي الله عنا نبينا خير الجزاء؛ فقد بين لنا الحكمة من ذلك، حيث قال: «فإن لو تفتح عمل الشيطان»، أي تفتح عليك الوسوس والأحزان والندم والهموم، حتى تقول: لو أني فعلت لكان كذا. فلا تقل هكذا، والأمر انتهى، ولا يمكن أن يتغير عما وقع، وهذا أمر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن تخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وسيكون على هذا الوضع مهما عملت.

ولهذا قال: «ولكن قل: قدر الله»، أي هذا قدر الله، أي تقدير الله وقضاؤه، وما شاء الله - عَزَّجَلَّ - فعله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَاعَلٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٠٧) (٢).

(١) سورة يوسف، الآية ٢١.

(٢) سورة هود، الآية ١٠٧.

لا أحد يمنعه أن يفعل في ملكه ما يشاء، ما شاء فعل - عَزَّجَلَّ - ولكن يجب أن نعلم أنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يفعل شيئاً إلا لحكمة خفيت علينا أو ظهرت لنا، والدليل على هذا قوله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١)**.

فبين أن مشيئته مقرونة بالحكمة والعلم، وكم من شيء كره الإنسان وقوعه، فصار في العاقبة خيراً له، كما قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (٢)**.

ولقد جرت حوادث كثيرة تدل على هذه الآية، من ذلك: قبل عدة سنوات أقلعت طائرة من الرياض متجهة إلى جدة، وفيها ركاب كثيرون، يزيدون عن ثلاثمائة راكب، وكان أحد الركاب الذين سجلوا في هذه الطائرة في قاعة الانتظار، فغلبته عيناه حتى نام، وأعلن عن إقلاع الطائرة، وذهب الركاب وركبوا، فإذا بالرجل يستيقظ بعد أن أغلق الباب، فندم ندامة شديدة؛ كيف فاتته الطائرة؟ ثم إن الله قدر بحكمته أن تحترق الطائرة وركابها، فسبحان الله! كيف نجا هذا الرجل؟ كره أنه فاتته الطائرة، ولكن كان ذلك خيراً له.

فأنت إذا بذلت الجهد، واستعنت بالله، وصار الأمر على خلاف ما تريد، لا تندم، ولا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، إذا قلت هذا انفتح عليك من الوسوس والندم والأحزان ما يكدر عليك الصفو، فقد انتهى الأمر وراح، وعليك أن تسلم الأمر للجبار **عَزَّجَلَّ** قل: قدر الله وما شاء فعل.

(١) سورة الإنسان، الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

والله، لو أننا سرنا على هدي هذا الحديث لاسترحنا كثيراً، لكن تجد الإنسان منا، أولاً: لا يحرص على ما ينفعه، بل تمضي أوقاته ليلاً ونهاراً بدون فائدة، تضع عليه سدى.

ثانياً: إذا قدر أنه اجتهد في أمر ينفعه، ثم فات الأمر، ولم يكن على ما توقع، تجده يندم، ويقول: ليتني ما فعلت كذا، ولو أني فعلت كذا لكان كذا، وهذا ليس بصحيح، فأنت أد ما عليك، ثم بعد هذا فوض الأمر لله **عَزَّوَجَلَّ**.

فإذا قال قائل: كيف احتج بالقدر؟ كيف أقول: قدر الله وما شاء فعل؟ والجواب أن نقول: نعم؛ هذا احتجاج بالقدر، ولكن الاحتجاج بالقدر في موضعه لا بأس به، ولهذا قال الله لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **﴿أَتَبِعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** (١٠٦) **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾** (١).

فبين له أن شركهم بمشيئته، والاحتجاج بالقدر على الاستمرار في المعصية هذا حرام لا يجوز، لأن الله قال: **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾** (٢).

لكن الاحتجاج بالقدر في موضعه هذا لا بأس به، فإن النبي - عليه الصلاة والسلام - دخل ذات ليلة على علي بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد - عليه الصلاة والسلام - فوجدهما نائمين، فقال لهما: «ما منعكما أن تقوموا؟» يعني تقوما تتهجدان، فقال علي: يا رسول الله، إن أنفسنا بيد الله؛ لو شاء أن نقوم لقمنا، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام وهو يضرب

(١) سورة الأنعام، الآيات ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) سورة الأنعام، الآيات ١٤٨.

على فخذيه، ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٥٤) (١).

هذا جدال لكن احتجاج علي بن أبي طالب في محله؛ لأن النائم ليس عليه حرج، فهو لم يترك القيام وهو مستيقظ، قال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ» (٢)، ولا يبعد أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أراد أن يختبر علي بن أبي طالب: ماذا يقول في الجواب؟ وسواء كان ذلك أم لم يكن. فاحتجاج علي بالقدر هنا حجة وذلك لأنه أمر ليس باختياره؛ هل النائم يستطيع أن يستيقظ إذا لم يوقظه الله؟... لا إذن هو حجة.

فالاحتجاج بالقدر ممنوع إذا أراد الإنسان أن يستمر على المعصية ليدفع اللوم عن نفسه، نقول مثلاً: يا فلان، صل مع الجماعة، فيقول: والله لو هداني الله لصليت، فهذا ليس بصحيح. يقال لآخر: أقلع عن حلق اللحية، يقول: لو هداني الله لأقلعت، وأقلع عن الدخان، يقول: لو هداني الله لأقلعت، فهذا ليس بصحيح؛ لأن هذا يحتج بالقدر ليستمر في المعصية والمخالفة.

لكن إن وقع الإنسان في خطأ وتاب إلى الله، وأتاب إلى الله وندم وقال: إن هذا الشيء مقدر علي، ولكن أستغفر الله وأتوب إليه؛ نقول هذا صحيح، إن تاب واحتج بالقدر فليس هناك مانع» (٣).



(١) سورة الكهف، الآية ٥٤.

(٢) رواه الترمذي، رقم: (١٤٢٣) وأبو داود، رقم: (٤٣٩٨) وصححه الألباني في مشكاة

المصابيح، رقم: (٣٢٨٧) وصحيح الجامع، رقم: (٣٥١٢).

(٣) شرح رياض الصالحين، (٢/ ٧٦ - ٨٦).

سر الحياة السعيدة وكيف ذلك؟



مفهوم الحياة قد تتساءل عن ماهية الحياة، وما السبب وراء وجودك فيها، وكيف يمكنك أن تعيش فيها بسعادة دون وجود أي منغصات، في البداية يمكننا تعريف الحياة بمعناها العلمي هي الحالة التي تميّز الكائنات الحيّة عن غيرها من الكائنات غير العضوية والكائنات الميتة ويتجلّى مفهوم الحياة من خلال عملية التمثيل الغذائي والتكاثر وقوة التكيف مع البيئة بواسطة التغيرات التي تنشأ داخل الكائن الحي، وترتبط الحياة بالموت فكل شيء حي سيموت في النهاية، فالحياة فترة زمنية مؤقتة يعيشها الإنسان لهدف معين ويختلف هدف الإنسان من حياته بناءً على خلفيته وبيئته، ومهما كان هدفك في الحياة عليك أن تعيشها بسعادة وهناء وتسعى لتحقيق أهداف سامية ونبيلة ترضى عنها، وتؤثر بعض العوامل على مسيرتك في الحياة كالبيئة والتربية والعائلة والأصدقاء، ولكن عليك أن تضع الاخلاق والقيم والمبادئ الحسنة نصب عينيك أثناء مسيرتك في هذه الحياة، إذ لديك القدرة على الحكم على الخير من الشر وعلى الصواب من الخطأ وتمييز التصرفات القانونية والأخلاقية من التصرفات غير الأخلاقية أو غير القانونية والتي ستمكنك من عيش حياة سعيدة وآمنة ومنتجة تفيدك وتفيد مجتمعك وأسرتك، فالتعايش السلمي هو سر الحياة السعيدة.

كيف تعيش حياتك بطريقة سعيدة؟

قد تسعى إلى عيش حياة سعيدة وقد لا تعرف الطريقة الأنسب لذلك ولكن السعادة تأتي في أبسط الأمور في الحياة ومن النصائح التي تجعلك سعيداً في حياتك ركّز على الإيجابيات: أعد ترتيب أفكارك، وبدل أفكارك السلبية بأخرى إيجابية لتعثر على السعادة طويلة المدى، ولهذا خصص دقيقتين من يومك لتفكر بالأمور الإيجابية في حياتك وافعل هذا ثلاث مرات في اليوم لمدة ٤٥ يوماً وسيبدأ دماغك بالتفكير الإيجابي بشكل تلقائي دون وعي منك.

احتفل بالانتصارات الصغيرة: ستواجه الفشل والنجاح في حياتك ولكنك غالباً ما تتجاهل الانتصارات الصغيرة التي تحدث في حياتك وهذا أمر خاطئ، احتفل بأبسط وأصغر الإنجازات والانتصارات التي تقوم بها.

وازن بين عملك وحياتك: يقضي معظمنا أكثر ساعات يومه ومعظم أيام حياته في العمل ومع أن العمل مهم في الحياة إلا أنه عليك أن توازن بين عملك وحياتك الشخصية لتحصل على السعادة، فمارس أنشطتك واهتماماتك في أوقات الفراغ أو في أيام العطلة، واقض وقتاً أطول مع عائلتك وأصدقائك، وخصص وقتاً لك افعل به ما يحلو لك لتستمتع بالحياة.

كن مبدعاً: أظهرت الدراسات أن الانخراط في الأنشطة الإبداعية بشكل منتظم يجعل الإنسان أكثر سعادة، وأولئك الأشخاص الذين يستخدمون خيالهم ويبدعون في مجال ما لديهم المزيد من الحماس ومن المرجح أنهم أكثر سعادة من غيرهم، ولهذا مارس بعض الأنشطة الإبداعية التي تحفز خيالك .

تقبل النقص: لا يوجد إنسان كامل على وجه الأرض كل منا لديه نقص ، وإذا أردت أن تكون سعيداً عليك أن تقبل نقصك لأنه جزء منك وجزء من حياتك وتجنب إخضاع نفسك لمعايير تعدها مثالية سواء كانت من حيث الشكل أو الفكر أو أي شيء آخر، هذا لا يعني أن الإنسان لا يطور من نفسه ، فإذا كان لديك نقاط ضعف في مجال ما يجب أن تعمل جاهداً على تحسينها ولكن من أجل نفسك لا لأجل الآخرين.

افعل ما تحب: يصعب عليك أن تشعر بالسعادة إذا كنت لا تحب عملك وستقضي أياماً وسنوات طويلة في شيء لا تحبه ولهذا افعل الأشياء التي تحبها أنت، ادرس التخصص الذي تحبه واعمل بالمكان والمجال الذي يثير اهتمامك وحماسك لتشعر بالرضى عن نفسك وحياتك وبالتالي ستشعر بالسعادة حتماً.

عش اللحظة: تدور أفكار الإنسان حول الماضي والمستقبل وقد يندم على ما مضى ويفكر كثيراً في المستقبل ، وبالطبع هذه الأفكار لا تجلب السعادة ، ولهذا عليك أن تعيش اللحظة الراهنة استمتع بها لأنها ستمضي ولن تعود.

كوّن علاقات ذات مغزى: ترتبط السعادة بالحب والصداقة والمجتمع فلا يستطيع الإنسان أن يعيش وحيداً ويكون سعيداً ، لأن الإنسان بحاجة إلى العلاقات والتفاعل مع الآخرين ، ولهذا عليك أن تحيط نفسك بالأشخاص الإيجابيين الذين يقدمون الدعم لك ، وسيقون معك في رحلة الحياة فستكون أكثر سعادة عندما يكون لديك علاقات اجتماعية ذات مغزى تضيف معنى على حياتك. ما هي أسباب الفشل في

الحياة وكيف يمكن تجنبها؟ .

الفشل والإخفاق جزء لا يتجزأ من الحياة ولا وجود لنجاح دون الفشل، فالفشل جزء أساسي من حياتك، ستواجهه حتماً ولكن ستكون أكثر سعادة عندما تستطيع أن تتجاوزه وتتعلم منه.

بعض أسباب الفشل التي قد تواجهك في الحياة وكيف يمكنك التعامل معها لتجاوزها :

وفيما يلي بعض أسباب الفشل التي قد تواجهك في الحياة؛ وكيف يمكنك التعامل معها لتجاوزها:

أولاً: انعدام الثبات:

قد تفشل ليس بسبب افتقارك للمعرفة أو الموهبة وإنما لأنك استسلمت، لذا ذكر نفسك دوماً بالثابرة والمقاومة وبأنه عليك أن تجرب أساليب جديدة فالإصرار عامل مهم في النجاح ولكن لا تصرّ على نفس الإجراءات لأنها ستؤدي إلى نفس النتائج وإنما غير أسلوبك في حل المشكلات وانظر إلى جهودك السابقة وطورها لتصبح أكثر ملاءمة لهدفك.

ثانياً: عدم القناعة:

من المعروف أن القناعة كنز لا يفنى، فالأشخاص غير القنوعين في حياتهم وبما يملكون لن يجدوا السعادة في حياتهم أبداً ولن يستطيعوا تحقيق أهدافهم أو تجنب الوقوع والفشل لأنهم يفتقرون إلى الثقة والشجاعة، وإذا كنت غير قنوع عليك أن تقرر ما هو المهم في حياتك وما الشيء الذي يستحق القيام بخطوة جديّة لأجله وأظهر شغفك في كل شيء تفعله

لتحقق النجاح، ولا بأس من التعاون مع الآخرين لتبادل الخبرات.

البحث عن المبررات: قد تلجأ إلى البحث عن مبررات لفشلك وإلى اختلاق الكثير من الأعذار حول عدم وصولك إلى النجاح، غير وجهة نظرك إذا كنت تبرر كل إخفاقاتك ولا تفكر بكل محاولة على أنها فاشلة لأن قلة من الناس من ينجحون من المرة الأولى فالنجاح لا يتحقق إلا من خلال المحاولة والجهد المتكرر ولهذا ابذل قصارى جهدك لتعلم ما حدث وكيف تستطيع تطويره لتحقيق النجاح.

ثالثاً: عدم الانضباط:

الانضباط والالتزام أساس النجاح في الحياة ولن تحقق أي شيء له قيمة ما لم تكن منضبطاً، والانضباط هو التضحية وضبط النفس وتجنب الإغراءات والانحرافات والاستمرار في التركيز على الهدف المنشود، وإذا كنت تفتقر للانضباط عليك أن تحدد أهدافك وتكون واقعياً وكن واضحاً بشأن ما يرضي أهدافك، ولا تأخذ التفاصيل السطحية بعين الاعتبار.

رابعاً: ضعف احترام الذات:

يعدّ ضعف احترام الذات من أبرز أسباب الفشل في الحياة، فعليك أن تقدّر نفسك وتحترمها وأن تعزز ثقتك بها، ولا تتوقف عن المحاولة مهما فشلت في البداية وفكر بنفسك على أنك شخص يسعى لتحقيق هدف ما لتكون أكثر قدرة على الاحتفاظ بصبرك ومثابرتك على المدى الطويل.

معلومة يرتبط الشعور بالسعادة بصحتك النفسية، وتوجد علاقة قوية بينهما فعندما تكون سعيداً ستكون صحتك النفسية جيدة وستكون

علاقاتك أفضل؛ إذ يمكنك تكوين صداقات بسهولة أكثر من غيرك، كما أنك ستكون أكثر قدرة على العثور على مزيد من النجاح في حياتك، فالمصادر التي تساهم في السعادة هي نفسها التي توفر لك حاجزاً يحميك من الأمراض النفسية، إذ اكتشفت الدراسات الحديثة وجود ارتباط إيجابي قوي بين السعادة والصحة النفسية، وتصبح صحتك النفسية أفضل كلما أضفت متغيرات جديدة ذات علاقة بالسعادة إلى حياتك، فهذه العلاقة الوثيقة سبب كافٍ لجعل السعادة أولوية في حياتك وحياة أسرتك، وتستحق مزيداً من الجهد لتحقيقها والشعور بها.

من أسباب الحياة السعيدة:

- ١- الهدى والإيمان، والاستقامة على أمر الرحمن، ومخالفة الهوى والشيطان، ومجانبة الكفر والفسوق والعصيان .
- ٢- العلم النافع فانه يشرح الصدر، ويعظم الأجر، ويرفع الذكر، ويحط الوزر، وهو من اعظم الذخر، وبركته العمل به في التصديق والنهي والأمر.
- ٣- كثرة الاستغفار والتوبة من الذنوب، وإدمان قرع باب علام الغيوب، وسؤله الفتح على القلوب، فإنه التواب على من يتوب.
- ٤- دوام ذكره على كل حال، في الحل والترحال، والثبات والانتقال، واللهج بيا ذا الجلال، مع موافقة القلب واللسان عند نطق هذه الأقوال.
- ٥- الإحسان إلى العباد، ونفع الحاضر والباد، وتفقد الفقراء، أهل البؤس والإجهاذ، وقضاء حوائجهم بالإمداد ، وإدخال الفرح عليهم والإسعاد .

٦- شجاعة القلب في الأزمات ، وثباته في الملهمات ، وقوته عند الكربات ، وعدم انزعاجه للواردات ، ومجانبة قلقه في المصيبات .

٧- تصفية القلب من الأحقاد ، وتطهيره من الفساد كالغل وحسد الحساد ، وترك الانتقام من العباد ، والحلم على أهل العناد .

٨- اطراح فضول النظر والكلام ، والخلطة والمنام ، والتوسط في الأمور على الدوام ، ومجانبة الإسراف والتبذير في كل أمر هام .

٩- محاربة الفراغ ، والقناعة من الدنيا بالبلاغ ، وعدم الروغان مع من راغ ، ومجافاة كل طاغ وباغ .

١٠- العيش في حدود اليوم الحاضر ، ونسيان أمس الدابر ، وعدم الاشتغال بالغد لأنه في حكم المسافر ، فأمس ميت ، واليوم مولود ، وغداً للناظر .

١١- النظر إلى من هو دونك في المواهب ، من الصحة والعلم والمكاسب ، وكيف أنك فوقهم بفضل الواهب وأن عندك ما ليس عندهم من المطالب .

١٢- نسيان ما مضى من الأقدار ، والغفلة عما سبق من الأخطار ، وتجاهل ما سبق في الزمان وصار ، فلا تفكر فيه ما تعاقب الليل والنهار ، فهو كالزجاجة التي أصابها الانكسار .

١٣- وإن حصلت نكبة فقدراً أسوأ ما يكون ، ثم وطن نفسك على احتمالها في سكون ، واجعل التوكل على الله والركون ، فإنه كفاك ما كان وسيكفيك ما يكون .

١٤- ترك التوقع للأزمة ، ولا تكن فيما يخاف منه في غمة ، فمن صدق مع ربه كفاه ما أهمه ، وما تدري لعل هذا اليوم لا تتمه .

١٥- وأعلم أن الحياة قصيرة ، فلا تقصرها بالأفكار الخطيرة ، والهموم المثيرة ، والأحزان الكثيرة ، فإن الحياة حياة الفرح والسرور والله الخيرة .

١٦- وإن أصابك مكروه فقارن بين ما بقي وما فات ، لتجد أنك في نعم وخيرات ، وأنه بقيت لك مسرات ، وأن ما عندك يزيد على ما فقدته مرات .

١٧- ولا تخف من كلام الحساد ، ولو كان غاية في الخبث والفساد ، فما يُحسدُ إلا من ساد ، وليس عليك من ضرر ، إنما الضرر على أولئك الأوغاد ، وسيكفيهم الله إن الله بصير بالعباد .

١٨- واجعل أفكارك فيما يفيد ، واجعل نصب عينيك كل أمر حميد . وإن حسنت أفكارك فأنت سعيد ، لأنك من صنعها كما يصنع الحديد .

١٩- ولا تؤخر عمل اليوم إلى غد ، فتتراكم عليك الأعمال وتجهد ، فلكل يوم عمل محدد ، فكن مع كل يوم مولود أمجد .

٢٠- وابدأ بالأعمال بالأهم ، وجوده حتى يتم ، وعليك بالكيف لا بالكم ، واستخر الله قبل أن تهمل فإن العناية ثم .

٢١- وتخير من الأعمال ما يناسبك ، وصاحب من على التقوى يصاحبك ، فإن صاحبك ساحبك ، واعلم أن هناك رقيباً يحاسبك .

٢٢- وتحادث بالنعم الباطنة والظاهرة ، والمواهب الباهرة ، فإن التحدث بها يطرد الهموم القاهرة ، ويعيد السعادة النافرة .

٢٣- وعامل الزوجة والولد والأقارب برؤية المناقب، ونسيان المثالب،
فما من أحد إلا فيه معاتب، ولو تركت كل ذي عيب ما وجدت من
تصاحب، يطيب جانب ويسوء جانب.

٢٤- وعليك بكثرة الدُّعاء، والفأل وحسن الرجاء، ولا تيأس مهما عظم
البلاء، واشتدت الظلماء، وكثر الأعداء، فَإِنَّ الأَمْرَ بيد رب الأرض
والسماء.

٢٥- ولا تخف من الثقلين، ولو ملأوا الخافقين، فَإِنَّهُمْ لَن يَضُرَّوكَ إِلَّا
بِإِذْنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فنواصِيهِمْ فِي قبضته وهو ذو الكيد المتين.

٢٦- وكل شيء بقضاء وقدر، فاصبر عند نزول المصاب أو فذر، فكل شيء
في أم الكتاب مسطر، وإذا وقع القضاء حار الفكر، وعمي البصر.

٢٧- ورب مكروه عندك نعمة، نجاك الله به من نقمة، وأحلك به صهوة
القمة، فلا تكره ما قدره الله وأتمه.

٢٨- وتأسى بالمصابين، ففي العالم آلاف المنكوبين، والناس بالكوارث
مطلوبين، ومن النعم مسلوبين، وبالأقدار مغلوبين.

٢٩- وكل هذا الخلق يشكو دهره، ويبكي عصره، ويندب أمره، وقد
أنهى بالهم عمره، فاعلم أن مع كل ثمرة جمرة.

٣٠- واعلم أن اليسر مع العسر، ومع الصبر النصر، وأن الغنى بعد الفقر،
والعافية بعد الضر، والدهر حلو ومر.

٣١- وعليك بالصبر الجميل، وتفويض الأمر إلى الجليل، والرضا بالقليل،
والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل.

٣٢- وأعلم أن فضول العيش أشغال ، وكثرة المال أغلال، وإقبال الدنيا هموم وأثقال، وأن خير النعيم راحة البال.

٣٣- وكوز ماء ورغيف، على بساط نظيف، مع كتاب شريف، أفضل من ملك صنعاء إلى القطيف، وأهنأ من سكنى القصر المنيف، وأين الملوك والدول يا لطيف.

٣٤- ومن وقع في عرضك وفجر، وأسمعك ما يوجب الضجر، فتجاهله ولا تجبه حتى يندحر، والكلب لا يملأ فمه إلا الحجر.

٣٥- وما رأيت مثل العزلة، يملك فيها العبد دينه وعقله، ويرتاح من كل سفيه وأبله، فإن أكثر الناس لا يساوي بقلة، فالزم بيتك فلن تجد مثله.

- ولا يعجبك إقبال الناس إليك، فإنهم مع الدهر عليك، وما أتوا إلا لمرادهم فيك، وما مضى من التجارب يكفيك.

٣٦- والبس الملابس البيض النقية وعليك بالروائح الزكية، ومارس الرياضة البدنية، وقلل من شرب المنبهات الردية، وادمن الاوراد الشرعية.

٣٧- وردد دعوة ذي النون، وأكثر ذكر المنون ، وهون الأمر يهون ، ولا ترضى في الدين الدنية ، وارض من الدنيا بالدون ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون.



السكينة والهدوء



من أراد السكون والهدوء، ومفارقة الأحزان والهموم والغموم والتشاؤم، فليقرأ آيات السكينة مع التدبر والخشوع، وحضور القلب، وطلب الشفاء من الشافي **جَلَّ جَلَالُهُ**.

تعريف السكينة:

السكينة: هي الطمأنينة التي يلقيها الله في قلوب عباده، فتبعث على السكون والوقار، وتثبت القلب عند المخاوف، فلا تزلزله الفتن، ولا تؤثر فيه المحن، بل يزداد إيماناً و يقيناً.

وقد ذكرها الله **عَزَّجَلَّ** في ستة مواضع من كتابه الكريم، كلها تتضمن هذه المعاني من الجلال والوقار الذي يهبه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** موهبة لعباده المؤمنين، ولرسله المقربين.

يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** في شرح منزلة «السكينة» من منازل السالكين إلى الله: «هذه المنزلة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب.

وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الموضع الأول: قوله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ^(١).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٨.

الموضع الثاني: قول المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

الموضع الثالث: قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾^(٢).

الموضع الرابع: قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾^(٣).

الموضع الخامس: قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٤) (١٨).

الموضع السادس: قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة، وسمعتة يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها، من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة، قال: فلما اشتد علي الأمر قلت لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قَلْبَةٌ^(٦).

(١) سورة التوبة، الآية ٢٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٣) سورة الفتح، الآية ٤.

(٤) سورة الفتح، الآية ١٨.

(٥) سورة الفتح، الآية ٢٦.

(٦) مدارج السالكين (٢/ ٤٧١).

وقد جربت أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته.

أصل السكينة:

وأصل السكينة هي: الطمأنينة والوقار والسكون، الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين، والثبات، ولهذا أخبر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن إنزالها على رسوله، وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رؤوسهم، لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلوي أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخلهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن حملها، وهو عمر، حتى ثبته الله بالصدق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعْرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بَرَجَزَ عَبْدِ اللَّهِ اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا... وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ» ^(١).

وفي صفة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الكتب المتقدمة: إني باعث نبياً أمياً، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش،

(١) رواه البخاري، رقم: (٣٠٣٤)، ومسلم (١٨٠٣).

ولا قوال للخنا، أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه^(١).

فمن قرأ آيات السكينة في مواقف الخوف والفرح، أو في مواقف الشبهات والفتن، أو عند الهم والحزن، أو عند اشتداد وسواس الشيطان، يقرأ رجاء أن يثبت الله قلبه بما ثبت به قلوب المؤمنين فلا حرج عليه، ورجي أن يكون له ذلك، كما كان لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ولكن على ألا ينسب استحباب قراءة هذه الآيات - وبهذه الكيفية - إلى الشريعة، ولا يتخذ عبادة تشبه عبادة الأذكار والأدعية الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة.



(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٠٢-٥٠٤).

الخاتمة



وصلنا إلى نهاية كتابنا المبارك المفيد الذي يحمل في طياته التفاؤل: ولنكرر القول التفاؤل هو حُسن الظن بالله ، والتفاؤل توقع الخير ، والتفاؤل ألا تسمح للمصائب أن تأخذك إلى اليأس ، التفاؤل أن ترى ما عند الله ، وأن تكون واثقاً بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك ، التفاؤل أن تكون غنياً بالله ، التفاؤل أن تنقل اهتماماتك إلى الدار الآخرة ، فالدنيا عندئذ لا تعنيك ، التفاؤل أن ترى الهدف البعيد ، فإذا حالت عقبات دونه وأنت مُصر عليه فأنت متفائل ، والتفاؤل صفة العظماء ، والتفاؤل صفة المؤمنين ، والتفاؤل صفة الذين عرفوا أن الأمر بيد الله ، صفة الموحدين ، فالتفاؤل توقع الخير ، والتفاؤل حُسن الظن بالله ، والتفاؤل أن تكون محصناً من أن يأخذك اليأس إلى مكان بعيد ، التفاؤل من صفات المؤمنين ، أرشدنا القرآن الكريم إلى أن التفاؤل من صفات المؤمنين .

التفاؤل أساسه الإيمان وهو ثمرة من ثمراته :

المؤمن متفائل حتماً ، لأنه يعلم علم اليقين أن الأمر بيد الله ، وأن الله قوي ، وأن الله في أية لحظة بيده المعادلات كلها ، بيده موازين القوى ، وأن الأمر يرجع إليه ، وما أمرك الله أن تعبد إلا بعد أن طمأنك فقال :
قَالَ تَسْأَلُ : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ ^(١) .

(١) سورة هود ، الآية ١٢٣ .

وَقَالَ نِسَالِي: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٦) . (١)

وَقَالَ نِسَالِي: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ (٢) .

وَقَالَ نِسَالِي: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (٣) .

ما دام الله عَزَّوَجَلَّ ، صاحب الأسماء الحسنى ، هو الرحيم ، هو العدل ، هو القوي ، هو الغني ، هو الحنان ، هو المعطي ، ما دام الأمر بيد الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) . (٤)

ألزم ذاته العلية إلزاماً ذاتياً في الاستقامة ، هو العدل ، وسعت رحمته كل شيء ، لا يمكن أن يجتمع إيمان بالله مع التشاؤم ، إيمان بالله مع اليأس ، إيمان بالله مع السوداوية ، لذلك قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) . (٥)

أي كأن التشاؤم من صفات الكفار ، وكأن التفاؤل من صفات المؤمنين .
الإيمان بالله أثمر التفاؤل ، وعدم الإيمان به يؤدي إلى التشاؤم ، إنسان لا يرى أن الله بيده كل شيء ، يرى قوى مخيفة ، طاغية ، معتدية ، حاكمة ، جبارة ، لا ترحم ، وأنه ضعيف أمامها ، طبعاً تحصيل حاصل أن يكون متشائماً ، تحصيل حاصل أن يسحق نفسياً ، أن يحس بالإحباط ، كل مشاعر الإحباط ، والخوف الشديد القاتل ، واليأس القاتل ، بسبب ضعف الإيمان .
مثلاً لا أعتقد أن هناك حالة أصعب من أن يكون عدواً قوياً ، حاقدًا ،

(١) سورة الزمر ، الآية ٦٢ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨٤ .

(٣) سورة الكهف ، الآية ٢٦ .

(٤) سورة هود ، الآية ٥٦ .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

ظالماً ، متغطرساً ، وراءك بكل قوته ، وأنت مع بعض الأشخاص قلة قليلة لا تملكون شيئاً ، والبحر أمامكم .

قَالَ نِسَائِي: ﴿ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿ ٦٢ ﴾ (١) .

لا يعقل أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام وهو في الغار، وقد وصلوا إليه ، وقد وضعت مئة ناقة لمن يأتي به حياً ، أو ميتاً ، وأن يبقى ثابتاً، واثقاً من الله **عَزَّجَلَّ** ، قال يا رسول الله ، في رواية : لقد رأونا ، وفي رواية : « لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أَبْصَرَنا تحت قدميه ، فقال : يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » (٢) .

طبعاً هذه صفات الأنبياء ، لكن لكل مؤمن من هذه الصفات نصيب بقدر إيمانه ، فأنت حينما ترى أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حينما يقول : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ (٣) .

هذه آية تملأ القلب تفاؤلاً ، أنت إنسان مستقيم، وقاف عند حدود الله ، دخلك حلال ، بيتك إسلامي ، عملك إسلامي ، لا تعصي الله ، لا تكذب ، لا تغش المسلمين ، لم تبني مجدك على أنقاضهم ، ولا حياتك على موتهم ، ولا غناك على فقرهم ، ولا أمنك على خوفهم ، ولا عزك على ذلهم ، إنسان تخشى الله ، لا بد لك من معاملة خاصة ، لا بد لك من أن تكون متميزاً عن بقية الناس .

(١) سورة الشعراء ، الآية ٦٢ .

(٢) رواه البخاري، رقم: (٣٦٥٣)، ومسلم، رقم: (٢٣٨١)

(٣) سورة الجاثية، الآية ٢١ .

إِنِّي صَنَعْتُ مِنَ التَّفَاوُلِ مَرْكَبًا وَشَدَدْتُ مِنْ عِزْمِ الْيَقِينِ شِرَاعَهُ
أُبْحَرْتُ فِيهِ.. عَلَى الْإِلَهِ تَوَكَّلِي مَا خَابَ مِنْ لِلَّهِ مَدَّ ذِرَاعَهُ

آيات من القرآن الكريم تثبت أن الإيمان والتوحيد يورثا التفأول:

لذلك الإيمان والتوحيد يورثا التفأول ، والشواهد كثيرة جداً ، هذه الآية أوضح آية :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١)

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (٢)

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْجَاهِلِينَ ﴾ (٣) ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٦)

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهِ كُنْتُمْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (٤) ﴿ ٦١ ﴾

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ﴾ (٥)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٦) ﴿ ٣٠ ﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ (٦) ﴿ ٣١ ﴾

(١) سورة الجاثية، الآية ٢١ .

(٢) سورة السجدة، الآية ١٨ .

(٣) سورة القلم ، الآيات ٣٤-٣٥ .

(٤) سورة القصص ، الآية ٦١ .

(٥) سورة التوبة ، الآية ٥١ .

(٦) سورة فصلت ، الآيات ٣٠-٣١ .

القرآن الكريم يملأ القلب تفاؤلاً :

قال الله عزَّجَل: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١) ﴿١٢٣﴾ .

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ﴿٤٧﴾ .

﴿وَلَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٣) ﴿١٧٣﴾ .

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٤) ﴿٤١﴾ .

الآيات كثيرة جداً

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥) ﴿٥٥﴾ .

﴿وَلَنَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (٦) ﴿١٤١﴾ .

هذه آيات في كتاب الله ، هذه وعود رب العالمين ، وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين .

ولقد بلغت من التفاؤل أوجه وقلائل من يفعلون قلائل
حتى تفاعيل البحور قرأتها متفائل متفائل متفائل

(١) سورة طه ، الآية ١٢٣ .

(٢) سورة الروم و الآية ٤٣ .

(٣) سورة الصافات ، الآية ١٧٣ .

(٤) سورة غافر ، الآية ٥١ .

(٥) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٦) سورة النساء ، الآية ٤١ .

المؤمن دائماً متفائل ولا يسمح لشيء أن يسحقه أو يشل قدراته :

كيف لا يكون المؤمن متفائلاً وقد يرى أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** معه ؟ .

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

أي الله معهم بالنصر ، والتأييد ، والحفظ ، والتوفيق ، هذه معية خاصة ، لذلك المؤمن قطعاً متفائل ، ولا يسمح لمصيبة أن تسحقه ، ولا يسمح لمصيبة أن تأخذه إلى اليأس ، ولا يسمح لمصيبة أن تشل قدراته ، ولا يسمح لمصيبة أن تجعله سوداوياً متشائماً ، لكن ضعف الإيمان يودي إلى التشاؤم ، ضعف الإيمان يودي إلى السوداوية ، واليأس .

ضعف الإيمان يودي إلى السوداوية واليأس ، ولكن لا يمكن لإنسان أصابه شيء من اليأس ، أن يصل به يأسه إلى الكفر ؟ .

الإنسان يتشائم بقدر ضعف إيمانه ويتفائل بقدر قوة إيمانه : «التشاؤم حالة مؤلمة كن متفائلاً ترى الصباح مشرقاً» .

وتضيّق دنيانا فنحسب أننا	سنموت يأساً أو نموت نحيباً
وإذا بلطف الله يهطل فجتأة	يربي من اليبس الفتات قلوباً
قل للذي ملأ التشاؤم قلبه	ومضى يضيق حولنا الآفاقاً
سر السعادة حسن ظنك بالذي	خلق الحياة وقسم الأرزاقاً



الفهرس

المقدمة.....	٥
منطلقات وأسس مهمة:.....	٨
المبحث الأول : معنى التفأول وأهميته، ومشروعيته :	١٥
وفيه ثلاثة مطالب:.....	١٥
المطلب الأول : التفأول في اللغة العربية	١٦
التفأول: ضد الطيرة والجمع فئول، وتفاءلت به:.....	١٦
التفأول سُنَّة نبوية:.....	١٨
قليلاً من التفأول قد يصنع ألف طريقاً للسعادة :.....	٨١
المطلب الثاني : أهمية التفأول	١٩
التفأول يجدد شباب القلب:.....	١٩
وإن سأل سائل: ما هو التفأول؟.....	٢٠
النصوص الدالة على مشروعية التفأول:.....	١٢
التحذير من التشاؤم:.....	١٢
أعلى درجات التفأول:.....	٢٢
صفات المتفائل:.....	٢٢
أعظم مصدر للتفأول:.....	٢٢

- ٢٣ التفاؤل في حياة الأنبياء:
- ٢٧ فوائد التفاؤل وثمراته:
- ٢٩ أهمية التفاؤل في الإسلام:
- ٣٠ التفاؤل في السُّنة النبوية:
- ٣١ كن متفائلاً بالخير دائماً تجده:
- ٣٢ **المطلب الثالث : مشروعية التفاؤل**
- ٣٢ وإن سأل سائل: ما تعريف التفاؤل؟
- ٣٣ ومن النصوص الدالة على مشروعية التفاؤل:
- ٣٤ صفات المتفائل:
- ٣٤ أعظم مصدر للتفاؤل:
- ٣٦ ومن الفوائد العظيمة للتفاؤل:
- ٣٩ **المبحث الثاني أسلوب القرآن الكريم في تربية النفوس على التفاؤل**
- ٤٠ **المطلب الثاني : إشاعة التفاؤل في وقت الأزمات والشدائد والمعضلات**
- ٤٢ كن بَلَسَماً:
- ٤٣ قصة عنوانها: التفاؤل سرّ النجاح على الرغم من صعوبة المواد الدراسية:
- ٤٤ التفاؤل يصنع الحياة:
- ٤٤ قصة أخرى بعنوان: التفاؤل من الإنسان والشفاء من الرّحمن.
- ٤٥ **التفاؤل سر السعادة والنجاح والرزق:**
- ٤٦ التفاؤل في زمن اليأس:
- ٤٨ كم هم حفظة القرآن؟!:
- ٤٨ كم هم المشتغلون بحفظ السُّنة؟

- ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ ٤٩
- النفس التواقة دائماً تتوق إلى الأفضل: ٥٤
- الأدب الأول: فيما يتعلق في أمور الدني: ٥٥
- السيدة آسية بنت مزاحم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: ٦٥
- النبي - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يعلم الصحابة التفاؤل: ٥٩
- نماذج وأحوال من التفاؤل عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ٦٢
- نماذج من التفاؤل عند الأنبياء والمرسلين: ٦٥
- نماذج من التفاؤل عند الصحابة: ٦٧
- نماذج من التفاؤل عند السلف: ٦٨
- نماذج من التفاؤل عند العلماء المتقدمين: ٦٩
- تفاؤل نور الدين زنكي بفتح بيت المقدس: ٧٠
- التفاؤل في حال تكالب الأعداء على الأمة وقلّة المعين: ٧٠
- أولاً: التفاؤل بقرب النصر على الأعداء. ٧٠
- التفاؤل المطلوب هو حُسن الظن بالله: ٧١
- ثانياً: عدم اليأس: ٧٢
- ثالثاً: اليقين: ٧٢
- رابعاً: السيرة النبوية: ٧٣
- السيرة النبوية والتفاؤل والبُشارات في وقت المحن**: ٧٣
- ١ - الهجرة النبوية: ٧٥
- ٢ - غزوة بدر: ٧٧
- ٣ - غزوة الأحزاب: ٧٧

- ٧٩..... ٤ - غزوة خيبر:
- ٧٩..... التفائل في سيرة النبي ﷺ
- ٨١..... نشر الأمن والطمأنينة من منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:
- ٨٢..... ومن معاني الطمأنينة في لغة العرب:
- ٨٤..... ومن مصادر الاطمئنان؛ الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ:
- ٨٧..... ثلاثة ليس لها نهاية : الأمن والصحة والكفاية :
- ٨٧..... التفائل في حال الفقر وضيق العيش؛
- ٨٨..... الإضاءة الأولى: الرزق مُقَدَّر ومضمون:
- ٨٩..... الإضاءة الثانية: الرزق مقرون بالأجل :
- ٩٠..... الإضاءة الثالثة: رزق الله واسع :
- ٩٢..... الإضاءة الرابعة: الرزق نوعان: مادي ومعنوي:
- ٩٣..... الإضاءة الخامسة: الرزق بين العطاء والمنع، وبين البسط والقدر:
- ٩٤..... أولاً: تقوى الله عَزَّوَجَلَّ وعبادته:
- ٩٤..... ثانياً: اجتناب المعاصي، والإكثار من الاستغفار:
- ٩٤..... ثالثاً: صلة الرحم:
- ٩٥..... رابعاً: الصدقة والإنفاق في سبيل الله.
- ٩٥..... قواعد هامة في قضية الرزق:
- ٩٦..... لماذا نذكر هذه القضية؟! :
- ٩٧..... **قواعد في قضية الرزق:**
- ٩٧..... أولاً: إن كره الفقر وحب الغنى أمران فطريان:
- ٩٨..... ثانياً: أن الله جَلَّوَعَلَا قد تكفل بأرزاق الخلائق وضمنها لهم:

- ثالثاً: الرزق مضمون والسعي مطلوب: ٩٩
- رابعاً: الغنى والفقر ابتلاء : ١٠٠
- خامساً: السعادة ليست في المال فقط..... ١٠١
- سادساً: إياك والحرام. ١٠١
- مفاتيح الفرج:** ١٠٣
- سورة الفاتحة:..... ١٠٤
- المفتاح الثاني : ملازمة ورد يومي من القرآن الكريم: ١٠٥
- المفتاح الثالث: إقامة الصلاة فرضاً ونفلاً..... ١٠٥
- المفتاح الرابع: ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ : ١٠٥
- المفتاح الخامس : ١٠٦
- المفتاح السادس : ١٠٦
- المفتاح السابع: تفويض الأمر لله الدعاء بهذا الدعاء العظيم. ١٠٦
- المفتاح الثامن: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين:..... ١٠٧
- المفتاح التاسع : الله الله ربي لا أشرك به شيئاً : ١٠٧
- المفتاح العاشر : لا حول ولا قوة الا بالله:..... ١٠٧
- المفتاح الحادي عشر: حسبي الله ونعم الوكيل:..... ١٠٨
- فوائد قول حسبنا الله ونعم الوكيل :..... ١٠٨
- المفتاح الثاني عشر: قراءة سورة الشرح :..... ١٠٨
- المفتاح الثالث عشر : الدعاء المستجاب:..... ١٠٨
- هذه مفاتيح ، والله هو الغني الفتاح العليم:** ١١٠
- آلاء الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وفضله على عباده : ١١١

- ١١٢..... لا تخاف على رزقك :
- ٣١١..... الآجال والأرزاق مكتوبة ومحسوبة :
- ١١٨..... قصة تدل على التوكل:
- ١٢٤..... ١- التقوى:
- ١٢٤..... ٢- إقامة الصلاة:
- ١٢٤..... ٣- التوكل على الله:
- ١٢٥..... ٤- الاستغفار:
- ١٢٥..... ٥- صلة الرحم:
- ١٢٥..... ٦- المتابعة بين الحج والعمرة:
- ١٢٥..... خواطر:
- ١٢٦..... **معالجة موضوع الفقر على ضوء الكتاب والسنة:**
- ١٢٧..... - دوام شكر الله وحمده:
- ١٢٧..... - صلة الرحم ولو كان الغير قطعها:
- ١٢٨..... كُن متوكلاً على ربك في أمورك كلها :
- ١٢٨..... حكم التوكل:
- ١٢٩..... **الفرع الثالث: التفأول سر من أسرار النجاح:**
- ١٣٠..... ثانياً: التفأول سر الشخصية الناجحة.
- ١٣٠..... ثالثاً: التفأول يمد الإنسان بطاقة كبيرة وقوة لمواجهة الظروف السلبية والقاسية :
- ١٣١..... رابعاً: التفأول يُقوي من عزيمة الإنسان:
- ١٣١..... خامساً: التفأول: هو انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظنَّ :
- ١٣١..... سادساً: أنَّ التفأول يبعث على حُسْنِ الظنِّ بالله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**:

- سابعاً: التفأول مفتاح السعادة: ١٣٢
- ثامناً: ارتباط النجاح بالتفأول: ١٣٤
- تاسعاً: التفأول مفتاح النجاح: ١٣٥
- كيف يمكننا أن نتحلّى بالتفأول؟: ١٣٦
- بوصلة التفأول: ١٣٦
- الفرع الرابع: النفس المتفائلة تؤمن بقضاء الله، ولا تقنط من رحمته: ١٣٩**
- أولاً: أن يكون التفأول مقرونا بالإيمان: ١٤٣
- الثاني: أن يكون التفأول مقرونا بالعمل الصالح: ١٤٦
- الثالث: أن يكون التفأول مقرونا بالطلب: ١٤٧
- الرابع: ألا يغيب التفأول سنن الله في الكون: ١٤٨
- لماذا يدعو الإسلام إلى التفأول؟ ١٥٥
- أنواع التفأول ١٥٦**
- الأول: هو التفأول الغافل: ١٥٦
- الثاني: فهو التفأول الواعي: ١٥٦
- التفأول: باب من أبواب التوكل على الله: ١٥٨
- حاجتنا إلى التفأول في جوانب الحياة: ١٦٣
- هناك ناس عليهم ديون، مطالبون، يتفأول بماذا؟ ١٦٦
- التفأول بالخير في السفر: ١٦٨
- التفأول في مجال الدعوة إلى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ١٦٨
- تفأول الأبوين بتربية الأبناء: ١٦٩
- التفأول للطالب بالنجاح والتوفيق: ١٧٠

- ١٧٢..... فوائد التفائل
- ١- تجاوز المحن: ١٧٢.....
- ٢- أنه يورث طمأنينة النفس وراحة القلب والارتياح: ١٧٢.....
- ٣- المتفائل إيمانه بالله قوي. ١٧٣.....
- ٤- النظرة الإيجابية للأشياء. ١٧٣.....
- انتظار الفرج عبادة: ١٧٥.....
- المتفائل يقرأ الأحداث على أحسن الوجوه: ١٧٦.....
- تفائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاسم الحسن: ١٧٩.....
- تفائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يراه من المواقف والأحداث: ١٨٠.....
- النظرة الإيجابية للأشياء: ١٨٢.....
- التفائل و الأمل في حياة المؤمن: ١٨٢.....
- ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل!!: ١٨٣.....
- ولكن المؤمن أوسع الناس أملاً: ١٨٤.....
- ابتهاال سؤال التفائل: ١٨٦.....
- الإسلام يحث على التفائل: ١٨٧.....
- حكم التفائل؟: ١٨٩.....
- كيف يتغلب المسلم على الشاؤم؟ ١٩١.....
- عواقب التَّفَاوُل وعواقب التَّشاؤم: ١٩٣.....
- فائدة التفائل من الناحية الصحية والنفسية: ١٩٤.....
- ليس هناك إيمان ولا توحيد، فكيف ستكون متفائلاً؟: ١٩٦.....
- كيف يصنع المسلم لنفسه التَّفَاوُل أو التَّشاؤم؟ ١٩٦.....

- الفرق بين التفاؤل الشرعي وغير الشرعي؟ ١٩٨
- كُن مبشراً: ١٩٩
- التفاؤل عند رؤية الشيب: ٢٠٠
- التفاؤل يقي من أمراض القلب: ٢٠٤
- التفاؤل والأمل منظور الشعر: ٢٠٥
- اجعل صباحك مشرقاً بالتفاؤل: ٢١١
- تفاءلوا فإن كتاب الله يدعو للتفاؤل: ٢١١
- ضعف الوازع الديني: ٢١٣
- التشاؤم: ٢١٤
- اليأس: ٢١٤
- كلمة (لو): ٢١٤
- القنوط من رحمة الله: ٢١٥
- ثمار التفاؤل المباركة: ٢١٥
- حُسن الظن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ٢١٦
- التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ٢١٦
- الاقتداء بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٢١٦
- تجديد الأمل: ٢١٧
- المرونة في العلاقات الاجتماعية: ٢١٧
- صناعة التفاؤل: ٢١٩
- أساليب صناعة التفاؤل: ٢١٩
- التفاؤل يقاوم الاكتئاب: ٢٢٢

- ٢٢٣..... أنصح الشخص الكئيب قبل التفاؤل:
- ٢٢٤..... التفاؤل عند المسلم هو من العقيدة الصحيحة والإيمان بالله
- ٢٢٦..... التفاؤل والبسمة والابتسامة:
- ٢٢٦..... فوائد الابتسامة؟
- ٢٢٧..... البسمة سنة نبوية:
- ٢٢٧..... ابتسامة الرسول ﷺ.. حقائق وأسرار:
- ٢٢٩..... الطريق إلى القلوب!:
- ٢٢٩..... ابتسامة ثنائية الأبعاد!:
- ٢٣١..... أجهل ما قال الشعراء عن الابتسامة:
- ٢٣١..... أجهل ما قيل عن الابتسامة:
- ٢٣٢..... استعن بالله وتوكل عليه:
- ٢٣٢..... التفاؤل بيوم عاشوراء:
- ٢٣٦..... التفاؤل والسعادة:
- ٢٣٩..... **لا تقلق بشأن صفائر الأمور، فكل الأمور صفائر:**
- ٢٤١..... الشدة أكبر باب تلجأ فيه إلى طريق السعادة.
- ٢٤٦..... كيف تزرع التفاؤل بحياتك؟
- ٢٤٧..... التفاؤل ما تزرعه بعقلك تحصده في حياتك!
- ٢٤٨..... التفاؤل وقود الحياة:
- ٢٤٩..... والتفاؤل والأمل بالله عبادة عظيمة:
- ٢٥١..... التفاؤل والأمل في الاسلام:
- ٢٥٤..... دور الأمل في حياة الانسان:

- التفاؤل والإيمان: ٢٥٥
- الإنسان المتفائل: ٢٦٠
- التفاؤل والقرآن الكريم: ٣٦٢
- القرآن يدعو للتفاؤل ويبث روح الأمل بين المؤمنين:** ٢٦٤
- التفاؤل في الحياة له معنى آخر: ٢٦٧
- قانون التفاؤل والأمل عند المتفائلين: ٢٦٨
- أركب سيارة الأمل وأسرع نحو طريق التفاؤل: ٢٧٠
- أولاً: التركيز على الأشياء الإيجابية: ٢٧٠
- ثانياً: التخلص من السلبية: ٢٧٠
- ثالثاً: المشاركة في الأعمال الخيرية: ٢٧١
- رابعاً: المواظبة على الرياضة: ٢٧١
- خامساً: التقرب من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ٢٧١
- سادساً: احتفظ بابتسامة جذابة على وجهك: ٢٧١
- قصة ممتعة في باب التفاؤل وحسن التوكل على الله ٢٧٢
- قصة طريفة في التشاؤم: ٢٧٢
- اليأس والقنوط والتشاؤم: ٢٧٤
- سر الحياة السعيدة وكيف ذلك؟ ٢٨٥
- كيف تعيش حياتك بطريقة سعيدة؟ ٢٨٦
- بعض أسباب الفشل التي قد تواجهك في الحياة وكيف يمكنك التعامل معها لتجاوزها: ٢٨٨
- أولاً: انعدام الثبات: ٢٨٨

- ٢٨٨..... ثانياً: عدم القناعة:
- ٢٨٩..... ثالثاً: عدم الانضباط:
- ٢٨٩..... رابعاً: ضعف احترام الذات:
- ٢٩٠..... **من أسباب الحياة السعيدة:**
- ٢٩٥..... السكينة والهدوء
- ٢٩٥..... تعريف السكينة:
- ٢٩٥..... وقد ذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** السكينة في كتابه في ستة مواضع:
- ٢٩٧..... أصل السكينة:
- ٢٩٩..... الخاتمة
- ٢٩٩..... التفاؤل أساسه الإيمان وهو ثمرة من ثمراته :
- ٣٠٢..... آيات من القرآن الكريم تثبت أن الإيمان والتوحيد يورثا التفاؤل:
- ٣٠٣..... القرآن الكريم يملأ القلب تفاؤلاً :
- ٣٠٤..... المؤمن دائماً متفائل ولا يسمح لشيء أن يسحقه أو يشلّ قدراته :
- ٣٠٥..... الفهرس

